الأعمال الكاملة

عبد المنعم عواد يوسف

المجلد الأول

- هكذا غنى السندباد ١٩٨٢
- بينى وبين البحر ١٩٨٥
- لكم نيلكم ولى نيل ١٩٩٣
- وكما يموت الناس مات ١٩٩٥
- أغنيات طائر غريب ١٩٧٢



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٩

الاخراج الفني

فاتن رهنا

كلمة فى البدء

بقلم د. صلاح رزق
الاستاذ بكلية دار العلوم

شعر عبدالمنعم عواد يوسف جدير بالحفاوة، ودوره فى حركة الشعر الجديد حقيق بالاستجلاء. ولاشك أن نشر هذا الشعر فى عمل متكامل يسهم فى تبين خارطة التطور الشعرى فى الأدب العربى الحديث، ويعين على رصد مساراته والتعرف على أدوار أعلامه من الرواد ومن أعقبهم عبر أجيال متتابعة.

وبين يدى هذا السفر الجديد نحاول أن نتعرف - فى إيجاز - على ملامح التجربة الإبداعية للشاعر وتجلياتها فى مسارات يرفد بعضها بعضا، ونستبين الرؤية الذاتية وأثرها فى اصطناع أدوات التشكيل الفنى المعينة على طرح الرؤية وتجسيد التجربة.

ينتمى الشاعر عبدالمنعم عواد يوسف إلى تلك الكوكبة الرائدة التى امتلكت جسارة الاجتراء على تحويل تيار التدفق الشعرى، والتحكم فى اندفاعه عبر مسار المألوف المستقر الذى أوشك أن يقع فى وهاد رتابة الإيقاع ، وتكرار التجارب.. إلى منعطف جديد مشرب بروح الاستكشاف ولذة الافتراع.. تلك الكوكبه التى ضمت فى طليعتها صلاح عبد الصبور ونبدر شاكر السياب وعز الدين اسماعيل ونازك الملائكة وعبد الوهاب البياتى وأحمد عبد المعطى حجازى... وفى ركبهم سار حسن فتح الباب وكامل أيوب وكمال عمار نمشأت ومجاهد عبد المنعم مجاهد ومحمد الفيتورى ومحمد مهران السيد...

وغيرهم. وسرعان ما جاء فى إثرهم أمل دنقل ومحمد إبراهيم أبو سنة وفتحى سعيد وأحمد سويلم وبدر توفيق وفؤاد بدوى ونصار عبدالله.. وتتابعت الأجيال، ومعها يزداد التيار قوة والمسار عمقا واستقامة.

لقد سجل عبدالمنعم عواد يوسف مكانه فى صدارة جهود الفريق الأول بقصائده: زهرة تذوى، الكادحون، وكما يموت الناس مات .. ثم توالت قصائده ودواوينه التى أكدت تواصل عطائه، ورسخت قدمه فى حركة الشعر الجديد، ودعمت دوره فى مسيرته، وحفظت له موقعه الذى لا يمكن إغفاله عند التأريخ لنشأة هذا الشعر، ورصد تطوره فى تاريخنا الأدبى الحديث.

حول محاور التجربة:

لقد توزعت تجربة الشاعر الثرية عبر محاور عديدة؛ استمداداً من تكوينه الثقافى وخصوبة تجربته الحيوية، وعمق رؤيته الذاتية وإيجابيتها إزاء الواقع وأحداثه على مدى أربعين سنة تقريبا. من معالم هذه التجربة نستبين البعد الذاتى المتمثل فى التجربة العاطفية، والصوفية، وتجربة الغربة والحنين. كما نستبين تجليات الرؤية وتفاعلاتها من خلال البعد الاجتماعى الحيوى الذى يشف عن موقفه من الآخر: المجتمع والناس، الوطن وقضاياه القومية، هموم الأمة وقضاياها، ولا تعدم أن نجد فى نسيج التجربة ما يشكل نوعا من التواصل الإنسانى الأشمل فى بعض القصائد التى تحمل طابعا فلسفيا ورمزيا شفيفا.

مع التجربة العاطفية:

شأن كثير من الشعراء فى مراحل الصبا والشباب الذين تتفتح عيونهم على تأمل الجمال، وتهفو إلى استشراق عالمه بصفة عامة.. وشأن الشاعر العربى الذى شكلت قراءة الموروث من جهة، وفيض أشعار الرومانسين والمهجريين جانبا كبيراً من ثقافته وتكوينه.. جاء شعر عبد المنعم عواد يوسف العاطفى مفعما بالروح الانسانى، والمنزع المثالى منذ فترة مبكرة من حياته. وظل الإحساس الوجدانى والموقف الإنسانى يواصل مده عبر دواوينه التالية وإن اكتسب روح التأمل الناضج، ومسحة واقعية تتراءى فيها المواقف المألوفة بين البشر عامة والمحبين خاصة، فهو يهش للجمال ويسعد به، ويتلقى رسائل العيون ويفهم لغتها بإدراك حالم، ويؤرقه الشوق، ويهفو للقاء،و ويحيا بأصداء صوت الحبيب. وقد يغاضبه أو يفتعل المغاضبة مؤملا أن يسعى إلى لقائه واسترضائه أو عتابه، فإذا لم يسع إلى اللقاء استشعر الأسى، وإذا لم يكلف نفسه العتاب ثارت ثائرة الكرامة والغضب. ولكن سرعان مايسامح ويصفو ويعود إلى دوحته الحب ينشد صفاءه ويشدو أغنياته.

إن الشاعر يتذوق فى عينى المحبوبة طعم الحياة وعطاءها البكر **(لكم نيلكم)** لعينيك طعم الينابيع فى زرقة الفجر

ولذا يرد إلى هاتين العينين جمال كل جميل فى الكون حين يتساءل: **(لكم نيلكم)**

هل أنت من تسكبين الندى فى عيون الصباح؟

وهل أنت من تزرعين الشذا فى شفاه الأقاحى؟

ومن ثم لاغرابة أن يرى فى هاتين العينين منارة تهديه هو صواب الطريق وتمنحه الأمان: **(أغنيات طائر غريب)**

عـــينا حـــبـــيـــبى والحنا | ن وزهرتـان علـى الطـريق
قـــد أرشـــدتنى للطريـ | ـق وكنت أجهل ما الطريق
عـينا حـبـيـبى فـيـهـما | كل الرضى، كل الأمـــان
فـى كل عـين مـنـهـــا | نبع تـفـــجـــر بـالحنان
والـزهـرتـان عـلـى الـطـريـ | ـق تـتّوران لـى الـطـريـق
طـوقـــا نجـــاة أو مـــآ | للشط فـــانتـــعش الطريق

وحين يشدو الشاعر لتلك العيون تصغى الطيور والنجوم، ويرقص الطير، بل يطرب الحجر لذلك الغناء (أغنيات طائر غريب/ ١٢)

لعينيك أشدو بشعرى أردد عذب الغناء
فتصغى نجوم السماء
وتصغى طيور الفضاء
ويرقص نور القمر ويطرب حتى الحجر

أما صوت الحبيبة فيحمله إلى آفاق الجنة...... (هكذا غنى السندباد)

يا صوتها صوت من أهوى
سلمت على الزمان
يامبعث النغم الحنون، وذوب هدهدة الكمان
أنا مذ عبرت النفس، منتشيا أعيش
كأننى أحيا بأروقة الحنان

وحب الشاعر حب نبيل متسام إذ يفيض بالخير، وينشده للكون والبشرية كلها، ويبدد الشرور والآثام من الوجود بأكمله (أغنيات طائر غريب).

حـبـيـبـى إننا سنحـيـا	نوزع الخـيـر والنمـاء
ونزرع الحب فى نفـوس	أصـابهـا الجـدب والبـلاء
فـيـبـزغ الفـجـر فى رباها	ويزهر البـشـر والسناء
ويرحل الشـر فى سكون	ويمرق الحـقـد فى خـفـاء

وهكذا تبدو تجربة الحب فى شعره إنسانية شفيفة فيها ضعف المحب، وفيها الحس الرومانسى المفعم بأخلية المثال المأمول.

(رؤى صوفية):

إذا انتقلنا إلى جانب آخر من جوانب التجربة الذاتية الخالصة استلفتنا البعد الصوفى فى تجربة الشاعر .. تلك التجربة التى تهيأت لها - على امتداد حياته - الظروف المعينة على التشكل والنضج، فلقد نشأ فى مناخ علمى دينى صوفى؛ إذ كان والده شيخ الطريقة الرفاعية فى بلدته، وكان جده أحد علماء الأزهر المقربين من الشيخ محمد عبده وفكره التنويرى. ولاشك أن الشاعر كان يشهد فى البيت، وفى أرجاء البلدة الطقوس والشعائر المختلفة التى يمارسها المتصوفة فإذا ما بلغ سن الشباب، ونزح إلى القاهرة لطلب العلم فاختار كلية الآداب أتيح له أن يدرس الفلسفة الإسلامية حيث تعرف على الاتجاهات الفكرية المختلفة، وقرأ شعر النفرى وابن عربى والحلاج وابن الفارض وغيرهم؛ فوعى تجربتهم، وتذوق لغتهم، وألف صورهم وأخليتهم.. وسرعان ما ظهر ذلك فى شعره منذ تجاربه الأولى التى نشرها فى أواخر الخمسينيات على صفحات «الشهر» و «المجلة» بل إن له ديوانا كاملا يوشك أن يكون وقفا على التجربة الصوفية هو ديوان «الشيخ نصر الدين والحب والسلام والأمل (القاهرة سنة ١٩٧٤)ومن شأن لحظة التواصل الصوفى فى أن

تواتى العابد المحب كلما غلبه الأسى واليأس، وضاقت به الحال؟ فينشد اللقاء، ويجتهد فى سبيل الوصول، وهذا مانراه فى شعر الشاعر حين يقول: (هكذا أغنى السندباد)

يغلبنى يأسى حين يمر الوقت ولا ألقاك

فأظل أفتش عنك هنا وهناك

فى همسة طير، رفة غصن، بين مدارات الأفلاك حتى ألقاك

يتبدل حالى حين أراك

تغمرنى الفرحة، من يصنع هذا إلاك

ويعيش لحظات الولوج إلى مقام القربى عبر حوار شعرى يقول فيه: (لكم نيلكم)

هذا مقام الريح، لايقوى على اجتيازه غير الذى له جناح

ياحارس المقام: هل لى فى رحابكم مقام؟

أخطأت فى المقال، لا يقيم فى مقام الريح إلا قائم يستكف المقام نزعت عنى خرقتى لكى أريه أننى لا أعدم الجناح

أو ما إلى بالسماح

الغربة والحس الذاتى:

وتتصل بتجربة الحب والتجربة الصوفية ماعاناه الشاعر من الغربة الجسدية الطويلة والغربة النفسية التى تعاوده كثيراً. ومازالت تداهمه حينا بعد حين. ولأجل هذا كان لكليتهما أثر بين فى شعره، فعشنا معه لحظات فياضة بالمعاناة حينا، تواقة إلى التجاوز استنادا على دفع الأمل وإيجابية حب الحياة فى كثير من الأحيان.

يصور الشاعر لحظة الرضا والسخط، القبول والرفض، عشق الحياة والضيق بها على نحو يصل المرء بالموت تصويرا فنيا شفيفا حين يقول: (لكم نيلكم)

هو البحر عشق وموت

وبينهما أنت. لا أنت حى ولا أنت ميت

لأنك بالبحر تحيا، وفى العشق تحيا

فتحيا غراما، وتغنى هياما

ويسلمك العشق للبحر دوما

ليلفظك الموت للشط حيا

ولكنه يحاول - بوعى الجوال الناضج - أن يستخلص تجربة الرحالة هنا وهناك، ويصوغها فى شعر ينضج بالحكمة الإنسانية وإن كان يرى أن الحكمة لا تجد من يلتفت إليها أو يقدرها قدرها فى زماننا.. يقول: (هكذا غنى السندباد)

وطوفت البحار.. وعدت

مل المركب التطواف

جئت محملا بتجارب الأيام

من ذا يشترى الحكمة؟

وحين يعود الشاعر من رحلة الغربة القاسية مؤملا بهجة اللقاء بالأحباب وقدامى الرفاق يفجؤه إحساس آخر بغربة جديدة، وتفجعه نظرة هؤلاء الرفاق، وماتبثه عيونهم: (هكذا غنى السندباد)

عيونهم أنشبت كالأظافر، تلتهم الوجه في قسوة

تساءلتُ في حيرة...

وعندئذ يستشعر الحسرة، ويعظم في جوانحه الأسى، ويتمنى لو لم يكن عاد.. (السابق)

أبعد التشرد عبر البقاع

وبعد التغرب، بعد الضياع

أعود إليهم... إلى بيتنا

فأشعر أني غريب غريب

وما من صديق، وما من حبيب

فياليتني لم أعد

ليتني لم أعد

ليتني لم أعد

وهكذا جاءت محاور التجربة الذاتية على تنوعها مفعمة بالحس الإنساني والصدق الذي يهز الوجدان المشترك مابين المبدع والمتلقي.

فإذا تجاوزنا دائرة الذات وما اتصل بها من تجارب عاطفية وصوفية، أو تجارب الاغتراب والغربة إلى دائرة أرحب.. وجدنا رصيد الشاعر زاخراً بالعطاء على نحو يكشف عن خصب التجربة وإيجابية الدور.

في المجتمع والواقع

إن قارئ شعر عبد المنعم عواد يوسف يتبين مدى ارتباط الشاعر بالناس، وبالغ أرقه بواقعهم وما يغص به ذلك الواقع من هموم وقضايا. ولذا كان دوما أقرب إلى الفقراء والكادحين منه إلى المترفين أو من توافيهم حياتهم وإمكاناتهم بكمالات الحياة فضلا عن ضروراتها. وفى ضوء هذا لم يكن غريبا أن تكون أول قصيدة تسجل للشاعر دوره الباكر فى حركة الشعر الجديد هى القصيدة التى عنيت بالكادحين من الفلاحين، وحملت اسمهم، والتى استهلها قائلا: (وكما يموت الناس مات)

الكادحون

عادوا إلى أكواخهم عند المغيب

ووراءهم.. قد خلفوا الحقل الحبيب

يتعاقبون

عادوا وفى نظراتهم ذل السنين

عادوا، وبين ضلوعهم همّ دفين

يتتابعون

والبؤس يبدو فى اختلاجات العيون

ثم يقدم نموذجا مجسدا لاطراد حلقة البؤس والشقاء المضروبين على هؤلاء الكادحين حالا ومستقبلا. ووأد الأمل الفطرى الذى يعيشه شبابهم - شأن كل الشباب - فى أن ينشئوا بيتا ويتزوجوا، ولكن قهر المرض

والفقر يهيمن عليهم فيسلب الشباب شبابهم والفتيات حياتهم، وعندئذ يتواصل النحيب، ولا شيء بعده سوى دورة أخرى من دورات القهر والانكسار.

ويصرف الشاعر الجانب الأكبر من همه لكشف الزيف، وتعريه الحقيقة من خلال التوقف أمام نماذج بشرية معينة أو رصد بعض الصور السلبية التى تسهم فى فرض نوع من إحباطات العصر. ولا ينجو - بالطبع - من عدسته الواصدة الشاعر «الحكيم» الداعى إلى الزهد وشفافية الروح والترقى على درروب التسامى، وهو - على الجانب الآخر - غارق فى الملذات وطيب الحياة، مما يجعل الرائد يكذب أهله، ويفقد حكمة عصرنا مصداقيتها.

كما يسلط عين النقد اللاذع الساخر على ذلك الشاعر الذى وقف. جهده على التغنى بجمال الشفاه، ونضارة الحذود، ونفرة التهود؟ فيذهب اسمه وشعره كل مذهب. كما لا يفوته التنبيه إلى أنماط الانتهازيين فى عصرنا ممن يجيدون الزمر والمشى على الحبال والتسلق على الظهور. وربما توقف أمام مشهد الإمام الذى يؤم الناس فى الصلاة، أو يقودهم فى سواها بنفس فارغة وادعاء زائف. أو ذلك الربيب الذى يتعهده المرء بالرعاية، ثم لا يجد منه - فى النهاية - سوى الجحود والتطاول فى صورة عصرية للجاحد القديم الذى أخلص الفارس تعليمه الرماية، فلما، شب عن الطوق كان أول من صوب سهامه إليه هو صاحب الفضل عليه.

فى الوطن وهمومه:

بنظرة أعمق، وبعد أدق يجاوز الشاعر مشاكل المجتمع ونواقص الواقع، وشائه النماذج البشرية إلى هموم الوطن الشاغلة، وعلى رأسها الحرية الحقيقية المنشودة لهذا الوطن وإرادة أبنائه، والتى يتوجب نداؤها على الفنان بالدرجة الأولى، فيستنهض همم رفاق الكلمة قائلا: (وكما يموت الناس مات)

تعالوا نحتمى بالشمس من لفح الظلام السود

نغنى غنوة مشحونة الإيقاع نارية

تدمدم باللظى الموار

تورية

يؤججها لهيب الثأر

يسعرها فحيح النار

يجلجل فى النفوس نداؤها الجبار

حرية

إنه يؤمن بعظم المسئولية التى يحملها، ويحملها معه كل صاحب قلم:

لذا يصرخ مستنهضا الهمة والدور من أجل معركة الشعب الذى يوقن بأهليته لخوض هذه المعركة إذ يقول: (السابق)

إذا لم يحمل القلم الذى معنا مضاء السيف

لاكنا، ولا كانا

تعالوا.. نصنع التاريخ ملحمة
بلا أبطال
سوى الشعب الذى ضحى
.. ...
تعالوا يا ضمير الشعب
قولوا: ليس غير الشعب من سيحقق الآمال
ويغنى للوطن/ المثال الذى يراه وينشده قائلا: (لكم نيلكم)
وأنه الوطن
يكبر حتى يصبح الدنيا
يصغر حتى يصبح السكن
وبيننا وبينه مساحتان دائما
مساحة من الحنين والهيام والشجن
ويحاول رسم خريطته الخاصة التى تحدد ملامحها رؤيته حين يقول: بينى وبين البحر
ولى وطن أحاصره
يحاصرنى
يمد خطوطه فى قلب خارطتى
فأرسمه، ويرسمنى
وأصبح قشة فى نيله الدفاق
ترقص فى يد الأمواج

رفة طائر يلهو بقرب ضفافه

أنشودة عذراء يعزفها على شبابة الأحلام

فلاح خَلى البا، لم تعركه بعد رحا السنين الدّهم

لم تصبغ مداخله بلون القار أيام الأسى الهوجاء هأنذا أعاود رسم خارطتى

فترسمنى، وأرسمها

فى القومية العربية:

إن ارتباط المصرى بأمته وقضاياه محكوم بحب فطرى راسخ وقديم، لا يملك منه فكاكا، وأجدر الناس بتجسيد هذا الارتباط الشاعر بهموم أمته العربية فى كل موقف. ولعل قضيته فلسطين ومأساة شعبها تقف على رأس القضايا التى حفزت أخاديدها العميقة فى وجدان كل مصرى؛ ولذا يسوق الشاعر «أغنيات فلسطين» المفتقدة حين يقول: (لكم نيلكم)

من لى بأغنية تعيد إلى ماطمس الزمان

أزاهر الزيتون، نفح البرتقال

وصدحة الشحرور فى الوادى الحزين

. . .

من لى بأغنية تمد تخومها سوراً يحاصرنى

يضيق بى الخناق

يسد أنفاسى، فأهرب منه للفعل الذى يلد الحياة

من صلبنا هذا الوليد يجئ

آه، يطل من رحم الشتات

فترقبوه، ترقبوه، فإنه لاريب آت.

وحين يدفع غالب هلسا - الروائي المناضل - حياته فداء لقضيته ؛ يعلى الشاعر الدور والموقف حين يقول: (وكما يموت الناس)

... ...

وها هو ذا شهيد آخر يقضى

بأوج عطائه يمضى

يقدم قلبه ثمنا ليبقى حلمه الأبهى

ويبقى دائما رمزا

لأروع مايقدمه بنو الأحرار من ثمن

ليبقى الحلم مؤتلقا

وهكذا توافينا تجربة الشاعر خصبة متعددة الآفاق تكشف عن حضور واع، ودور فاعل، وإنجاز لافت، وتجسيد حى لروح إنسان العصر وحساسيته إزاء واقع الحياة والأحياء من حوله.

فإذا تجاوزنا محاور التجربة كى نستبين أبرز الملامح الفنية التى تميز أداءها الشعرى استوقفنا العديد من القيم الفنية التى اجتهد الشاعر فى توظيفها، يتميز من بينها ثراء معجمة الشعرى مع واقعيته وبساطته، وتنوع موسيقاه، وشفافية صوره والتعويل على الرمز، وتوظيف الموروث العربى والإنسانى وخصوصية البناء الكلى العام لقصيدته.

وهذا مانود أن نتوقف معه وقفة شديدة الإيجاز بحكم طبيعة هذا السياق.

أما فيما يتعلق بالمعجم الشعرى، فلسنا فى حاجة إلى إيراد شواهد جديدة؛ إذا يكفينا أن نراجع تلك النماذج التى وردت خلال الحديث عن محاور التجربة؛ كى يتأكد لنا هدى إلفنالهذه الكلمات التى يجرى معظمها على ألسنتنا خلال استخدامنا الإشارى للغة. لكنها أخذت هنا وضعا معينا، أو سلكت فى نسق معين أضفى عليها أبعادا إيحائية شفيفة فتحققت لها قيمة مزدوجة أهمها أداؤها لدورها البلاغى فى البنية الشعرية. والثانية تغلغلها فى عقولنا ومشاعرنا بقوة استنادا إلى رصيدها من الإلف والشيوع بيننا.

ولعل اتضاح الرؤية الذاتية للشاعر، وحرصه على مجافاة الغموض على اختلاف أنماطه،. ووثاقه ارتباطه بهموم الواقع ومعاناة العامة من الكادحين... كان عاملا فاعلا فى الاقتراب التلقائى من مفردات ذلك المعجم من جهة، وأدائه وظيفته الشعرية بفاعلية واضحة من جهة أخرى.

فإذا توقفنا أمام البنية الموسيقية فى شعر الشاعر هالنا هذا التنوع الايجابى فى التشكيل الموسيقى. فابتداء نحن أمام انطلاق أولى من إيمان عميق بدور الموسيقا فى تشكيل بنية الشعر، بل فى تحقق ماهيته، ثم التوسل بالدور الذى يمكن أن تؤديه الموسيقى فى إنجاز هذه المهمة بالصوت واللفظ والتركيب والترديد والتكرار فى كل سياق وكان من نتيجة ذلك، بالطبع، أن نجد نوعا من الحضور النسبى للنظام البيتى

الشطرى، وغلبة واضحة لنظام التفعيلة، كما نجد تنوعا فى البحور، وتفاوتا فى عدد تفعيلات البيت الواحد فى تصرف لا يعدم نسقا خاصا ينهض التكرار المحسوب فيه بدور لافت. كما نجد حضوراً كبيراً للتدوير الإيقاعى الذى قد يبدأ ببيتين اثنين، أو مقطع واحد.. وقد ينتظم القصيدة الطويلة بأكملها. كما نلاحظ أن القافيةتؤدى دوراً بارزاً فى التشكيل الموسيقى لقصيدة الشاعر دونما أدنى إحساس بالرتابة أو التكلف. ولا ؟أعتقد كذلك أننا فى حاجة إلى تعداد الاستشهاد؛ لأن قارئ شعر عبدالمنعم عواد يوسف بكفيه أن يفتح أى صفحة من أى ديوان له حتى يدرك تميز الدور اللافت الذى تنهض به البنيه الموسيقية الخاصة فى إنجاز ماهيته الشعر وتشكيل التجربة.

أما الصورة الفنية فتأتى نسيجا يدويا دقيقا، ولكنه بين الخطوط والملامح، لاشائية من تعقيد أو تركيب. ويزيد الصورة خصوبة وفاعلية تعويلها على الرمز الشفيف والمفارقة كثيراً، وحسن توظيفها للموروث الشعبى والأسطورى العربى والإنسانى العام.. ولنتأمل هذه الصورة التى جاءت فى سياق قصيدة شطرية: (لكم نيلكم)

كان الدليل الشمس أتبعها

أيام كان ضياؤها ملئى

فتقودنى لمدى أحاوله

فأطوله، وأعود بالشىء

واليوم يالسفيتنى تمضى

عريانة تسعى بلا رداء

وجزيرتى بهتت ملامحها

وأنا أيممها، بلا ضوء

ولاشك أن محللها يستبين أكثر من مدخل تأويلى إلى استنطاق دلالة الرمز وإيحاءاتها على المستوى الجزئى أو الكلى.. فضلا عما يلاحظه من بساطة التأليف ومجافاة التعقيد والغموض. وقد يعمد الشاعر إلى استثمار الموروث الشعبى فيحمله من خصب الرمز وحيوى الدلالة ما يجعله وثيق الصلة بهموم اللحظة الراهنة، على نحو ما نجد فى قوله: (هكذا غنى السندباد)

وهناك فى قصر رهيب

قصر يقوم ببابه، كالطود، عملاق كئيب

بدر البدور

تحيا هناك

وتظل تحلم بالفكاك

من أسر عملاق رهيب

يارفقتى، لا الدمع يرجعها ولا هذا النحيب

لاشىء يرجعها سوى هول الصراع

وقد يعمد الشاعر إلى استثمار الموروث الأسطورى الإنسانى العام فى مثل قوله: (السابق)

وحينما تجلنى حبيبتى أهم أن أضمها ألى

لكننى أخاف

فربما تحولت عروسة من الذهب

إذا أنا لمستها

ومثل ميداس أصير

وإننى حبيبتى قد عشت أكره الذهب

أو قوله الذى يفجر - من خلاله - طاقات واسعة من آفاق الدلالة الموصولة بالواقع الراهن حين يقول: (السابق)

رأيت هناك إيزوريس مصلوبا على صخرة.

وعيناه مفتحتان

بوادى الموت كان هناك مصلوبا على صخرة

ولم تك تنبت الأزهار فى ساقيه

لم تتفجر النضرة.

وأما البناء الكلى العام للقصيدة فى شعر عبد المنعم عواد يوسف، فقد جاء تجسيدا دقيقا ومنضبطا لطبيعة التجربة، فمرة نرى القصيدة لقطة قصيرة مكثفة، وثانية طويلة متنامية عبر بناء سردى لا يخلو من صراع ذى أبعاد رمزية دالة، وثالثة تتخذ المقاطع المنفصلة المتصلة اطاراً عاما.

وقد تأخذ شكل الحكاية التى تتعد شخوصها، وتتخذ الحوار دعامتها. قد يستقل فيها الإيقاع التفعيلى أو الشطرى، وقد يمزج بينهما.. تطول أو تقصر، ولكنها دوما مترابطة متماسكة تنهض على ممحور يمكن تحديده، أو تنطلق من مركز لا يخفى، وتتخذ مسارها انطلاقا من هذا أو ذاك؛ لتشكل بنية متكاملة متماسكة لها نظامها الخاس الذى يمنحها مقوماتها الجمالية التى يجتدل فيها الذاتى والموضوعى، وتتجه نحو غاية إنسانية إيجابية.

فى ضوء هذا الإنجاز الذى تعددت فيه محاور التجربة، وتميزت ملامح تشكيلها الفنى، وعمقها الحيوى مع امتدادها الزمنى. . يمكننا أن نستبين قيمة شعر الشاعر عبد المنعم عواد يوسف ومكانه من حركة الشعر الجديد على امادا النصف الأخير من هذا القرن.

د. صلاح رزق

هكذا غنى السندباد

الإهـــداء

إلى أستاذى
محمد مهدى العسيلى
إجلالا..
ووفاءً

فى وداع صلاح عبد الصبور

كان ياما كان أن غنى مغنٍّ لبلادى

واحداً من شعبنا الطيبّ كان

فى ظلال النيل عاشْ

لم يعش وسْط وصيفات وأضواء قصوْر..

لم يكن يوماً من الأيام مولّى لأَميرْ

لم يكنْ ملكُ جاهاً،

لم يكن يكنز مالاً..

لم يكن يملك إلا فطنة العقل، وإرهاف الشعورْ

واسمه كان صلاحاً..

إنه صناجة العصر، مغنّى جيلنا: عبدالصبور

(١)

كان عذباً مثل ماء النيل دفاق العطاءْ

وسخيا فى زمانٍ لم تعد أشجاره تثمر شيئا من سخاءْ

ونديّاً كصلاة الفجر، كالأَنسام، كالأَملاك طهراً ونقاءْ

كان شمساً تدفئ الروح، تضئ القلب، تزجى الحبّ نوراً..

فى قلوب الأصدقاءْ

كان صفو الأصفياءْ

كان يلقانا بشوش الوجه، سمْح النفس، نبعا من صفاءْ

فى عناق طيّب، يقطر وداً.

أَيها الراحل، ما أَسخاك! كم كنت ودوداً فى اللقاءْ!

يا صلاح الدين ياعبد الصبورْ..

يا عميد الشعراءْ

(٢)

يا حكيماً فى زمان قلّ فيه الحكماء

واستطال الأَدعياءْ

هذه الحكمة، من أَىّ معينٍ رائقٍ جئت بها؟

من أَىّ نبع طيب هذا الصفاءْ؟

أى كرم شامخ، قطّرت من ذوْب جناه البكر تلك الخمرَ؟

فى أَىّ قباء رائع عتقتها؟

نشوة الروح، رحيق الفكر، عطر القلب، همس النفس،

سرّ البوْح، فيض الوجد، موسيقى سماءْ

حكمة كانت لنا فيض ضياءْ

يا صلاح الدين، ياعبد الصبور..

يا أَرقْ الحمكاءْ

يا صلاح الدين، يا عبد الصبور..

يا منار الشرفاءْ

يا صلاح الدين يا عبدالصبور..

يا وحيد الشعراءْ

(٣)

أَيها الراحل عنَّا قبل أن نشبع منكْ..

قبل ميعاد رحيلكْ..

كيف تمضى تاركاً خلفك صفاً من أَبر الأَوفياءْ

كلهم يفديك بالروح، وياطيب الفداءْ!

كلهم يرنو إِليك..

أَنت يا حامل همِّ الشعراءْ

من لنا بعدكَ؟

كنتَ الدرع، كنت السيف، كنت الظلَّ، كنت الدفءَ

فى برد ليالى الرفقاءْ

من يصدُّ الويل عنا، من سيحمينا؟

وقد كنت الأَخ الحانى..

لنا، نحن جميع الشعراءْ

يا صلاح الدين، يا عبد الصبور ..

يا حبيبَ البسطاءْ

يا صلاح الدين يا عبد الصبورْ..

يا فريد الشعراءْ

(٤)

فى زمان قلّ فيه الشعر، غاب الشعراءْ

عشت فيه الرمزَ أن الشعر مازالَ..

وما انبتّ له فى هذه الدنيا عطاءْ

كنت فرداً..

أَمة فيها من الشعر كنوزٌ، بعضها يكفى جميع الشعراءْ

أيها النهر الذى من فيضه العذب اغترفنا، وارتوينا..

وسقينا زهرنا من مائه الثرِّ،

وغنيّنا على شطآنه الفيحاء،

غنّينا، فلم نحسنْ كما أحسن فى الشعر الغناءْ

إننا كنا جميعا شعراءْ

بينما كنت أمير الشعراءْ

يا صلاح الدين، يا عبد الصبورْ..

يا عميد الشعراءْ

إشراقة

تعاتبنى، تقولُ: لقد هتكت السرَّ،

لا وجلالِ أَنوارِكْ..

فمنذ شرُفتُ باللقيا، ومنذ حللتُ فى دارِكْ

وهذى النشوة الكبرى تلازمنى، تحاصرنى،

تسدُّ مسالك الكلمات فى حلقى،

فلا أَقوى على نطقٍ،

وفى أعماق أَعماقى تردّد همُس أَذكارِكْ..

تقولُ: وكيف قد عرفوا بما قد كان من لُقيا،

بما أَتحفتنى من فيض أَسرارِكْ؟

أَقول الحقَّ، لم أنطق بحرف يهتك الأسرارَ،

لكنْ ربما نظروا إلى عينى،
فإن هناك ياذخرى قد انطبعت،
ومنذ شرُفتِ باللقيا، خطوط من سنا الإشراق،
تعزف صورة أَحلى من الأَحلى،
وأَسنى من سنا الأَسنى،
وذلك بعضُ أَنواركْ..

ويسأَلنى ضعاف مدارك الإبصارِ،
حين يروننى بالصمتِ ملتحفا،
أَهيم بنشوة اللقيا:
لماذا هكذا أَنتا؟
أَتحيا العمر منفرداً،
فلا خلان، لا أَصحابَ، لا ندمان، لاسقيا؟
وأَضحك من قصور رؤاهمو،
ما أضيع الإنسانَ حين تغيب عن آفاقه إشراقةُ الرؤيا!

وفى أَعماق أعماقى تفجّر نور كم وَحْيا..

وأَحضنُ طيفك المحبوب،

تغمرنى لطائف هذه اللقيا..

وأَكتم سرَّ ما ألقاه، حتى أَستديم حلاوة اللقيا..

وأَهمس فى عيون القوم:

كيف يعيش منفرداً فؤادٌ فى رحاب ضيائكم يحيا؟

«١٩٨٠»

ثـلاثـيـات:

لاتخلو من حكمة !!

لأَنَّ فى زماننا يشمخُ عاطلُ الشجرْ
وتستطل سدرة تسامقت، بلا ثمرْ
أَضحك من بلاهتى حين أَدبّج الدرْد

* * *

من يشترى فراستى بحفنةٍ من العماءْ
أَبيعه الذكاء كله لقاء قبضة من الغباء
وبعد عام نلتقى لكى نرى أكثرنا ذكاء

* * *

أَطيب شىء فى زماننا يا سادتى: هو الخمولْ

ننام هانئين لا يشغلنا ما يشغل العقول

وحينما نصحو نقول مثلما من لم ينَمْ يقول.

* * *

لمّا وجدت الكلّ فى هذا الزمان يرتدى القناعْ

فلم نعُدْ نعرف مَنْ جباننا أَو الشجاعْ

تنكُّرِى أصبح أَننى أَمشى بلا قناع..

* * *

كسرتُ رمحى حينما وجدت فى هذا الوجود من يناجزون بالكلاْم

ما حاجتى إلى الحسام؟

وكلمة واحدة توردنى موارد الموت الزؤام

* * *

الحقّ صار سلعة رديئة، فى السوقِ، لا تباعْ

والباطل المزهوُّ فى هذا الزمان أَصبح البناء والأَساس والنخاع

وصاحبى الأَبله ما يزال طامعا فى أَن يغَّيَر الأوضاع

* * *

تثاءبوا، ولم يزل خطيبنا يثرثُر

وانصرفوا، ولم يزل، مستغرقا، يثرثُر

متى متى يا سيدى الخطيب بالذى جرى ستشعُر؟

* * *

كلّ صباحٍ لجنة، كلّ مساء مؤتمر

ولم تزل قضيتى تحتاج ألف مؤتمر

أَهمُّها هذا الذى يعلنُ أَنَّا لم نَعُدْ فى حاجةٍ لمؤتمر

* * *

العنكبوت لم يمت، فى الركن ألف عنكبوتْ

العنكبوت فى العقول ساكن، لا فى البيوت

وبعد هذا يسألون: كيف أَلف واحدٍ فى كل لحظة يموت

* * *

لا قوْلَ بعد اليوم، كلُّ ما نقوله هدرْ..

لا شعر بعد اليوم، كلُّ ما نشدو به، من قبل قد شُعِرُ

نعود للكلام حينما يصبح للكلام فى حياتنا أَثر

* * *

معذرة يا سادتى، وأَلفُ أَلفِ معذرةْ

فقد صدَعْت رأْسكم، بكلِّ تلك الثرثرةْ

ثرثرة من أَجْلها أَسأَل ربِّى المغفرةْ

* * *

«١٩٨٠م»

أوجه الحب

(١)

حبيبتى تقبل فى الصباحْ

منحسرا عن وجهها الوشاح..

عيونها يغمرها السماح...

تقرئنى تحية رقيقة

بهمسة حالمة رشيقه...

تقول لى، والسحر فى لغاها...

مقالة يغمرنى صداها..

«نعمت بالصباح يا حبيبى

«بعيشك المنضر الرطيبِ»
ومثلما قد أَقبلت تغيبْ..
بِسَمْتِها الموقر المهيب ..
من بعد ما قد أنبتت حنانا
وخلّقت فى أضلعي الأمانا

* * *

حبيبتى، يازهرة الصباحْ..
يا حلوتى، يازفرة ارتياح..
أَناعلى الوداد ما أَزال..
مع الصباح أرقب الوصال..
فلْتقبلى فى الموعد البعيد..
فإننى أولد من جديد
مع انطلاق الصبح في البكور..
وهكذا على مدى العصور..

* * *

(٢)

حبيبتى تقبل فى الظهيرة..

ومن شعاع الشمس فى صباها قد عقدت فى شعرها ضفيرهْ..

أقول: «يا حبيبتى الصغيرهْ..

«سلمت لى، ياوردتى النضيرةْ..

«جميلة مازلت كالربيع..

«ولم تزل طلعتك المثيره»..

تضحك بعد أن تهمس بالسلام..

يلطِّف الوجود كالغمام..

تقول لى: «مازلت يا صديقى تبرع فى صناعة الكلام..

لكننى لم أُصبح الصغيره..

تبهرها العبارة الكبيرة»..

أضحك كالأطفال فى انتشاء..

وصوتها فى مسمعى غناء..

أقول: «يا عصفورتى الصغيرة..

«فلْتكبرى ما شئت، لن تكونى فى العين غير طفلة صغيرة..»

حبيبتى تضحك فى براءةْ..

وخافقى يواصل انتشاءهْ

ومثلما قد أَقبلت تعود..

وقد سرى العبير فى الوجود ..

* * *

(٣)

وحينما يغلبنى الدوارْ..

أنام بعض الوقت بالنهار..

توقظنى بلمسة حانيةٍ، فافتح العينين فى انبهار..

أبصرها بجانب الفراش..

فيفعم الفؤاد الانتعاش...

«متى متى أتيتِ؟

«وكيف قد فتحت باب بيتى؟»

وكالنسيم يقبل الجواب:

«الروح ليس تعرف الأبواب»

هنيهة، وبعدها تغيب..

كما أتت حبيبتى تغيب ..

ويختفى أريجها الحبيب..

تغيب كالأطياف فى سكون..

وفى العميق من كهوف ذاتى..

قد أشعلت خوامد اللهيب..

* * *

(٤)

وحينما يودّع النهار..

ويغمر الوجود الاصفرار..

وتكتسى الحياة بالنضار..

وتزدهى ذوائب الأشجار..

بحلة من الذهبْ..

أحس رغم ذلك الجمال..

بأننى علانى اكتهال..

وحينما تجيئنى حبيبتى أهمّ أن أضمّها إلىّ..

لكننى أخاف..

فربما تحولت عروسة من الذهبْ..

إذا أنا لمستها..

ومثل ميداسٍ أصير..

وإننى حبيبتى، قد عشت أكره الذهبْ..

«حبيبتي، مليكتى، لا تقبلى مع الأصيل..

«حتى يظل حلمنا الجميل..

«حتى يظل حلمنا الجميل...

* * *

(٥)

وحينما يأتلق الشفق..

وتختفى عروسة السماء..

هناك فى غياهب الأفق..

ويكتسى الوجود بالشحوب

تجيئنى بوجهها الحبيب..

وومضة الحياة فى عينيها، تنير من جهامة الغروب..

تقول لى:

«لا بأس يا حبيبى..

«إن يجنح الضياء للمغيب..

«ففى غدٍ تعاود الحياة دورتها الدءوب من جديد»..

وبعدها حبيبتى تتركنى، وفى الضلوع أورق الأملْ..

تتركنى حبيبتى وتمضى..

وعطرها فى النفس لم يزلْ..

* * *

(٦)

وعندما يخيمّ السكون..

ويغمر الظلام كل شيء، بظله بحسه البليدْ..

وفى السماء ألف ألف عينٍ ترمقنى من كونها البعيد..

والليل لفّ كلّ ما يحيط بى بصمته المروّع المديد..

وتمرح الأشباح فى انطلاق، لأننى فى غرفتى وحيد..

تجيئنى من عالم الأَحلام..

ونورها يشرق فى الدياجى، فتنمحى جحافل الظلام..

تقول لى:

«لا ترهب الظلاما..

«فكل ليل بعده صباح»..

وبعدها تقرئنى السلاما..

وتختفى، وتختفى الأشباح..

النسر والبغاث

أسلمتنى لهم..

ألقيتنى من قمتى الشماء بينهم..

مجموعة الذئاب والغربان والثعالب المشوهه...

نسراً مهشم الجناح قد حططت..

يلفحنى سعارهم..

أنا الذى كنت إذا زجرتهم...

فروا كما النعام، واحتموا بجبنهم..

أتسمعين..

أنت التى بذلتنى لهم..

* * *

ماذا تقول الشاة للسكين..

ماذا يقول الأزغب الطعين..

لاشيء..

لا شيء غير الصمت في العيون..

أنت التي أسلمتني لهم..

أنت التي نزعت مني مخلب النسور..

أنت التي ألقيتني كالفأر بينهم..

توافه الطيور.

تأكلني عيونهم..

يلفحني سعارهم..

أتسمعين..

أنت التي بذلتني لهم..

* * *

لكنني..

برغم كل شيء..

أبقى أنا..

وهم همو..

النسر لا يكون غير نسر..

والفأر لا يكون غير فأر..

ورغم أنني ملقى على الثرى..

مهشما، مهشما..

ورغم سقطتي على التراب..

مثخنا محطما..

فلم أزل أنا..

النسر لايزال قابعا بداخلي..

لايخدعنكم دبيب الضعف،

في مفاصلي..

فلم أزل أنا..

الليث لايزال راقداً بأضلعى..

تذكروا..

ياحفنة الذئاب والغربان والثعالب المشوهه..

تذكروا..

ستهربون لو سمعتم صيحتى..

لكنما تضيع فى الأعماق صرختى..

ياويلتى..

ياويلة النسر الذى قد أسلموه للبغاث..

يأكله سعارهم..

أنت التى أسلمته لهم..

أتسمعين..

أنت التى بذلتنى لهم..

* * *

فى ملكوت الليل..

هأنذا..
وحدى فى ملكوت الليل..
أشرب كأساً لم يشرَبْها أحدٌ قبلى..
أركب مَتْنَ الضوء الأزرق..
وحدى فى ملكوت الليل..

* * *

وحدى فى ملكوت الليل..
لا يتنفس أحدٌ غيرى كلَّ صفاء الكون الساحرْ..
لا يتأمل أحد غيرى كلَّ ضياء البدر الغامرْ..
وحدى فى ملكوت الليل..

* * *

غطُّوا فى أعماق النوم..

غوصوا، يا عشاق النوم..

ولتدعونى وحدى فى ملكوت الليل..

* * *

هأنذا فوق جواد الليل الأَشهب..

أَعلو صهوته الشماء..

هيا هيا.. ركضاً خلف النجم الشارد..

مرحى مرحى.. يا لله..

أدركناه

مرحى، مرحى..

* * *

دعنى أسرع خلف فتاة الأفق النائى..

دعنى أسرع فى ملكوتى..

يالؤلؤة عشت حياتى أتمناها..

كى أرشفها فوق جبين فتاتى الناصع..

لاَ تحرمنى هذا الشرف الأكبر..

ما أروع أن تعلو هذا الأفق الأعظم..

* * *

غطُّوا فى أعماق النوم..

غوصوا، يا عشاق النوم..

ولتدعونى، أترقبها..

تقبل نحوى تحت ستار الليل الساكن..

تركب مركبة من ضوء..

ضوء يعلو مَتْنَ الضوء..

يُذْهبُ كل ظلام الكون الداكن..

تطلعُ شمساً من أعماقِ الليل..

يازنبقتى..

غيبى إلا عن عينىّ..

ولتتخفىّ حين طلوعك كلّ مساءْ..

كى لا يلمحك الغوغاءْ..

عودة الشاعر

رجعتُ..

فألفيت كل الرفاق، كما قد تركتهمو..

لم يغب واحدُ

وحينَ وجدتهمو ينظرون،

عيونهم أُنشبت كالأظافر، تلتهم الوجه فى قسوة..

تساءلت فى حيرة:

«أما ذاك وجهى الذى تعرفون؟..

«أم تُرى قد تغيَّر يا إخوتى؟»

ويهتف من بينهم واحدٌ..

- أيكذبُ؟!-

«بل أنت من نعرفه..

«فمازلت كالأمس، لا، ما تغيرتَ..

«فمازلت - كالعهد - تخفق بشرا..

«وعيناك مازالتا تنبضان، تحيلان أيامانا القفر شعرا..»

ويعلو على صوته صوتهم..

صوت كل الرفاقِ:

«كذبت،

«فهذا الذى قد عرفنا بالأمس مات..

«وهذا الذى لم يزل ماثلا ليس إلا رفات..

«ألا تبصر الموت فى نظرته؟..

«ألا تسمع الجدب فى نبرته؟»..

* * *

ترى يصدقون..

فيا للأسى إن يكن قولهم فيه بعض الحقيقة!..

* * *

وحولت وجهى إلى حيث كنتُ..

رجعتُ..

وحتى التحية ما قلتها، فما كان بالنفس شيء يقال..

فياليتنى لم أعد للرفاق..

أجل ليتنى، إنهم شوهوا جثتى..

لقد وأدوا فرحتى..

فياليتى لم أعد..

ليتنى لم أعد..

* * *

أبعد التشرد عبر البقاع..

وبعد التغرب، بعد الضياع..

أعود إليهم..

إلى بيتنا..

فأشعر أنى غريب غريب؟!

وما من صديق، وما من حبيب..

فياليتنى لم أَعد..

ليتنى لم أَعد..

ليتنى لم أَعد...

«١٩٧٠م»

رسالة منها

ما أشبه حالينا بشريدين على طرفى صحراء..

يتشعب فى عينىّ الدرب..

يتشعب فى عينيك الدرب..

يتمنى كل منا أن يعثر بالآخر..

كى يحمل عنه سطوة هذا الحب..

لكن واأسفاه !!..

ماذا نصنع والصحراء..

تمتد بحارا لايدركها الحد؟..

* * *

تُهنا فى زحمة تلك الأيام المجنونة ...

صرفتنا عن وجهتنا أشياء تافهة جوفاء ..

شغلتنا، حتى عن أنفسنا، طحنتنا تلك الأشياء

درنا فى دوّامتها الملعونة ..

حتى ما عدنا أنفسنا ..

حتى أصبحنا إنسانين غريبين ..

واليوم تنبهنا ..

لكن واأسفاه، بعد ضباع فى وديان التيه ..

بعد فوات الوقت ..

* * *

يا أملا سلبته الأيام ..

ألقته بعيدا فى قلب الصحراء ..

فى بيداء العمر القاحل ..

ماذا فى وسعى أن أصنع ؟ ..

ماذا فى وسعك أن تصنع ؟ ..

أعلم أن اللهفة فى نفسك مثل اللهفة فى نفسى..

أعلم أن مرارة كأسك نفس مرارة كأسى...

أعلم أنك تتحرق شوقا للقائى مثل تحرق قلبى للقائك

نفس الرغبة، نفس الحرمان..

لكن ماذا نصنع والأيام الرعناء..

ألقتنا كشريدين على طرفىْ صحراء..

* * *

لو أنى أعلم أنك تسلو، كنت سلوت..

لو أنى أعلم أنك تجفو. كنت جفوت..

لكن ما يفزعنى أنك لن تنسانى..

وستبقى عمرك تبحث عنى. كى تلقانى..

لكن هل تلقانى..

* * *

أبذل عمرى كله..

من أجل سويعة حبّ، يقضيها قلبى قربك..

يامن تحمل حبك..

وتسير تفتش عنى..

هأنذا أحمل حبى، وأسير أفتش عنك

أترى يرشدنى قلبى، فأجيئك يوما ما؟..

أم نبقى محصورين بدائرة الحرمان؟

* * *

يا للأيام الملعونة!!..

أخذتنا، رغما عنا، دوامتها المجنونة..

ألقتنا كشريدين على طرفى صحراء..

* * *

لكن عزائى أنى أومن أنا فى يوم، يا أملى، ملتقيان

مهما طال الحرمان..

مهما طال الحرمان..

ياليتك تؤمن مثلى، حتى ننجو من وحش..

غول يدعى «النسيان»..

من كتاب «الشيخ نصر الدين»

وجاء الشيخ نصر الدين، جاء إلى فى الغربة:

يا لله، كم ذا قد تعبت أبى،

تكبدت العذاب إذن، لتبصر واحدا من جملة الأبناء

«لا يا طفلى الطيب، لا تعب على الأرواح..

«نسير نسير، لا نتعب

«نسير نسير، لا نجهد

«لأن الروح، لا تجهد»

* * *

جلست إليه، انهل من منابعه.

فمد إلى كأس الحكمة المترع،

«ألا فليشرب الظمآن»..

* * *

«بنى، بنى فى الغربة لا تكثر من الأصحاب

«يضيع السر بينهم،

«ونحن نعيش بالأسرار..

«يعيش السر بالكتمان...

«إذا ما ذاع بين اثنين مات السر،

«وأصبح فى مهب الريح، جثته

«فعش وحدك، يحى السر فى صدرك

«ينير السر كهف القلب

«يرف، يرف بالأنوار..

«ألا فاحرص على سرك..

«ألا فاحرص على سرك»

صدقت، صدقت يا شيخى إلى بجرعة أخرى..

* * *

وحقا لم يعد فى الدن، ياولدى، سوى جرعة

إليك بها..

«وفى الغربة، لا تشغل بأمر الناس أفكارك،

«وكن نفسك..

«حذار، حذار أن تنصر مظلوما على ظالم،

«ففى الغربة، لاندرى، من المظلوم والظالم..

«فكن نفسك، والزم دائما دارك»

* * *

«١٩٧٠م»

أنا .. وحبيبتي .. والسحر!!

وأقبل السَّحرْ..

فانتشت نسائر البكورْ..

ورقرقت أريجها العطر

وردَّدت جوانب الأُفق..

أصداء لحن طائرين بكَّرا..

فاستنشقا الهواء رائقًا معطّرا..

يفيض من قارورة السَّحرْ..

* * *

وأقبلت حبيبتى، وقد علا جبينها الخفر..

وكنت قد قضيت ليلتى أعانق السهرْ..

ودون همسة حبيبتى مدّت إلى يدى يدا..
ومثل طيفٍ حالم قادت خطاى نحو باب غرفتى..
ومثل نائم مضيت خارجا، حبيبتى معى..
وحينما وجدتنى فى ذلك الكون الرمادى الشفيف..
أعانق السكون، لاهمسٌ سوى الحفيف..
ولم تزل حبيبتى معى..
شعرت أننى حى بُعثت من جديد..
أحسست شيئا غامضا يشيع ملء أضلعى..
كأنه الصفاء..
أو كأنه النقاء..
أو كأنه الضياء..
أو كأنه الحياة نفسها..
وابتسمت حبيبتى..
وفوق وجهها قد أسدلت غلالة من الخفر..
ودون كلمة مضت..
وخلفتنى مفرداً مع السَّحَرْ..

«١٩٧٩»، م

قمر الزمان والعملاق أو من ينقذ بدر البدور؟

(١)

ألدنّ عملاقاً هناك.. يلوح فى أقصى الطريقِ.

تخافُ يا قمر الزمانْ؟

وتفُر يا قمر الزمانْ؟

ما كنتُ أحسبُ أنّ فيك، هناك، يستخفى جبانْ.

والمجد.. ياقمر الزمان؟..

والعزْ.. يا قمر الزمان؟..

ونضال آلاف الجدود؟..

من أجل بعثك للوجود؟

من أجل يومك أنت، من ماضى الزمان؟!..

* * *

لاكنتَ.. يا قمر الزمان!

لا كنت، لا، لا.. يا جبان!

أفيخطف العملاق منك عروسة كالبدر فى ليل التمامْ؟

زين الحسان..

أسطورة، ترُوى على مر الزمان

كالكونِ، فى إشراقة الصبح النضير

كالزهر، ينضح بالبشاشة والعبير

كالورد، يرقص فوق أمواه الغدير

حلم الحياة..

نغم تردده الشفاه..

يا ويلها.. إذْ أَسلمت يدك المصير

فتركتها، وعدوتَ لما قد لمحتَ الغول يقبل من بعيد

يعوى، فتتهدم الصخور..

عيناه، ملؤهما وعيد..

والهول والبأس الشديد..

مسكينة بدر البدور!!

فى قبضة العملاق أنتِ، ولا نصير..

وحبيبك المغوار، يبحث فى الصخور..

عن حفرة تخفيه حتى ما يغيب..

عن حفرة تحميه من هذا المصير..

من قبضة العملاق، والأسر الرهيب

* * *

(٢)

«قلبى حزين..

«قلبى حزين..

«يا إخوتى، قلبى حزين..

«دام، يمزقه الأنين
«سيظل ينزف هكذا، يبكيك يا بدر البدور..
«طول السنين
«يبكيك، يا أملى الطعين..
«يا أنتِ، يا أنشودة الناى الحزين..
«يا أنتِ، يا أمل الشباب..
«يانبع نورٍ، لاح فى أفقى، وغاب..
«يانبع نور..
«أختاه.. يا بدر البدور..
«أملى الحبيب..
«يابسمة العمر الجديب
«لم هكذا خلّفتنى..
«وتركتنى..
«أحيا بلا أمل.. كما يحيا الغريب؟

«سأظل عمرى هكذا، أبكيك يا أملى الطعين..

«أبكيك، من قلبى الحزين

«يا إخوتى، قلبى حزين»

* * *

(٣)

لِتَسِلْ على الأرض الدموع..

ولْتنصهرْ من حرّها كلُّ الضلوع..

ولْتنطفىءْ كلُّ الشموع

لكنْ، أترجعُ كلُّ أنهار الدموع..

بدر البدور..

لا الدمع يرجعها، ولا الناى الحزين

عذِّبْ فؤادك بالأنين..

واصرخ على الأرض الضياع..

من كلِّ قلبك، من حنينك، من أَسَاك..

واحشدْ جموع العاشقين..

كلَّ الضعاف الخائرين

ولتصرخوا من هول أيام الضياع..

من ثورة الحرمان فى الأرض الخراب..

حسنا رفاقى الطيبين..

ابكوا كما شاءت قلوبكمو، كما شاء الحنين..

ثم انظروا: ماذا جنيتم يا رفاق؟..

لا شىء غير صدى حزين..

لنحيبكم ينساب فى الأرض الخراب..

أرض العذاب..

وهناك فى قصر رهيب..

قصر يقوم ببابه، كالطود، عملاق كئيب..

بدر البدور..

تحيا هناك..

وتظل تحلم بالفكاك..

من أسر عملاق رهيب

يارفقتى، لا الدمع يرجعها ولا هذا النحيب

لا شيء يرجعها سوى هول الصراع..

أسمعت يا قمر الزمان؟

فاطرح جمودك وانطلق عبر القفار..

واذهب إليه هناك فى عزم شديد..

حتى إذا فرغ الصراع

ستعود منتصرا بها.. فترى هنا، فى القفر، فى الأرض الضياع..

طلعت لأجلك روضة ملأى بأزهار نضيره..

كالحب فى عينىْ صغيرهْ..

فتحت لأحلام الهوى أبواب عالمها الرحيب..

من أجل فارسها الحبيب..

* * *

(٤)

«أروح وحدى كى أموتَ، أغيبَ فى فجر الشباب..

«فى كهف عملاق رهيب..

«العمر ليلٌ كله، لا، لا صباح..

«وفِّر حديثك، ما الذى يجدى السلاح؟..

«والغول عملاق رهيب

«سأظلُّ وحدى هاهنا، أبكيك يابدر البدور..

«وهناك ما بين القبور..

«سأُقيم لحداً أبيضاً لك يا حبيبةْ

«وبرأسه، حسنا، سأنصب شاهداً..

«وعليه بالخط البديع..

«سأخط سطراً من دموع..

رقدت هنا فى ذات يوم من ربيع

[لا شىء فيه من الربيع

[أختى الحبيبة..

[بدر البدور]

* * *

(٥)

حاشية

وبعدُ يا صديقتى..

فتلك قصة قديمة

قرأتها فى واحد من الكتب..

سفْرٍ قديم أصفرٍ وجدته فى درج جدّى..

- رحمة الله عليه -

وكان جدّى - رحمة الله عليه - ..

هكذا يحكون عنه..

عندما يقرؤها تجرى دموعه

صديقتى: أتضحكين؟

إذن لماذا كان جدى ـ رحمة الله عليه ـ ..

ينشر الدموع..

ويظهر الخشوع..

وينثنى متمتما بصوته الهلوع:

مسكين يا قمر!!..

مسكين يا قمر!!..

صديقتى: تغير الزمان..

* * *

الخروج من وادي الموت

(١)

لماذا يدلف الأحياء من بوابة الموت الرخاميه..

إلى واد، بلا أشجار..

بلا عشب، بلا أزهار..

ونبقى ثم منحصرين بين مجاهل التيه السديميه..

نعانق وحشة الصمت الخرافية..

ونأكل من خشاش الأرض..

هذا، ما وجدناه..

ومن حين إلى حين..

تغنى غنوة اليأس الجليديه..

(٢)

أحدثكم..

على أن تكتموا ما سوف أذكره..

حذار حذار أن تحكوه للناس..

لكيلا تبذروا فيهم بذور الشك واليأس.

أقول لكم..

رأيت هناك إيزوريس مصلوبا على صخره..

وعيناه مفتحتان..

بوادى الموت كان هناك مصلوبا على صخره..

لم يك فيهما خضره..

ولم تك تنبت الأزهار فى ساقيه..

لم تتفجر النضره..

أجل، ما كان غير الشعر..

شعر أسود قاتم..

بلون الليل، لون اللعنة السوداء..

ومثل القبر، كان الثغر، كالحفره..

وكان بقربه الغربان والبوم..

تؤلف جوفة مشدوخة الألحان، نواحه..

ولم يك ثمّ بين ملامح الوجه الذى قد كان،

يوما ما يجلله سنا الإشراق،

ما يوحى بلون حياته الأولى

وغير البسمة البلهاء لم ألمح..

* * *

(٣)

أسئلكم..

أنحن هنا من الأحياء؟..

أم صرنا من الموتى..

فإن كنتم من الأموات معدودين..

فلتبقوا مع الأموات..

ولتتجرعوا الصمتا..

وإن كنتم من الأحياء..

هيا حطموا الأسوار وانطلقوا..

إلى كون يعانقه الصباح الحلو والألَقُ..

وخلوا وادى الموت..

يغط بجوفه الأموات، وانطلقوا..

أجل، فلتفلتوا من هذه الأسوار،

واخترقوا..

حدوداً ليس يعرفها سوى الأموات

وانطلقوا..

ألا انطلقوا..

ألا انطلقوا..

يباركم شروق الشمس والأفقُ..

* * *

صوتك ياحبيبتى

ويهل صوتك نابضا بالحب، دفاق الحنان..

السحر كان..

الغيث كان..

فأشاع فى صدرى الأمان..

ياصوتها، ياصوت من أهوى..

سلمت على الزمان..

يامبعث النغم الحنون، وذوب هدهدة الكمان..

أنا مذ عبرت النفس، منتشيا أعيش،

كأننى أحيا بأروقةِ الجنان..

ويجئ صوتك من بعيد..

فسكرت من خمر النشيد..

وسكت آونة، لأنعم بالمزيد..

من سحر هذا الصوت، من ترنيمة النغم الفريد

* * *

هل كان صوتك ذاك، أم نبعا من السحر الحلال،

ينساب فى نفسى،

كما تنساب فى أعماق ظمآن شآبيب من الماء الزلال

والقلب يخفق مايزال..

لما أحس الصوت، صوتك أنت يأتى من بعيد..

فكأنه أحلى نشيد..

وأخذت أصغى، أستعيد..

أتجرع الصوت الحبيب..

فى نشوة أصغى إلى أشهى نغم..

ويغيب من قلبى الألم..

فكأن صوتك بلسم، للنفس كان، ومايزال..

«١٩٧٨م»

* * *

تساؤلات لامعنى لها

(١)

خبأت الأمل بعين الشمس

وبثثت حواليه الحراس

سورا منتصبا من أحلام

كى لا يسرقه حين أنام

ويفر بعيدا طير الموت.

من أرشد طير الموت إليه؟

من سمل الفرحة فى عينيه

من ذبحت هذا الحلم يداه؟

من قص جناحيه وأرداه ؟

من عتم فى الأعماق رؤاه ؟

من غرس بصدرى نبتة آه ؟

من حصد الفرحة والأحلام؟

آه يا خونة، يا أقزام

آه يا خونة، يا أقزام

(٢)

أحيانا أسأل نفسى همسا

كى لا يسمعنى عسس الليل المبثوثون بكل مكان

المنزرعون على الجدران

فى هيئة أحداق، أذان

من يزرع وردا يحصد وردا..

من يغرس فُلا يجمع فُلا..

لكن ما بال الناس الآن

لا تحصد غير الصبارات؟

من يقبل تحت ستار الليل ويسرق أزهار البستان؟

من يقبل تحت ستار الليل ويزرع أشجار الصبار؟

من منكم، يا أبناء العار؟

من منكم، يا أبناء العار؟

(٣)

أتساءل: هل من حقى أن أتكلم، أم من حقى الصمت؟

الحق؟

وماذا تعنى كلمة حق؟

حقى، أم حقك، أم حق الخائف مما تعنى كلمة حق؟

إنى أتساءل..

أو ليس لهذا اليوم الحق بأن يتناعب طول الليل؟

أو ليس لتلك القردة كل الحق بأن نتسلق شجر الغاب؟

والحق كذلك للعليق، وللبلاب..

أن يتسلق فوق الأشجار

أن يمتص رحيق الأزهار

أن يحجب ضوء الشمس عن الأنظار

ويظل سؤال:

من منكم يا شطار

يقدر أن يشرح لى بالضبط

ماذا تعنى كلمة حق..

س١٩٨٠م،

حوار عبر الباب المفتوح

(١)

أحدثكم..

وأعلم أنكم لن تفقهوا قولى، ولكنى أحدثكم

أقول لكم:

سمعت الصوت، يدعونى إلى داره..

فقلت: معاذك.. أدخل الدار!!.

ألا، فلتغلق الأبواب فى وجهى، فإنى الآثم العاصى.

إنى عبدك الآبق، غلّق دونىَ البابا..

فقال الصوت: يا مسكين، لا تهذِ..

تقدم وادخل الدارا،

فإنك أطهر الأبناء، يا مسكين: تجهل سرّ ما فيكا؟

تقدم واعبر الأبواب..

(٢)

بكيت، بكيت حتى ضجت الأملاك

بكيت، بكيت حتى خرّت الأفلاك

بكيت، بكيت، ريعت سائر الأرواح من صوتى،

ولاذ الكون بالصّمْتِ

(٣)

أيحمل قلبك الفياض هذا الحب لى وحدى،

ولا أدرى؟

أتمطر أرضى القفراء مدراراً بهذا الغيث،

هذا الوابل المنصب كالنهر،

وما أزجيت من شكر؟

أتمنحنى أنا العاصى سحَائِبَ كل هذا الفضل؟

وهأنذا، أمسّح جبهتى بالباب..

أقبّل سائر الأعتاب

(٤)

بنىّ، بنّى، ماقصّرت..

ـ كيف، وما أتيت إليك؟

لا، لم تبرح الدارا..

ـ وكيف وما ولجتُ البابا؟

هذا سر ما فيكا.. أتجهل سر مافيكا؟

(٥)

وحين نجوز هذا الباب، لا موتٌ ولا أموات..

وتخفت سائر الأصوات..

ولا يبقى سوى صوت: أنا بكمو، وأنتم بى،

أنا أنتم، أنا أنتم، أنا أنتم

سراب

غدير لاح للعطشان

فهرول نحوه ظمآن

وحين أتاه وا أسفاه

أدرك أنه ما كان غير سراب

سراب!

* * *

سراب كل ما قد كان

وهأنا لم أزل ظمآن

فمن ذا يرشد الحيران

إلى نبع المنى الريان

* * *

أنا من عشت فى الصحراء

مشتاقا لقطرة ماء

وأقطع ألف درب من دروب التيه

لعلى أبلغ النبع الذى أبغيه

وحين أراه .. وا أسفاه

أدرك أنه ما كان غير سراب!

* * *

قضائى أن أعيش العمر بين مجاهل الصحراء

بلا أهل، بلا صحب، تحرق جوفى الرمضاء

أسير أسير من درب إلى درب

وليس معى يؤانسنى سوى قلبى

وحين يرن صوت الصمت مبحوحا حوالينا

يصيح القلب يسألنى: إلى أين؟ إلى أينا
وأسمع من بعيد صوته المنشود يدعونى
كموسيقى ترددها حناجر ألف حسون
أنا النبع الذى تبغيه

تقدم ياشريد التيه

فأسرع نحو رجع صداه

تعانقنى بديع رؤاه

وحين أراه وا أسفاه

أدرك أنه ما كان غير سراب

سراب

«١٩٧٥م»

الذئاب السود

تناوشني الذئاب السود

تطرق بابي الموصود،

في إغفاءة الليل

تصب الهول في قلبي

تبيت تئن عند الباب

ترسل خافت الأصوات

تفزعني..

أقول لها: «ألا انفضي،

ألا انفضي،

فليس هناك من أحد،

ومن كانوا هنا رحلوا،

- «إذن من أنت؟»

- «إنى واحد من جملة الأشباح»

- «وأين بقية الأشباح؟»

- «لا أدرى، ألا انفضى،

ألا انفضى»

فلا تمضى،

وتبقى عند باب البيت،

ترسل خافت الأصوات

وحين يلوح نور الفجر،

ترسل صرخة كبرى،

وتمضى كى تغيب هناك،

فى أعماق وادى الصمت

* * *

وحين يحل نفس الوقت،

تقبل سائر الأصوات.

وتأخذ تنبش البابا..

تغز مخالبا سوداء، بقلب الباب

وتبعث خافت الأنات

ذئاب لونها أسود

أحس بلونها من خلف سمك الباب

ويجرى نفس ما قد دار بالأمس

حوار خافت الهمس

وحين يلوح نور الفجر

ترسل صرخة كبرى

وتمضى كى تغيب هناك

فى أعماق وادى الصمت

متى يأتى على الليل،

لا سهد ولا أشجان؟

متى يأتي على الليل،

غير مقرح الأجفان

أعانق أجمل الأحلام

متى يأتي على الليل،

لا همس ولا ذؤبان

تبيت تئن عند الباب

تغز مخالبا سوداء بقلب الباب

وتبعث خافت الأنات؟

متى يأتي على الليل

لا قلق

لا همس

ولا أصوات

أحاديث في الطريق

(١)

عيناك سابحتان فى الأُفق البعيد

يا فرحتى منى السلام

منى السلام إليك يا أشهى غرام

يا بهجة الأيام، يا أملى الوحيد

* * *

(٢)

مازلت يا ليل الشقاء،

أبداً تطلُّ على الوجود

وترتّل الحرمان أغنية يرددها الخلاء

والفارغون،

فوق الرصيف يثرثرون:

«لا.. لاتحرّك بيدقك،

«فالدور من حقى أنا»

سمراء يا أمل الشباب

«أين الشراب،

«يا أيها الساقى الكسول؟»

«أغلق لنا هذا اللعين»

«لا، دعْه يشدو، إنه لحن جميل..

«وكذا أنا حظى جميل.

«والفاشلون..

«فى الحب، حظهمو ذهب»

«إنقل فقد طاب اللعب»

[في ليلة تُسج الغرام خيوطها..]

ويموت في قلبى نغم..

ويثور في صدرى ألم..

وأنا أسير، بلا هدف..

* * *

(٣)

وأنا أسير

والدرب يبدو مظلما، ورغم الضياء

مازلت ياليل الشقاء

«يأيها النجم البعيد..

«يا عابر الأفق الجهوم..

«عرّج على دارى، وأبلغ مَنْ هناك..

«من عاشق دنف سلام

«أبهى سلام

«لاتنسَ يا نجمى الوحيد..

«يا عابر الأفقِ البعيد

«فلربما يوما أعود»

* * *

(٤)

ما أفدح الأعباء والآلام فى هذا الوجود

ما أكثر التعساء والجرحى وأصفاد العبيد

«حملى على كتفى ثقيل..

«يا ظالمى، حملى ثقيل..

«والدهر قاس: يا حياة..

«وأنا شربت عذابه حتى الثماله..

«يا ليل، يا حضن العليل..

«حملى على كتفى ثقيل

* * *

(٥)

الليل يفترش المدينه

وخلال أنوار الطريق الخابيات،

تبدو الوجوه المتعبات،

تلوح فى سحن حزينه..

تحت الظلال الكالحات

«ما أتعس الإنسان فى ليل الشقاء..

«يا أيها الليل الحزين..

«فاض الحنين..

«وفؤاد من أهواه صخر»

[رق الحبيب]

يا ليل، يا مأوى الغريب..

والمتعبين..

* * *

يا أيها النجم البعيد

يا جانحا نحو الأفول

إنى أعود..

إنى أعود تجاه منزلنا العتيق

هناك فى أقصى الطريق

والفجر يبعث فى الوجود

نفح الزنابق والورود

يا فجر، يا أمل الحيارى المتعبين

كم ذا نحن إليك فى شوق، فيخدعنا الحنين!.

لكنْ، أتطلع بعد حين؟

* * *

(٧)

والآن، هأنذا أعود

يا فتنتى: أنى أعود

عيناك سابحتان فى الأُفق البعيد

يا فرحتى: منِّى السلام

من عائد، عبر الحياة،

وسرى وساح

ليعانق الكون الجديد، مع الصباح..

ويبارك الفجر الوليد..

ليبثه أحلى نشيد

«المجد للأطفال، والأزهار، والعشاق، والأزواج،

والجيل الجديد»

منِّى السلام إليك، يا أملى الوحيد

وعمى صباحا، فالوجود..

يضمُّ فى شوقٍ إليه جميع أبناء الحياة

«١٩٥٦م»

وطوفت البحار وعدت

مل المركب التطواف

جئت محملا بتجارب الأيام

من ذا يشترى الحكمة..

من يبغى خلاصة عمرى الضائع بين البحر والأمواج...

هأنذا أعود لكم، وملء جرابى الحكمة..

فمن ذا يشترى الحكمة..

من ذا يشترى الحكمة...

(١)

وقال الناس لى سافر، ففى الأسفار سبع فوائد

سافرت..

أى فوائد سبع؟

أقول لكم..

لقد كانت إذن خدعة!!

لقد عدنا من الأسفار، لم نغنم سوى الأسقام واللوعة!!

(٢)

وقال الناس لى: سافر تجد عوضا عن الأحباب..

عمن قد تفارقه تجد عوضا

وسافرنا

تغربنا

فلم نعثر على الاحباب

يالله!! حتى من عرفناهم

فقد ناهم

وكانت خدعة أخرى

(٣)

وقال الناس لى: سافر..

فمن سافر

يشاهد فى الورى عجبا

وسافرنا..

تغربنا

فماذا قد شهدناه؟

لقد حطت على العينين كف الحزن حتى لم نعد نبصر..

وحطت ملء جنبينا صخور الهم، حتى لم نعد نشعر..

وعدنا مثلما رحنا.

وكانت خدعة أخرى..

(٤)

وقال الناس لى: سافر

وغامر فى بلاد الله، فتش عن كنوز الأرض..

نقب عن مناجمها...

وغص، والمس الأعماق، وابحث عن لألئها

وسافرنا..

وغامرنا..

بلاد الله تحملنا..

وأرض الله تنزلنا

وفتشنا.

حفرنا الصخر، لم نعثر على فحمه..

نزلنا أعمق الأغوار، لم نعثر على نجمه.

وكانت خدعة أخرى..

وقال الناس لى: سافر، تزد عمراً..

يجدد نفسه الإنسان بالأسفار..

فسافرنا...

وكان الموت بالمرصاد..

آلافا من المرات متنا بلا معنى..

ألا أَقْبِحْ به موتا، يكون لغير ما سبب..

كأتفه ما يكون المرء حين يموت مغتربا، بلا معنى..

وعدنا، قد فقدنا العمر، حتى لم نعد نحيا..

نسير وقد حملنا فى مطاوى صدرنا قبرا..

وكانت خدعة أخرى..

خاتمة:

وهأنذا أعود لكم..

بغير كنوز..

أنوء بكل ما حملت من حكمة

وهأنذا كدلال، وقفت بباحة السوق..

أبيع تجارب الأيام

أبيع خلاصة الحكمة..

فمن ذا يشترى الحكمة..

من ذا يشترى الحكمة؟؟

ألا ما أرخص الحكمة!!

ألا ما أرخص الحكمة!!

هكذا غنى السندباد..!!

وترجع يا سندباد..
تطوف عبر البحار..
فهل تهجر البحر يوما، وتطعم خبز القرار؟
متى ذاك يا سندباد؟
متى ذاك يا سندباد؟

* * *

وقالوا: «تعلمت من خوضك البحر».
لا، ما تعلمت غير الندم
وقالوا: «وحزت الكنوز الكبار»،
وما حزت غير الأسى والألم..

* * *

وقالوا: «ومن يجتز البحر يرجع بدر البحار»
أنا اجتزته
وما عدت أحمل غير خواء المحار

* * *

أقول لكم:
تغربت حتى نسيت ملامح وجهى القديم..
تغربت حتى نسيت اسم أمى، واسم أبى،
وأهلى وكل الأحباء والأصدقاء
وحتى حبيبة روحى التى ذات يوم أضاءت حياتى بأبهى ضياء
نسيت اسمها
وما عدت أذكر غير التغرب عبر البحار
طوال الليالى، وطول النهار
فيومى عذاب، وليلى سهاد
أنا السندباد،

أنا السندباد..

* * *

ويمضى الزمان

وتقضى حياتك يا سندباد

فيوما على جنح رخ، ويوما بواد يضم الأفاعى

ويوما تقاوم هوج الرياح، بواحدة من أقاصى الجزر

ويوما أسيرا بجب بعيد، تفتش عن لمحة من أمل

ويوما، ويوما، ويوما، ويوما،

تعذبت ياسندباد

تعذبت حتى مللت العذاب..

* * *

وغيرك، حين يحل المساء، ويأوى الرجال إلى دورهم..

يعانق أطفاله فى حنان...

وغيرك لما يحين الأوان، أوان اللقاء مع الأصدقاء يروح هناك

ليدفن أثقال يوم طويل، مع النرد، والشتم، والقهقهات

وتزهو الحدائق بالعاشقين

وبين الأزاهر والياسمين

يغني القمر..

يقبل ثغر المساء السعيد

وأنت حزين

هناك بعيد، بعيد...

تعانق ليل السهاد

هناك بقلب البحار

فهل تهجر البحر يوما

وتطعم خبز القرار؟

متى ذاك يا سندباد؟

متى ذاك يا سندباد؟

متى ذاك يا سندباد؟

«١٩٦٩م»

* * *

ثلاثة مقاطع من البحر الطويل

(١)

قـضى الحُب أنْ نشـقى بما كَـانَ من وجـد

نقـاسـيـه فى قُـرب، ونصـلاهُ فى بُعْـدِ

ولو كــان يجـدى الصــبـرُ كنت اتّخـذته

مــلاذاً، ولكن كـيفَ والصـبـرُ لاُيجـدى

حــسْـبنا لديكم مــا يَطيب لظامىءٍ

فلَم نَجْـتـرعْ غـيـرَ الممَـدامع والسـهْـدِ

وقُلنا: رياضُ العــشقِ نجنى قُطوفــهــا

ونَـرجـعُ مـنـهــــا بـالأزاهـر والـوردِ

أردْنا اجتناَء الشهد من حيث يُجتنى

فأبنا بلدْغ النحل، لا قِطَع الشهدِ

أردْنا، ولكنَّ المقاديرَ قد رأت

خلاف الذى شئناه فى الحبِّ من قصدِ

تذرَّعت حينا بالأمانى علّنى

أعودُ بما أبغيه من سَائغ الودِّ

وقلت: أديمُ الطرقَ علَّ الذى بدا

مع الطَّرْقَ يَستعصى سيسلُس من بعد

وهأنذا والبابُ مازالَ موصدا

أُعَانى من الأيام والزمنِ النَّكدِ

وأشربُ أيامى عَذابا ولَوعَة

يُقيِّدنى يأسى، ويطْلقنى وجْدى

(٢)

إلى الحب ما ندعو، فلا تَجعلوا الدُّنَى

مغارس أشْواك، ولا تحجُبوا السَّنا

فَمـا يَغـرس الإنسـان فى الصـبح من أذَى

يَذُقْ منه آلامـــا مع الســـهْــد مَـــوهِنا

«ومَن يـكُ ذا روْض ويبــــخل بـورده»

فـــلا أطلعت أرض لذى البــخل ســـوسنا

«ومَن يَجـعل المعـروف فى غـيـر أهله»

ينل رغم مـــا يلقى من الهَمِّ حـــمـــدنا

ومن عــاش فى الدنيـا كـريما مُـسامـحـا

فـيــاطيبَ مـــا يَلقىَ مع الحبِّ فى مُنى

«إذا أنت لم تشــربْ من الحبِّ جَـــرعــة»

فـيــاطول مـــا تظمــاء، وتَلقى مِن الضَّنَى

هو الصَّـــفحُ مـــا نرقى إلى النفسِ سلَّمَـــا

هـو الـود جـــــزنـاه إلـى الـقَـلـبِ دربَـنـا

ومَن شــاء أن يحــيـا عن الناسِ مُـــفْــرداً

ألا فَلْيَكن وجـــهـــا وقلبـــا مـــغـــضنا

إذن فــانشُــدى يا نفَس لحن سَــمــاحــة

وكُـــونـى مَـــدى الأيام لـلحبِّ أرغُنا

(٣)

وقــفتُ أمــام البــابِ، والبـــابُ مــغلق

وفى داخِلى الأشـــواقُ تهـــمى، وتدفقُ

فلمَّـــا طَرقتُ البـاب، صـــاح مُلَبِّـــيـــا

«من الطارق المسكينُ؟ من ثَمَّ يطرق؟»

فــقــقلت: «إمــامى، ذا فَـتـَاك إلى الحـمى

يعـــودُ، فـــهل تحنُو عليـــه وتُشـــفقُ؟»

«فـــهـــلا فـــتـــحتَ البـــاب، إن لديكمـــو

منابعَ نور، بالســمـــاحـــةِ تعـــبق؟»

«فــهـيــا افـتح البـابَ العـصىَّ، فـاننى

إلى مُـــجـــتلى الأضــواء كَم أتشــوَّقُ»

«وقـــفت طَويلا فى الظلام مُـــعـــذبًا

أغصُّ بدَمـــعى، يا حـــبـــيبُ، وأشـــرق»

وعبْر بحار الصمتِ، أقبلَ صوتُه

أشعَّة فجر، في الوجُود، ترقرقُ

أنا يا فتاىَ الغرَّ لم أك مغلقا

بوجهك بابى، لا، ولا سَوف أغلقُ،

«فبابىَ مفتوح لكلّ مضيع

يغرِّبُ فى تيه الدجَى ويشرِّق،

«يُشرِّدُ دهرا فى الحياة، فان أتَى

فدارىَ أفراح، وبابىَ تَشوُّقُ،

سباعية شيء يغتال الأفراح

(١)

من أين يجىء؟

الشىء الأسود، هذا الظل الغامض، هذا المقبل كالأشباح

يأتى، ويعشش فى الأحداق

يأتى، ويهوم فى الأعماق..

من أين يجىء؟

لو أعلم من أى الطرقات يهل لكنت خرجت إليه،

ووضعت قيودا فى قدميه

لأصد رؤاه عن العشاق،

لأرد دجاه عن الأحداق،

ليظل الحلم يغرد فى مقل الأطفال..

ونغنى الفرحة والآمال..

(٢)

زمرة أحباب كنا، ما أروع أن يجتمع الأحباب

السمر الحلو، وقهقهة الأصحاب..

والليل الأبيض، كان الصفو، وكان الضحك بغير حدود

أطفالا عدنا، ودعنا شجن الأيام وهم العيشة والأولاد

ونسينا، يا لله لساعة صفو واحدة، كل عذابات الأيام،

وكل شقاء العالم، كل الاحباطات..

وضحكنا، وسط «العادة» و «المحبوسة»،

بين زياط النرجيلات

والشاه الواقع بين الجند، وبين وزير أرعن،

لا يحميه، فيسقط فى بحر الضحكات..

ويجىء، ترى من أين يجىء؟ فتنبت أزهار سوداء

ويخيم هذا الظل القاتم،

يحصد كل الفرح، وكل الضحك، فتنتحر البسمات

(٣)

ونعود، نجرر خطوا أثقل من كل الأحمال..

كى نفرغ هذا الشىء الأسود فوق الزوجة والأطفال

(٤)

جلسا غردين

العمر هما،

الفرح هما،

زادهما البسمة والأشواق

والنشوة ترقص فى الأحداق

إلفان اعتنقا، ذابا فى صفو الأيام

هاما فى أفق الأحلام

تسجا أعوام العمر القادم نمنمة مشرقة اللون

ثوبا للعرس، قماط،رضيع،

سروالا لصبى مؤتلق القسمات

أغنية دافقة الإيقاع، منسقة النغمات

ويهل الشيء، يجئ ليئد الفرحة، يقتل هذا الأمل الحلو

ريحا، تذرو سحر الأيام ..

عاصفة تحصد زهر الفرح، تقوض أعشاش الأحلام

(٥)

عادا، والحلم المشرق يهوى من آفاقه

والظل الغامض يضحك، يضحك من أعماقه

(٦)

يا طيرا أسود، عشش فى أركان الأنفس،

باض وأفرخ فى أفئدة الناس

من ذا يرديك؟

من ذا سيصدك عن مقل الأطفال

من ذا سيردك عن مهج العشاق؟

كى نسمر صحبة أنس، لايفجؤنا هذا الشيء الأسود،

هذا الظل القاتم، هذا الشبح الشؤم

كى نجلس إلفا يهمس غنوة حب،

فى أذنى محبوب يشرب من فرحة عينيه

فى أذنى بستان النشوة فى شفتيه..

(٧)

من أين.. يجىء؟

المنجل، من يحصد زهر الأيام..

من أين يجىء؟

المشرط، من مزق ثوب الأحلام..

من أين يجىء؟

لو أعلم من أى الطرقات يهل لكنت خرجت إليه

ووضعت قيوداً فى قدميه

لأصد رؤاه عن العشاق

لأرد دجاه عن الأحداق..

ليظل الأمل يغرد فى مقل الأطفال..

ونغنى الفرحة والآمال.

عن الزائر الذى لا يغيب طويلا

(١)

تفجؤنى الآنْ

لا يمضى يومٌ أو يومانْ

إلا ويهلُّ سناك علَى يهل علَى كفيضِ حنانْ

فتكون الظُلّة للحرّانْ

وتكون دثاراً للبردانْ

أو جرعة ماء للظمآنْ

وتكون اللقمة للجوعانْ.

أو مخدع أمنٍ للحيرانْ

أو لمسة حبٍّ تحصد ما بذرته سويعات الحرمان

يغلبنى يأسى حين يمرُّ علّى الوقتُ ولا ألقاكْ

فأَظلُّ أفتّش عنك هنا وهناكْ

فى همسة طيرٍ، رفّة غصنٍ، بين مدارات الأفلاكْ

حتى ألقاكْ

يتبدل حالى حين أراك

تغمرنى الفرحة، من يصنع هذا إلاّك

من يحصد شوك الحزن سواكْ

من يغرس بذر الفرح سواكْ

من تُفعُم نفسى موسيقاه، كما تسرى فى الروح ترانيم الأملاكْ

من يصنع بى هذا إلاّك؟

(٣)

بالله عليك: ألا زُرْنى، لا تخلف يوما ميعادْ

فحلو لك دارى يجعل أيامى أعياداً تتلوها أعيادْ

تتردّد فى ردهات البيت أناشيد الإنشادْ

يُطرح عنى ثوب الإجهادْ

يغمر روحى نور الإسعادْ

نشرق فى وجهى الأضواء، فيلحقنى حسد الحسادْ

ورحيلك عنى يتركنى جوّالاً سار بلا أزوادْ

يسلبنى أغلى شاراتى، يحرمنى كل الأمجادْ

يا من إشراقك يجعلنى، وشموسَ الفرح على ميعادْ

أقْبلْ كى يبقى إيمانى بالناس، بأغنية الحبِّ،

بالخير، بإخصابِ البشرى،

ياوِرْدًا فى ثغرى أحلى،

أشهى من كلّ الأوراد

أغنية شوق صغيرة

بأَشواقى،

بلهفة حبّىَ الباقى،

أجئُ إليكِ يا أملى،

وفرحة هذه اللُّقيا، تزغرد ملْءَ أحداقى

* * *

حياتى:

ليس من عمرى زمانٌ ينقضى وأنا بعيدٌ عن أحبائى

وأيامى، هى الأيامُ نقضيها معاً،

لا عمر إلا ماصنعناه بحلو لقائنا

بعناق روحينا

ببسمتنا،

بنشوتنا،

بضحكتنا ونحن معاً،

ونبضُ الحبِّ يسرى دفقُه فى عمق صدرْينا

ألا ما أضيع الأيامَ، نقضيها بلا لُقْيا!!

* * *

ربيعى:

ما أمرّ العيش حين نكون مفترقين،

تفصلُ بيننا الأَبعادُ،

سبعة أبحرٍ،

سبعٌ من الفوات،

آلافٌ من الأميالِ،

أسفارٌ وأسفارٌ، وأنت هناك

وأبقى هاهنا وحدى، وتفصل بيننا الأبعاد

* * *

وهأنذا،

أعود إليكِ،

أعيدُ بناء أيامى،

أجدِّد عمرىَ الأفراح، عُمْرَ العُمْرِ،

أهجرُ عمرىَ الحرمانَ،

أرجِّع عمرىَ العُمْرَا

أعودُ إليكِ يسبقنى لهاثُ الشوق،

تزهر بسمتى،

تنفتحَ الأَعماقُ،

تطرح ألف زهرة حبّ

* * *

عيناها.. والأفراح!!

تضحك عيناها كلَّ صباحْ
فتغرد فى صدرى الأفراح

تحملنى نظرةُ عينيها
لعوالمَ تجهلهُا الأَتراحْ

ماثمة حزنٌ يسكنها
ماثمة آلامٌ وجراحْ

لاشىء بها غيرُ البشرى
والفرحةُ والنغم الصداحْ

***

تضحك عيناها، تضحك لى
فتعطر عمرى بالأملِ

يالى من ضحكةِ عينيها
تغرسُ فرحتها بالمقلِ

فنهيم نشاوى، عن أثرٍ
تتركه الضحكة لا تسلِ

تزرع فى قلبى بستاناً
مملوءاً بالزهرْ الخضل

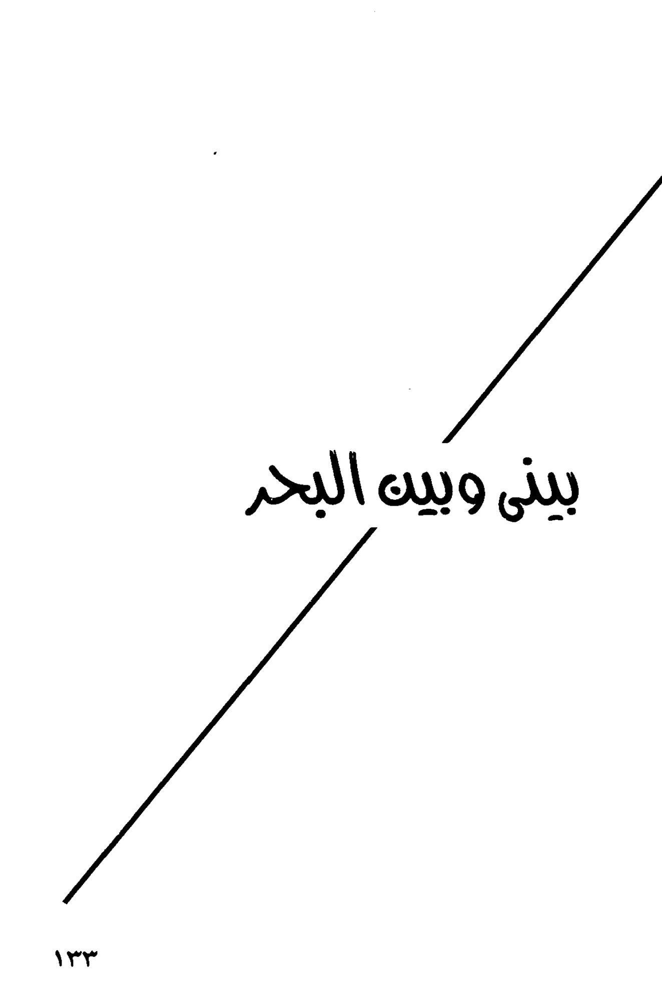
تضحك عيناها الرائقتان فتهاجرُ من قلبى الأحزانْ
تغرس نظرتُها فى قلبى أَشجاراً وارفة الأَغصانْ
أتفيأُ ظلَّ نضارتها وأحوّمُ كالطير النشوانْ
وأعيشُ على أَمل حلوٍ تزرعه هاتان العينانْ

***

تضحك عيناها الساحرتانْ تأسرنى هاتان العينانْ
من قال بأنهما عينانْ إنهما للحبِّ جَناحانْ!
بهما أنساب كمثل شعاعٍ يتسلّقُ أَسوار الأَكوانْ
أتجوّل كالطيف المسحورِ وأرجعُ كالأَملِ الفينانْ

***

تضحك عيناها، يا للهْ! من لم يبصرها ما أَشقَاهْ!
والنورُ ترقرقه العينان فيغمر دنيانا بضياهْ..
لولاه لأطبقت الظلماتُ وأعتمت الدنيا، لولاهْ!
الله لضحكة عينيها الله لسحرهما.. الله!!



بينى وبين البحر

الإهــداء

إلى رفيق غربتى

ولدى : بهاء الدين

أهـدى هذا الديوان الذى شهد

ولادة معظم قصائده

العائد بعد فوات الأوان

يا أيها الذى أتيتنى :
معذرةً لقد فقدتنَى
أبعُدَ أن ثقبت طوقى الأَخير جئتنى ؟
أبعد أن بدأت رحلة الهبوط ،
نحو قاع ذلك الخضم عدت؟
آه كم خذلتنى
لو جئت قبل لحظة لما خسرتنى
لو جئت قبل لحظة لكنت قد نجدتنى
ألم يكنْ فى الوسع أن تجئَ والزمان فى يدى؟
لو جئت قبل ثانية !!!
ثانية يتيمة لكنتَ قد وجدتَنى

لكن تجيء فى الزمان الصفر
آه ، آه ،
قد أضعتنىَ
أهكذا تركتنىَ
مضيِّعا، وبعدها تجيئنى ؟
أنا الذى ما كنت فى يوم أخال أن تفوتنى
أسقيتنى العذاب، يا لمر ما أسقيتَنى !
أطعمتنى السهاد ، يالسوء ما أطعمتنى !
وبعدها تجيئنى ؟
تجيئنى بكل ما من حلوه حرمتنى ؟
لكن تجيء والزمان ضاع
أى قيمة لكل ما به، غداً، أتيتنى
يا ليت كنتَ جئتَنى ،
بنصفِهِ بثلثِه، بربْعَه ،
بعشره ،
وكنت ما تركتنى !!
معذرةً ، لقد فقدتَنى ...

بينى وبين البحر

بينى وبين البحر آصرةٌ، ويحرمنى احتضانَ عبابهِ
خوفى القديمُ، ومشهدُ المتناثرين على سواحلهِ
ضحايا عشقه، وصدى للحْن خافتٍ،
غناه صياد عجوز، ذات يوم لم تلح شمسٌ له.
فرد الشِّباك على شواطئه، وأرخى جفنه، رؤيا
تعاوده بأَنَّ عروسة البحر الجميلةَ،
سوف تخطفه لها زوجاً وتتحفه بدرىّ الكنوز،
غفا على أمل، فمات

(٢)

بينى وبين البحر آصرةٌ ويحرمنى ركوب البحر

قرصانُ يتوّج رأسه بعصابة سوداء

كانت ذات يوم كالنقيع، أحالها كرُّ السنين

الدهْم كالحة.

إلى لون القتار، كنفْسِه السوداء

من ذا ينقذ البحار؟ عاش ملازماً للشطّ.

لم تذهب سفينته إلى أعلى البحار، تظلُّ جاثمةَ

ويبقى لائذاً بالوهم، يحلم أن رحلته ستبدأ، فى صباح طيب، تتصرّم الأَيام، والبحار

يدفعهْ الحنين.

يردهُ الخوف القديم.

فمَن تراه سينقذ البحّار من هذا الشتات؟

(٣)

بينى وبين البحر آصرهٌ، ولست السندبادَ،

يقوده شبق إلى خوض الغمار، يذوب فى أحضانه عشقاً

يغيب يغيب، ثم يعود تُثْقله الكنوز

أخاف، لست السندباد، يقودني عشقٌ إلى

تلك البحار

إلى مجاهلها، يعود محمّلاً بالغاز

حين أعود. لو سأَعودِ، أرجع لست أحمل

غير أصداف المحار،

أعود يثقْلني الغُثاء و أعود يَشْطُرني التَمزقُ

بين نشوة زغبتي في أن أعود إلى احتضان البحر

والملح الذي مازال في حلقي

على الأمل الذي وليّ وفاتْ

(٤)

بيني وبين البحر آصرةٌ ، وبين المدّ، بين

الجزر،

أترك مهجتي للموج، أطفو تارةً للسطح،

أهبط تارة للقاع.

بين المد، بين الجزر، بين السطح، بين

القاع ،

أترك مهجتى للبحر،

هأنذا، وهذا العشق يُسْلِمُنِى إلى تياره المجنون

يغرقنى لينقذنى . وينقذنى ليغرقنى

وأنت البحر . أنت العشق . أنت الموتُ

أنت البعث .

أنت الداء. أنت البرءُ . أنت تميمةُ الأَعماق

خذنى فى سنا عينيك . خذنى موجةً تغروك

وانفضنى إلى ذرَات

(٥)

بينى وبين البحر آصرة . ويحرمنى الجلوس على شواطئه .

أَراقب قرصها الذهبى . حين تغيب فى أعماقه ،

عينٌ تحدق فى سكون .

من تراه يكونُ هذا المشْروع الأَحداق نحو الأُفقِ ،

من هذا المحدق فى انتظار علامة تأْتيه من خلف البحار ؟

أخاف من نظراته الخرساء، تلسعنى أفرُّ، ألوذ ملتجئاً

إلى أَعماقى ،

وحتى متعة النظر البرىء إلى انفساح الأفق توأدُ،

أيها العصر الكثيب :

سلبتنا فرح القلوب الخاليات .

من لا يحسن الزمر في زمن الزمارين

(١)

لو أنّك تحذق فنّ الزمر كبعض الزمارين .
لو أنّك تتقن فنَ المشى على الحبلين كبعض المشائين ،
ما عشت مكانك خلف الصفّ تنوء بما حملت من الأَسفار
تندب أيام العمر الضائع بين الحكمة والأَشعار .

* * *

(٢)

علّمنى شيخى الطيب - يا سامحه اللّه - بأَن أتذرع
بالأسباب .
ألاّ أتسلّل من فرج الأَبواب ،

ألاَّ آكلَ إلاَّ من كدِّ الكفين
ألا أتقرب من أبواب السادة والأَعيان
أن أخلص أيامى للعلم ، وللتحصيل، وللعرفان ،
أن أكشف وجه الزيف، وأفضح ألوان البهتان
أن أرفع صوتى فى وجه الطغيان
فى وجه الظلم، ووجه البغى ، ووجه العسف
ووجه الضيم، ووجه الجور، ووجه الغبن ووجه
المين، ووجه الذلّ، ووجه الباطل والبطلان .
ويموت الشيخُ، يموت غريبا، لا يعرفه سوى
العرفان .

* * *

(٣)

يا شيخى الطيب ، هل أدركت الآن؟
يا شيخى الطيب، هل أدركت الان

* * *

(٤)

يا شيخى الطيِّب
نحن نعيش بزمن تشُمخ فيه شجيرات العلّيق ،
وتعلو اللبلابات ،
كم تبلغ أسمى الغايات !
تتسلق فيه القردة ظهر الناس، وتطفو البالونات،
تتصدّر فيه الحرباوات ..

* * *

(٥)

لو أعلم ما أنفقتُ العمر هباءً بين متاهات الأَسفار
ولكنتُ تعلّمتُ الإبحار .
فى كل بحار العالم، فى كلِّ الأَنهار ،
كيما لا أغرق فى بيداء العمر وحيدا .
لا أمجاد .
ولا شارات .
ولا تذكار .

(١٩٨٠)

تكون معى ..

(١)

وتبقى أنت لى ظلى، ومدفئتى

وسيفى ، حينما الأَعداء، يقتحمون صومعتى .

وتاجى، حينما تنهار من عليائها ، تندك

من أبراجها، أسوار مملكتى

وتبقى أنت لى أبدا .

قميصى . مشعلى . زيتى

تصد مغول هذا العصر ، عن بيتى

وتملأ عالمى بالفرح

أنت ضياء مسرجتى .

تكون معى

فيشرق بالسنا سَمْتى

تغيب، يهدنى الإعياءُ

لا يحمى كيانى الهش غير جدار قوقعتى

فإن ألمح ضياءك خارجا، أخرجْ، ونحوك

فى رضا أنساب .

أكمل لحن أغنيتى

وأمرق مفلتا من سجن شرنقنى وأنت الفرح

أنت نسيج أنسجتى فكن لى. كن معى أبدا ،

تكون أكون

نهرا أنت تجرى فى شراييني وأوردتى

(٢)

وكان الغز قد حجبوك عن قلبى وعن بصرى

فغاب ضياؤك المعشوق ، عن عينّى، يا قمرى
ورحت أسير، والأَشباح، فى أثرى افتش عنك
فى حلى، وفى سفرى

(٣)

وها قد عدت .
جئت لتنثر الأَفراح فى بيتى
نكون أكون، تصبح أنت لى زيتى ومسرجتى
ونهرا مفعما بالنور يهدر فى شراييني وأوردتى

(١٩٨٣)

دريء للشبهات

إيثارا للعافية ، ودرءاً للشبهات ..

ما عدت أغنى إلا لخدود الفتيات ..

للكرز الطافر فوق شفاه الحسناوات ..

للخفر الناعس، بين عيون العذراوات

واتخذت الشاطئ مهبط وحى لى، أقصده فى ساجى

الأوقات .

آوى لحماه ، فأستنطقه ، يلهمنى بأَرقّ

الكلمات ..

فأصوغ الدر لآلىء عقد، تستدنى الآهات ..

وتثير اللوعة فى مهج العشاق، فتنساب
العبرات .

* * *

هأَنذا أجلس فى ركنى المعهود .. وفى كفى الأَوراق
أرسل طرفى فى أقصى الآفاق ..
انتظر الوحى، فمن يدرى؟ قد تفجؤنى لحظة إشراق
فتمد إلىّ يد الإغداق ..
وتفئ على بعذب الشعر، وتنتعش الأعماق ..
فإذا بشتائل روضة شعرى غمرتها روح الإيراق
من أى مكان يفجؤنى، لا أدرى، يأتينى من حيث يشاء
يدهمنى فى ركنى الساجى، عيناه نذير ووعيد ..
يفزعنى الرجل القادحتا شررا عيناه ..
يلقى بسؤال، تقذفه، فى خبث، نحوى شفتاه
ما سر جلوسك فى هذا الموضع بالذات ؟
ما تصنع بيراعك هذا ؟
تتدحرج من ثغرى الكلمات :

أجلس فى حالى كى أكتب، لمزاجى، بضعة أبيات
من جحر أجوف يقذفها، تتهاوى نحوى الكلمات
من ثغر الرجل المتصلب كعمود صخرى صلد
ماذا؟ شعر؟ تكتب شعرا ؟
حسنا، خبرنى فى أى الموضوعات !
تتدحرج من ثغرى الكلمات ..
لا أدرى، لا أعرف سلفاً ماذا أكتب !
إنى أجلس، ثم يحطّ على الوحى، أخطُّ سطورا فوق
الورق الأملس
تنساب الكلمات رخيات
من رأسى تنزلق الكلمات ..
لتصب على الورق أمامى، حتى تمتلئ الصفحات
من يرى؟ قد تخرج أبيات من شعر غزلى عذب
- ماذا؟ غزل؟ تكتب غزلا؟
- ماذا فى ذلك، والشعراء ومنذ أفاض الله عليهم
نعمة قول الشعر يقولون الشعر الغزلى؟

ـ هذا محظور..

ـ محظور؟ كيف ولا أسلم للشاعر دربا فى الدنيا

من قول الشعر الغزلى؟

ـ هذا من سوء التقدير..

يا هذا إنك بالغزل،

تصرف ناشئة الأَوطان

عن جد القول إلى هزله

تغرس فيهم روح اللين ،

إنك تعبث بالأعراض ،

تتعرض لحياء الفتيات

تخدش خفر العذراوات

ـ هل وصل الأمر إلى هذا الدرك السفلى

حسنا، لن أكتب غزلاً بعد اليوم

ما دام الغزل غدا خطرا، أصبح من بين الممنوعات !

(١٩٨٢)

الحلم والأغنية

وحين يكون لى وطنّ بلا أسوار

بغير حصار ،

تعودُ إلىّ فرحة عاشق، إطلالةً، أملاً بساعة وَصْل

ويبقى الحبُّ أغنيةً

على شفة الربيع الفجر، ثغر الطفل، موج البحر،

همس الليل، دفء الودِّ، نور العين يا وصلاً بلا ميعاد

ويا أفقاً بلا أبعاد ..

وعينا طفلتى وطنى، غداة أصير صعلوكاً بلا أوطان

وصدر حبيبتى مهْدى، إذا ضاقت بجسمى المنهكِ

المكدودِ

أضيق ضيّق الأَركانْ..

ويبقى حبنا، يا زهرة الصحراء، أغنية بكل لسان

* * *

وهأنذا أعود إليكِ محمولا على طيرِ كسير جناح،

أردِّد غنوةً منزوعة الإيقاع، لم تسمعْ بها أذنان،

سوى أذنيك، يا عينى، ويا سمعى،

إذا سدت أمام القلب أبواب من الصوان..

أعودُ إليكِ أحلم أننى أرتاح،

أعود إليكِ، أنتِ الجرح والأَفراح،

أعود إليكِ، حين تعود شمسك لى

فندخل بعضنا بعضا،

تداخلنا هو الميلادُ، صحوتنا هى الفجر الذى يأْتى

بلا ميعاد ..

ولكن كيف يدخل بعضنا بعضا، وآلاف من الرقباء

ينتصبون

يرتقبون لحظة أن نحل ببعضنا بعضا،

فينقضُّون

كيما يجهضوا فى صدرنا إشراقة

الميلادْ ..

ويبقى الحلم أغنية على شفتى

تردِّدها طيور بعُد لم تولدّ،

بفضل، فى ضمير الغيب، لم يوجدّ،

بها يأتى سفيرٌ، دائم الترحال، لم يوفدْ

وحين يكون لى وطنٌ

بغير حصار،

تعودُ إلى يا قمرى،

(١٩٨٠)

تناسخ

أمفْضٍ هو النهرُ للبحر؟

أم أنه البحر مُفْضٍ إلى النهر؟

هل ينتهى النهرُ فى البحر؟

أم ينتهى البحر فى النهر؟

أم أنها غنوة للتواصُل؟

يبلع إيقاعها الصمتَ حين تذوب الفصول

ويتصل المدُّ بالجزر، والجزرُ بالمدّ،

لا ذاكِ باقٍ، ولا ذاك فان

وما زالت الشمس تنصب منوالها،

تَنْسِجُ البخْر سحْباً تحمّلها للرياح !!

ويندفع النهرُ يحمل فى برده البحر ملحا ويودا،

ولا يفتأ البحر يزبد فى ثوبه النهر عشبا وطينا

ولا تفقد الأَرض طعم البكارة،

مهما تمرّ العصور !!

(١٩٨٤)

العزف على وتر واحد

(١)

يصدح العندليب الصغير
بالذى يشتهى
فى المكان الذى يشتهى
والزمان الذى يشتهى
إنما أنت يا طائر الشعر ..
لا تملك الحق فى أن تغنى بما تشتهى
فى المكان الذى تشتهى
والزمان الذى تشتهى
آه ، ما أسعد العندليب الصغير !

(٢)

بدر هذا المساء

حائر فى السماء

ليس فى وسعه منحنا قطرة من ضياء

والمغنى الصغير

مات فيه الغناء

أيها البدر: هل قطرة من ضياء؟

ليعود المغنى الصغير

صادحا بالغناء

* * *

(٣)

فى الفضاء البعيد

كان نجم وحيد

يتحدّى الظلام

وبزنزانة قلبها من حجر

كان شاد صغير

مُرْسلاً طرفه رغم قضبانها للفضاء البعيد

والتقت نظرتان

رغم عسف الزمان

يا فتاتى التى لم تزل تنتظر ..

انظرى، انظرى للفضاء البعيد ..

حدّقى، حدّقى حيث نجم وحيد ..

يتحدى الظلام ..

فانا قابع خلف أهدابه ..

«فى انتظار الصباح»

* * *

(٤)

رنّة، رنتَان

دقّة، دقّتان ..

وانتهى اللحن، ذاب

فى انقشاع الصدى

لم يعد غير ذكرى لشهاب أضاء

أى روح تعيد..

للمغنى الوحيد ..

شوقه للغناء؟

(٩٨٣)

سناء والربيع

وأشرقت سناء
كنجمة فى أفّقى الملىء بالغيوم
فأَطلعت أزاهر الضياء
كان الربيع وعدها ..
لا يخلف الكريم موعده..
فى الموعد السعيد أقبلت حبيبتى
يا روعة الرضا..
كان العطاء حبهّا
سخية حبيبتى
ما أوفر العطاء !

* * *

ومرت السنون

وأنتِ روضة الحياة يا سناء

وتطلعين ألف زهرة وزهرة

وتغمرين كوننا الصغير بالبهاء

وتشرقين مثل شمس

الدفء والضياء والنماء فيؤها

تبددت كآبة الشتاء

وعتمة المساء

وودع الصقيع

وأشرقت الضحى على فؤادى الحزين

وأوراق الربيع

تبسم الوجود، كلُّ زهرة فى أيكه سناء

* * *

وتذكرين يا سناء

أيامنا بالشاطئ البعيد، حيث تحضنُ الجبال زرقة المياه

ما أروع الحياة

ونحن مثل طائرين يعزفان لحن الاغتراب

لكن بلا عذاب

ونحن يا أنيستى هناك

أنا وأنت والحنان

والحب والصفاء والأَمان

ما أروع الحياة

* * *

فعشت لى أغرودة على مدى الزمان

سلمت لى يا بسمة الوجودِ..

يا من تغار من جمالها الورود ..

سلمت لى، يا منبع الحنان

فأَنت يا حبيبتى

وطلعة الربيع توأمان ..

(١٩٨٢)

تداعيات في موجتين

ينزلق الوهمْ على الوهْم،

تشتبك الفكرة بالفكرة

ماذا فى وسْعى أن أصنع، وتأبط شرا مُحتدما

قد أمسك بخناقى قهراً،

كى يغْرس فى الحلق الأَشواك لتنبت فى جوف القيعان

لتفرخ بيضات الظلّ المتقوقع فى داخل ذاتى،

نأياً ياَ وهماً يتسرب منْ داخل وهْم،

يا زيفا ينتعل حذاء مثْقُوبا،

فلتسمع هذا،

يتعملَق فى داخل روحى إحْساس،

يتسامى حتى يبتلع جميع مسارات النزف،

بأمعاء الأفق الغربى

يا شمسا عيناها لمَّا تكتحلا بعدُ بغيمات الأُفق

العذرْاء،

ولم تنزعْ عنها جلبابا مصْهوراً من نبْر،

هيَّا نتوحد، نتوهجّ، نشتعل شهابا دّريا،

ولنذهبْ،

إذْ ليس يهمَ الإنسان إذا اشتعْل نجُوما

كى يبزغ فجرْ من منبت فوديه،

الفجرْ تفجّربركْانا،

برّكانا تملؤه البركة،

هذا محصول موفور،

من يحصد كحصادكْ هذا؟

فالعام عصيب، والمرأة تعصْب هامتها بعصابة هندى

أحْمر،

فلتحذر، فالهول وشيك،

فلتحذر، فالهول وشيك

فلتْحذْر.

فَلتحذر فالهو

(١٩٨٤)

ثلاثة أوجه لعملة واحدة

١ النكران

تسأل : هل تعرفه حقاً؟

ـ حقاً؟ ! أسمع هذا..

كان صبيا من أبنائى

كان نباتا يطلع رخواً ذات زمان..

كم أسبغت عليه ظلالى ساعة كان صغيراً يحبو فى

بستانى

كم ذا قد أغدقت عليه الصافىَ من ينبوع

حنانى

أمنع عنه الحرّ، وأحجب عنه الريح، وأحميه أعاصير

الأَيام

يملأ قلبك زهواً أن يحضن بستانك نبتا غضا،

يشرب ماء الحكمة من ينبوعك صفواً،

يكبر، يزهر، يتمدد ساقا وفروعاً

- أما الآن ؟

- حقا حقا .. أما الآن ..

يالتصاريف الأَزمان

ماذا تصنع حين ترى الأَشواك محلّ الزهر

تجرحُ أول من قد غرس النبتة ذات زمان

ماذا تملك إلا أن يأكلك القهر

أن تغرس فى يوم نبتا، أمل حلو،

تودع غرسك رحم الأرض، وتبقى ترقب ما يطلعه غرسك

يطلع زهرا،

يثمر خيرا،

ينشر عطرا،

يبهج نفسا،

يسعد قلبا ..
لكنْ أن يفجأَك الشوك
يبرز من بين الأَوراق
يجرح كفا ذات زمان
منحت هذا الغرس حياته
شئ مرّ
مثل مرارة هذا الثمر الطالع من بين الأَشواك
وتجئ لتسألني الآنْ: هل تعرفه؟
أنا لا أعرف إلا أن مرارة كلّ الصبارات تعلقم حلقي ..

٢ - التناسي

تسأل: هل تعرفه حقا؟
أعرف؟! أسمع هذا
كان صيقى يوما من ذات الأَيام
كانت تجمع بينا الصحبة، نتوحد فينا إشراقاً

أحلى آفاق الأَحلام

كنا أكثر من أخوين

ولكم كنا نتقاسم خبز الإخلاص وملح الود..

نتساقى كاسات الفرحة فى أيام أدبر عنها الفرْح

نغرس بذر وداد فى بستان القلب

نسقى الشجر الطالع ماء الصفو

يزهر وداً، يثمر حبا. .

ما أروع عطر الأَحباب !

حين يضمِّخُ نفس المرء، فتنتعش الأَعماق..

تشبحُ فى نور الإشراق

تشب الفرحة من عمق الأحداق

هذا كان..

ـ كان؟ ! ماذا تقصد ؟

أو ما عاد الود الآن ؟

أسمع قولى: نحن نعيش بزمن الجدب..

أبخل من أن ينبت يوما نبتة حب..

أَبخل من أن يثمر يوما حبة صفو..

أبخل من أن يطلع يوماً زهرة ودٍّ..

هذا الصاحب نسل صالح

من أصلاب زمان طالع

لا تنبت أشجار العلقم إلا العلقم

هل يخرج فردٌ من جلده؟

تسأل: كيف إذن تبكيه؟

لا، وإيائى

لا، معذرة، أبداً أبداً ما أبكيه

لا أبكى فيه الإنسان

لكن أبكى عهدا كان

حبا أينع ذات زمان

- أما الآن؟

- هذا زمن الجرب، أجل، زمن النسيان.

٣ - السقوط

تسأل : هل تعرفه حقا؟

ـ حقاً ؟!

لو أنكرت النبتة طينا فيه تربَت ذات ربيع ..

لو أنكرت النحلة زهرا رشفت منه أحب رحيق

لو أنكرت الديمة بحرا ولدت فيه

جاز لمثلى أن ينكره

كان كتابى

عنه أخذت الحكمة فى أيام شبابى

كم علّمنى

كان يقول لنا : أَبنائى،

«ما أعظم أن تصبح حراً..

«لايستعبد فرداً قيد مثل الحاجة،

«فليتحرر كل منا من حاجته

«تصبح سيد نفسك لو تتخلص من أغلال الحاجة

«ما أضيع إنسانا باع النفس ليكسب كل كنوز الأَرض

خسر النفس، وخسر العرض

عرضك أغلى من أموال الأرض جميعا
نفسك أثمن مما ضمّت كلُّ خزائن تلك الأرض
«ما أروع أن تصبح حراً!» ..
كان يقول، وكان يقول، وكان يقول، وكنت أصدّق
ما أبشع أن تدرك يوما أن إمامك يبرع فى فن التمثيل.
ـ كيف؟ يمثل؟
كان يمثل..
ـ كيف عرفت ؟
ـ ذات مساء
حين وجدت إمامى يلقى جملة أبيات من شعر.
يمدح فيها حاجب مولانا النعمان
كى يجعله يشرف بلقاء السلطان
يحظى بلقاء الملك المعطاء
وهنا انهارت فى داخل نفسى أشياء

* * *

(١٩٨٢)

عن الحب والسأم

قابلتها صدفة،

فتململت كفى فى كفها برهة،

والصمت غشانا..

سألت : أأنت هو الذى كانا..

أم أنت شخص غيره الآنا ؟

فأَجبتُ: إنى الآن لا أدرى ..

من ذا أكون ..

فكيف ما كانا ؟!

سألت : ألم نرع الهوى أملا

وسرى الربيع شذى بدنيانا؟

فأَجبت : عهد غابر ولّى..

ألقى عليه الدهرَ نسيانا

سأَلت : سئمت !!

فقلت في دهش :

ومتى أنا ما كنت سأمانا؟

يا من أتيتِ لتبعثي شيئا

كر السنين كساه أكفانا سأماً ..

أنا قد عرفتك مرة

واليوم أسأَم بعث ما كانا

قالت : لقد حيرتني حقا !!

أو لا تحب ؟

أجبت أحيانا ..

بالحب أحيا فترة ثملا ..

وبدونه أنساب حيرانا

* * *

احباطات عصرية!!

الصورة الأولى

صرخت حين مددت إليها بالوردة كفّى
سقطت من كفّى الوردة حين سمعت الصرخة،
تخرجُ من فيها تخترق سياج القلب
لم أدرك سرَّ الصرخة
هرول ـ شرطىٌّ لما سمع الصرخة ،
وطئ الوردة، مرّ عليها دون شعور أو إحساس
حدَق فى كفى
كانت كفى اليمنى فارغة، والأخرى تمسك بالسكين
أدركت الآن لماذا صرخت حين مددت إليها كفّى
كى أمنحها الوردة

بعد أن احتوت الوردة كفّى ،

لم تقذف أرضاً بالسكين !!

* * *

الصورة الثانية

البنت الحلوة كانت تقف على إفريز الشارع ذات أصيل..

والولد الأَسود كان يطلّ عليها من وقفته عند الطرف الآخر

البنت الحلوة مدّت من بسمتها خيطا..

والولد الأَسود يفتح فاه، وقد شدهته البسمة

البنت الحلوة تخطو مثل غزال تقطع صخب الشارع.

والولد الأَسود، قد غمرته الفرحة، يسرع نحو البنت الحلوة.

البنت الحلوة عبرت، لم تتحفه بعابر لفتة

فالولد الأَسود غابت عنه حقيقة

الولد الأَسود يسقط فى شبك الأَوهام

الولد الأَسود لم ينظر للخلف، ولو مرة

لو كان التفت وراءه

لو كان التفت لأَدرك أن البسمة ما كانت له

ما أكثر ما تخدعنا الأَوهام

فالبنت الحلوة كانت ترسلها لفتى الأَحلام

***

الصورة الثالثة

الوقت شتاء، والمتسول معصوب العينين تكورّ فى

زاوية الشارع

والصمت الجاثم لا يقطعه غير رنين تساقط قطع

العملات بكفيه.

ما أسخى الناس إذا ما أشتد البرد

الوقت شتاء والمتسول معصوب العينين إذا ما انقطع

رنين العملات بكفيّه

ترفّ على شفتيه ذبالة بسمة

كم يرهب أن يلمحها الناس

ويعود رنين تساقط قطع العملات بكفّيه
وتذوب البسمة إذ تتوارى خلف قناع الفاقة
والوقت شتاء
الوقت شتاء والمتسول معصوب العينين،
يعود إلى حجرته، يحصى ما جمعتِ ساعات البرد
يرفع عن عينيه عصابته السوداء
يا هول العار!
هل وصل خداع الناس إلى هذا الدرك السفلى
إن المتسول ـ مفتوح العينين ـ وقد عصرته اللوعة
يلقى العملات الزائفة إلى الأَرض، ويمضى يفتح
باب الدار
ينظر للخارج فى استنفار
يبصق، ويعود فيغلق باب الدار.

(١٩٨٣)

الحوت .. والأسماك

كان الحوت يحب السمك إذ ما صار كبيرا ..

لكن الشاطر منا، نحن السمك، يكوّم ما يتنامى منه

داخل جلده ..

والأَبلة منا، كانت تغلبه نشوته .

يخطر كالطاووس إذا ما استشعر أن قد صار كبيرا،

ولهذا كان سريعا ما يرقد فى جوف الحوت

لكنا بمرور الأَيام عرفنا سر اللعبة ،

إذ أصبح كل منا ينمو فى داخله، لا خارجه

والحوت يحب السمك إذا ما صار كبيرا

الحوت يجوع ، لأن السمك جميعا أصبح لا يعجبه حجما

لكنّ الحوت سريعا ما يتنبه ، يدرك سر الأَمر

الحوت مضى يلتهم السمك جميعا،

ما عاد يفرُّق ما بين الأَحجام

فالسمكة نفس الطعم ..

سواء كانت فى حجم الدودة أم كانت فى حجم الأَهرام

(١٩٨٤)

ماذا نسيت في دوامة الزحام والصخب!!

(١)

ماذا ترانى قائلا لها ..

لو أننى ذات مساء عابر، صادفتها ..

حبيبتى التى تركتها ..

مع الحنين، تنتظر ..

وما ذهبت حيث موعد ضربته لها ..

واخجلتاه !! ..

أى اعتذار ذلك الذى أقوله لها ..

(٢)

يا ويلتاه من زماننا

يشغلنا بتافه الأُمور ..

يشغلنا بتافه الأُمور

ويقتل الإِحساس فى نفوسنا

يمزق الشعور ..

يا ويلتاه من زماننا ..،

زماننا المستهتر، العجول

جواد عمرنا النفور ..

(٣)

ماذا ترانى قائلا لها .

وكيف أعتذر ؟

أقول : إننى نسيت موعدك !! ..

نسيت فى دوامة الزحام والصخب ..

نسيت موعدى معك ؟ !

نسيته، فما أتيت ؟!

نسيته بلا سبب ؟! ..

(٤)

فى ذلك المساء كنت ماضيا

لموعدى معك ..

وفجأة نسيت ..

سالت نفسى ..

أين وجهتك ؟

وجاءنى الجواب غامضا ..

أظنها امرأة ..

وأية امرأة ؟! ..

وأين ؟ ..

ما اسمها ؟ ..

نسيت كل شىء ..

فى زحمة الضجيج والصخب ..

نسيته بلا سبب ..

(٥)

ومر عام ..

وكان أن مررت بالمكان ..

وفجأة تفجر التذكار ..

تذكر الفؤاد كل شىء ..

حبيبتى ..

تركتها هناك تنتظر ..

مع الحنين تنتظر ..

حبيبتى التى نسيتها .. فما ذهبت حسب موعدد ضربته لها

واخجلتاه ..

أى اعتذار ذلك الذى أقوله لها ؟ !

لو أننى ذات مساء عابر صادفتها ..

وأى عذر ذلك الذى يمحو

فداحة الجرم الذى ارتكبته فى حقها ..

فى حق من أحب ..

لكنه زماننا ..

زماننا المستهتر العجلان ..

وداؤنا ..

وباء عصرنا : النسيان ..

(٦)

ماذا ترانى قائلا لها ..

لو أننى ذات مساء عابر صادفتها ..

حبيبتى التى تركتها ..

مع الحنين تنتظر ..

أقول قد نسيت ..

ياللدعابة الثقيلة المروّعة

(١٩٧٥)

ويقتل أبناءه الشعر

«في رثاء أمل دنقل»

ويقتل أبناءه الشعر ..

يقتل أبناءه ..

من سوى الشعر يقتل أبناءه .

يتغذى على جثث من بنيه ؟

ومن غيره - الشعر، يطرح عبر دروب الردى عاشقيه

ومن غيره - الشعر يغرز مديته فى قلوب المحبين .

يشربهم قطرة قطرة، آه هذى دماؤهمو ملء فيه .

ضحاياه، نحن أحباؤه، لعنة تلك، نبنيه، يهدمنا

همنا الشعر، لسنا وإن ننزلق فى مهاوى الردى طارحيه

ونحمله فى الصباح .

ونحمله فى المساء.
فيصبح هم الصباح.
ويمسى عذاب المساء
وندخل من بابه ـ الشعر، يسلمنا للعراء
ونأكل من خبزه ـ الشعر، يملؤنا بالخواء
يحررنا حين يصبح قيدا،
ويطلقنا حين نغدو ـ ونحن أساراه.
عشاق نحلته الأَصفياء
ونهواه، نهواه، كم يقتل العشق أصحابه .
آه، أنتم مساكين، أنتم مساكين، يا أيها الشعراء
حديد هو الشعر،
ما أصلب الشعر، فى يد من يحسن الطعن.
يصبح رمحا، ويجرح صاحبه قبل أن يجرح الآخرين
حديد هو الشعر،
ما أطوع الشعر، فى يد من يعرف الضرب
يصبح سيفا، يطيح بصاحبه

ويله ـ الشعر. كم ذا يمزق منا الوتين !

أسيفا عليهم، وسيفا علينا ؟!

وكنت حقيقاً بألا تكون علينا ،

ولكن عليهم تكون .

ولكنه الشعر، يقتل صاحبه قبل أن يقتل الآخرين

ويا أحمد بن الحسين ..

قتلناك بالشعر يوما

ونقتل فى كل يوم ..

ونوسع ذما ولو ما

نسير مع الشعر حتى نموت ،

إذا عشته مت، تلك بشارتنا معشر الشاعرين،

وما من خيار

فإما حياة الحياة،

وإما السكوت ..

(١٩٨٣)

دفقة حنين

غنوة الملاح، والهمس البعيد ،

والأسى والشوق، والقلب الوحيد .

وارتطام الموج بالصخر نشيد .

ونثار الماء بالشط دموع ..

آه، ما أشجى نشيدك !!

أيها الملاح، حركت الحنين ،

قد كشفت الستر عن شوقى الدفين ..

لحنك المجروح، يا ملاح، أشواق حيارى،

إنه حلو وعذب، رغم شجو ومرارة،

غلفا لحنك يا ملاح، شجو ومرارة ..

يا شعاع الفجر، يا نسمة ريح

يا ندية ،

يا بقية ،

من أسى قلب تمزق،

أحمل الشوق تحية ،

لحبيبة ،

تفتح الشباك فى كل صباح وضحية،

كل عصر ومساء،

ما أمر الانتظار !

ترقب الأَوجه، تبحث

ربما يبرز وجهى، ويلوح ،

ربما عدت ككل العائدين ،

ربما أطفأَت شوقا وحنين،

ما أمر الانتظار !

يا طيور الفجر، يا نسمة حب،

يا ندية

حدثيها إن منْ يرحل لابد يعود ..

خبريها، إنه لما يزل يحتفظ فى الصدر العهود،

لا يميت الحب شئ قدر نسيان العهود ..

ومن القلب إلى القلب رسول ..

يا رسول الحب قد طال اغترابى،

وحنينى لم يزل طيف عذاب ..

لا، وحق الحب، ما كان بودى.

هذه الغربة حظ ونصيب ..

آه، كم أهفو إلى العش الحبيب !

يا دموعى، اهجعى فى غور أعماق الضلوع،

كل ما قد كان حظ ونصيب» ..

وعلى الشاطئ عصفور حزين،

ربما قد هاجه اللحن فغنى،

ربما قد ثار فى الصدر حنين ..

صفق العصفور، من يأس، وطار،

لاح فى الأفق قليلا، ثم غاب،

أرسل اللحن وغاب ..

لحنه ذوب عذاب، وحنين ..

فرحة الروح، حياتى، يا حبيبة،

أنت تدرين، غرامى، كم أحبك !

اسألى قلبك، لن ينكر قلبك،

غير أنى لم أكن أدرك مقدار غرامى،

وهيامى ..

وأنا الآن عرفت،

الهواء، النور والماء أكاسير الحياة،

هى سر الكون، سر العيش، من يذكر هذا ؟..

نحن لا نذكر هذا غير مرة..

حينما يشتد بالناس الهجير،

حينما يحتاط بالخلق الظلام ..

حينما نجرى عطاشا، خلف أطياف السراب..

وأنا الآن حياتى، لا أرى طيف نسيم،

أنا أحيا فى ظلام

وبصدرى ألف غصة

كل هذا ق بلوته

كل هذا رأيته،

فأنا الآن عرفت،

أى حب،

أى شوق وحنين،

أى سر يربط الروح بروح

* * *

(١٩٦٠)

تجارب مجهضة

(١)

* نحمله ، يحملنا،
يبحث عنه فى عيوننا العسس
فندعى الخرس،
ولا نبوح به
حتى يظل سرنا المقدس الأَثير
حتى يظل شطنا الأَخير
حين تضيق فى وجوهنا الشطوط

(٢)

* ندخله، يدخلنا ،
فيستقر فى النخاع ،

ويصبح الضياع،
حينا،
وحينا يصبح الشراع،

(٣)

* من رحم الليل، رمانى الطلق،
خرجت إلى قارعة الصبح،
جنينا، لم يتكون بعد
فأبحر فيك، وتبحر فى،
فأصبح أنت، وتصبح ماذا ؟
انفلت الحلم

(٤)

* يداهمنى البرد، هذا الشتاء
وكنت رهنت ثيابى القديمة، حين أهلّ علينا الربيع
فمن أين لى بالثياب الثقيلة.
والبرد يفجؤنى، والصقيع

(٥)

* صاحبى سابح فى ضياء القمر
وعلى أرضنا يستحم البشر
فى بحار العرق

(٦)

* ماسخ طعمه،

سدر هذا الشجر

أى زيتونة زيتها مايزال

كامناً فى النخاع

(٧)

* السنون العجاف،

أى شىء لنا خلفت للشتاء ؟

وسمان البقر ،

أجهضت فى الربيع

* عاطل، عاطل، يا زمان النساء ..

عبلة ما تزال،

بينما عنترة،

مات من ألف عام

(١٩٨٣)

ترنيمة طائر على سفح جبل

اسمه أحمد شوقى

أستاذى ..

أستاذ الشعراء ..

يا أحمد شوقى، واسمح لى أن نطرح عنا فى حب

قيد الأَلقاب

فأخاطب شخصك، شاعرنا، وبلا ألقاب

نتحادث مثل الأَحباب

يكفيك فخارا يا شوقى، لقب الشاعر

فالشاعر أسمى منزلة من أى أمير

وجميع إمارات الدنيا لن تجعل ممن لم يمنح موهبة

الشعر الغراء .

يوما شاعر ..

أستاذى ..

أستاذ الشعراء

يا أحمد شوقى

مرت خمسون ولم تبرح ملء الأَسماع

وستمضى حقب تتلوها ..

وبرغم رحيلك يا شوقى، وتفرق شمل الأَشياع

ما زلت الدرة ناصعة، تلمع فى جيد الإبداع

يا أروع من قد غنانا أجمل ألحان الوطنية

فالجنة، تقصر، لا تعدل حبك للأرض المصرية

يا صوتا دوى محتدما فى وجه عداة الحرية

ورفعت لشعرك مزهوا أعلاما للإسلامية

وشدوت بحب رسول اللّه، فهلت أنوار علويه

تتفجر صدقا ..

غنتها قيثارة هذا العصر فكانت أروع أغنية

يا شوقى

يا من أبدعها فى فن التمثيل فنونا

أحداث الماضى أرسلها صورا وحوارا موزونا

قمبيز، على بك ..

كليو باترا

قيس المجنون وليلاه ..

عنترة ..

تاريخ الماضى أحياه

* * *

ويمر التاريخ ويبقى اسمك حيا ،،

يا شوقى ..

يا اسما فذا ..

تخبو الأَصوات.

وصوتك يِعلو ..

وبرغم توالى الأَيام

يزداد دويا ..

* * *

مرت خمسون، ولم تبرح ملء الأَسماع

وبرغم رحيلك يا شوقى

وتفرق شمل الأَشياع

مازلت الدرة ناصعة، تلمع فى جيل الإبداع

(١٩٨٢)

العصفور والغناء

تفتح النجمةُ لى بابا لكى أدخل من باب النغم

وأنا أوشك أن أدلف من باب السأَم

فدعونى حجرا ملقى على قارعة الصمت،

فأنى لم أعد أقوى على حمل الأَلم

* * *

شاخت النفس،

خريفا صرت،

ماذا تصنع الأَوراق تذروها

الأَعاصير على كل طريق؟

أعتمت روحى ،

وليلا عدت،

نجماتى خلت، قد أهرقت كل بريق

أجدب القلب

فهل يولد فى الصدر ربيع بابلى

ينفث السحر بجذع، دب فيه السوس،

أضحىَ لبه رخَوا ..

غدا محض نثار، ودقيق؟

آه والنجمة تدعونى لكى أدخل من باب النغم

وأنا أوشك أن أدلف من باب السأَم

فدعونى، قد غدا اللحن نشازا،

عصرنا هذا كئيب، فقد الإيقاع فيه روعة،

كانت له ذات زمان

* * *

آه، كم أرهب أن أحرث فى حقل العدم

نجمتى، ماذا يفيد القلب أن يشدو واللحن نشاز

ما الذى يجديه أن نطلق عصفور النغم؟

بينما نلقى إلى القاع قدم ..

وإلى الفجر الذى يدعو إلى حفلة عرس

الضوء والمحيا ،

تمنينا قدم !!

حدث عند بوابة المطار

(١)

عند بوابةٍ بالمطار الكبير

قال لى واحدُ من صغار العسسْ،

لم يكن حاملاً عطر هذا الوطنْ:

– انتظر برهة

فتَشوا سائر الأَمتعةْ

لم يكن فى يدى غير بعض الكتبْ؛

دفتر من غزلْ،

– قصة عن شهيد غريبْ،

وحبوب صغيرةْ،

لغذاء الطيور .

مرّ عام عليّ .

وأنا انتظرْ ..

مرّ عام جديد.

وأنا انتظرْ..

مرّ عام قديم

وأنا انتظر ..

فمتى تسمحون،

يا صغار العسْس،

بدخول الوطن ؟

(٢)

البيغاء .. والأمل

فى بيتـــنا ببــغاء	لا يحسن الكلاما
لا يحفظ إلا لفظاً	ردّده أعواما
يقوله صبــــــاحاً	يقوله مساء
إنْ يبصرْ الظلاما	أو يلمحْ الضياء

أملُ ، أملُ

أملْ أملْ

لكنّ هذا العاما قد نسى الكلاما

فلم يفه بلفظة صبحا ولا مساء

(٣)

الأزغبُ والقناص

نظرتْ فى عينيه الساهمتين وقالت :

ـ ما أعمق عينيكَ !

حدّق فى شفتيها الظامئتين ، وغنىّ :

ـ ما أروع شفتيك !

فوق الشجرة كان الأَزغب يصدح بالأَلحانْ

مبهوراً ممّا صنعته العينان، وممّا غزلته الشفتان .

لكن رصاصة قناص كانت للعاشق بالمرصاد

الأَزغب طار، وقد أفزعه الضوء الخاطف والإرعاد

والعاشق يهوى، يتلقّفه صدر العاشقة الملهوف

فى زمن فيه الرعب وفيه الخوف :

لماذا نعبأُ بالأَشواق ؟
ولماذا نصدح بالأَمل الأَلأق ؟
ولماذا نحلم بالأَطفال ؟
ولماذا نزرع ريحاناً وزهور ؟
ما دامت تترصّدنا طلقة قناص مأجور

(٤)

الحانة كانت ملأَى بالرّواد
والموسيقيُ الأَعمى كانت قيثارته طفلا فى أحضانه
الحانهُ كانت تصخب بالأَصواتْ
والموسيقيُ الأَعمىّ يستغرقه العزف فلا يلْتفتُ
إلى الضوضاء
وحسبتُ لوقت أنى لا أسمع عزف الأَلحان
لأَن الحانة تصخب بالأصوات
لكنّى حين سعيت إليه، وصرتُ على مقربة
منه،

وأدمتُ الإنصات ،

لم ألمح وتراً يلمع فى القيثارة

الموسيقىُ الأَعمى كانت قيثارته تخلو من أوتار

الحانة كانت تُصغى،

والموسيقىُ الأَعمى لم يكُ يبعث بالألحان

الموسيقىُ الأَعمى، كان بلا آذان

* * *

(١٩٨٣)

مقاطع من قصيدة

فى رثاء أمل دنقل

(١)

قصيدة وحشية الايقاع عاش..

وفى زحام هذه المدينة الكبيرة..

انطلقت خطاه ..

يجوبها من شارع لشارع ..

بقامة فارعة شماء ..

لا تعرف الإعياء ..

يمضى بلا انحناء ..

يشمخ فى استعلاء ...

يجوع ربما ، لكنه لا يطرق الأَبواب ..

لأنه الشاعر، والشاعر ممتد إلى السماء.
فى ظهر كل يوم ..

(٢)

شداة هذا العصر شاعران ..
فشاعر حليته قصيدة ..
كخاتم فى اصبعه ..
كحلة أنيقة مزركشة ..
وجاهة هو القصيد وردة وأغنية ..
وشاعر يعيش شعره، ينزفه دما ..
يموت كلما ..
أنشدها قصيدة من شعره الحسام ..
يجوع كلما ..
أنشدها قصيدة من شعره الرغيف..
لا تعرف المحافل الكبار طلعته ..
لأنه يقول شعره على الرصيف ..
وكان ..

هل أقول كان هذا الشاعر الأَخير ..

(٣)

على رصيف مقهى ريش ..

فى ظهر كل يوم ..

حينما الزمان كان لم يزل لنا زمانا ..

يمنحنا الصفاء والأَمانا ..

كان لنا لقاء ..

وبين رشفة من كوب شاى ..

وقضمة من الرغيف ..

تستنشد الأَشعار .

وربما يمر سائر النهار ..

ونحن لم نزل نستنشد الأَشعار ..

كان الزمان وقتها زمان شعر ..

وكان ناس ذلك الزمان ناس ..

(٤)

فى صيف هذا العام ..

حينما أعود للمدينة الكبيرة ..

أمخر بحر الناس والزحام ..

أى شعور مقبض سيفعم الفؤاد..

حين أفتش عنه فى مكانه هناك ..

فى ركنه المعهود ..

على رصيف مقهى ريش ..

ولا أراه ..

فهل ترانى وقتها أقول ..

كما أقول كل عام ..

«أجلس فى انتظاره فبعد برهة تهل طلعته»..

لكن صيف هذا العام ..

ماذا أقول حين يمتد انتظارى الطويل ..

ولا يجئ ؟..

* * *

(١٩٨٣)

محاولة لرسم خريطة للوطن

ولى وطنٌ أحاصره .

يحاصرنى

يمِد خطوطه فى قلب خارطتى .

فأرسمه . ويرسمنى .

وأصبح قشة فى نبلة الدفاق.

ترقص فى يد الأَمواج

رفةَ طائرٍ يلهو بقرب ضفافه .

أنشودةً عذراء يعزفها على شبّابةِ الأَحلام ..

فلاح خلىُّ البال. لم تعركه بعد رحا السنين الدُّهم،

لم تصبغ مداخله بلون القار أيام الأَسى الهوجاء.

هأنذا. أعاود رسم خارطتى

فترسمنى، وأرسمها

وأدخلها. فتدخلنى

وأصبح عندها خطا يصد جحافل الأعداء

يحضن مقدم الرفقاء،

يفتح بابها للفجر

يدخل بالسنا. بالنور

بالألق الأريجىّ الذى يحيى موات النفس.

يوقظ ما خبا بالرأس .

يدعونى لهذا العرس

هأنذا ... وكل الفرح يدخلنى

يفاجئنى .

بطلعة وجه إيزوريس.

حين تجمعت أعضاؤه فى حضن إيزيس .

وعاد لها،

يعيد الخصب .

يزرع روحه بالأرض .

حورس هبَّ منتصباً بصدر أبيه.

هأَنذا .. وهذا البشْر يغمرنى.

فيا وطنى،

أيا وطنى الذى قد عاد خارطةً تمد خطوطها

الخضراء

فى قلبى.

فتزرعنى، وأزرعها

وتحصدنى، وأحصدها.

وواحدنا يصير الكلَّ.

والكل الذى لولاه ما كانت مشيئتنا يكون الجزءَ.

جزءَ الجزءَ.

حبات التصافى الحلو. تصبح لمعة فى العين.

قطراتٍ من العرق السخى على جبينٍ لوحته

الشمسُ.

دفقاً من دمٍ ينساب.

يدخل رسم خارطتى،

فيصبح بعض أعضائى.

وحين يضمنى صدر التراب الرخو،

تنبت ألف زاهرة . تنورُ كهف أحشائى،

وهأنذا ..

أموت . أموت. لكنى.

سأبعث فى أحبائى ...

ثلاثية

١ حصار

محصوراً بين البحر، وبين الصحراءْ
لو أَفلتُ من قيعان الرملِ، أصارع دوّاماتِ
الماءْ.
يا رملاً يملأُ حلقى.
ملحٌ أنت ورمل
يا ملحاً يفعم روحى ..
رملٌ أنت وملحُ
تتماسك ذراتُ الملح، فتصبح رملاً فى
الحلقِ..

ملوحته تتيبّسُ فى الأَعضاء
تتفتّتُ ذرّاتُ الرمل، تذوبُ فتصبح ملحاً..
أسقط بين الرمل وبين الماء.

٢ هروب

أحيانا يجلسُ فى الركن الأَيمن محشوراً فى سترته
الحمراءْ
أحياناً يجلس فى الركن الأَيسر منكمشا فى سترته
الخضراءْ
يحسب أن ينطلى الأَمر على مكر ثعالبها الرقباء
لا يدرى أن عيونا تمرقُ تحت الجلد
تفتّش عن أصل الأَشياء
فاجلس ما شئت، يمينا ويسارا.
واجلس ما شئت، أماماً ووراء
لن تُفلت من قبضتهم ..
مهما موّهت الموضع..

مهما بدّلت الأَزياءْ

* * *

٣ توحد

فى زمنٍ يعلو فيه بغاث الطير، ويشمخ فى

استعلاءُ

ويصيحُ بوجه النسر..

يجلجل مثل الطير الأَجوف، تسكره الخيلاء

فيطاول مسرى النسر، غروراً ..

يعلو يعلو ..

لا استبصار، ولا استحياء

ماذا فى وسع النسر، سوى أن يقبع فى

استخفاء

كن نسراً أوحد، والزمْ وكرك..

أكرم من أن تسبح وسط الطير.

إذا اصطبغت بالزيف الأَجواء ..

* * *

وعاشق وما عشق

(١)

وعاشق وما عشقْ ..
لأَركبَّن فى الهوى إليك مهرة الأُفق،
ومدركاً بأَنها مشيئة أن أحترق،
وأن يمزق الحنين مهجتى مزق،
وأن أعود هيكلا مبعثرا لأَلتصق ..
سجنتنى، لأَنطلق
أسرتنى، لأَنعتقْ
كان اختلافنا إذن بداية لنتفق
كان افتراقنا خيطاً به سنتسق

(٢)

وعاشقٍ وما عشقْ ...
وكل عاشق له على مدى الهوى طرق،
يسلكها ليحترق،
وإن فى احتراقه النجاة، آه لو درى الذى احترق

(٣)

وعاشقٍ وما عشقْ ..
وأنت قد أتيتنى، وكنت مهجة خبت،
تبددت سوى رمق،
لتزرعى نبوءة سقيتها سنا الحدق،
لمحتها فى دمعة ترف فوق هدبك النبيل،
شمعته فى الليل تأَتلق
والصمت كان بيننا مترجماً حين اللسان ما نطق،
وزفرة حبيسة من أسرها فى الصدر، تنطلق
يا وقدة التوق الذى بحرّ ناره الفؤاد يحترق
أنشودتى عصفورة، تجرى هنا، هناك
تجمع الصفاء قبضة من الشفق:

أسرتنى، لأَنعتق
سجنتنى، لأَنطلق،
شطرتنى، لأَتسق،
دفنتنى ، لأَنبثق،
حصرتنى، لأَخترق،

(٤)

وعاشقٍ وما عشقْ ..
لأَركبن فى الهوى، إليك مهرة الأُفق
ومقسماً بأَننا سنلتقى مهما الدروب تفترق
فى لحظة من الزمان، حرة كأَنها الترق
فى الصبح،
فى الربيع،
فى الغسق ..
فى الموسم الجديد
فى الشتاء،
فى انطفاءة الأُفق
فى لحظة التجمع الذى يضمنا، لنغتبق

فى لحظة التفرق التى تلقى بنا على مشارف الأَفق
والعشق كان بيننا تميمة،
لكى يظل سرنا لنا،
فلا يضيع، ينسرق

(٥)

وعاشقٍ وما عشقْ ...
سيدتى، معذرة، حكاية أقصها
وقد أكون قد قصصتها فيما سبق
لكن أعيد قصها،
معذرة سيدتى، أقصها كما أتفق
عن زهرة غرستها – اذ ضاقت الأَرض بها، –
على مشارف الأَفق
وعاشقٍ وما عشقْ،
وحين جف نبعنا، روّيتها دم الشفق
وعاشق وما عشق
سمدتها بالفرح، بالتوهج النبيل، بالألق
وعاشق وما عشق ..

والحلم كان أن أعود مفعماً بعطرها الفريد،
بالعبق
وعاشق وما عشقْ ...
وحين حل موعد الحصاد
حين حانت ساعة القطاف
لم أجد فى الموضع الذى غرستها به
سوى ورق ...
ورق ...
ورق ...
وعاشقٍ وما عشقْ ..
لقد تعثرت بنا على مشارف الأفق
تبعثرت أشلاؤها.
تناثرت مزق
لهفتى عليك مهرة الأفق

* * *

لكم نيلكم ولى نيل

الإهــداء

إلى الابنة الحبيبة:
ضياء

لكم نيلكم ولى نيل

عيونُ النيلِ تحتضنُ البناتِ،
كَشَفْنَ عن سيقانهنَّ البيضِ أحياناً،
وسُمْراً أغلبَ الأحيانِ،
ثم نَزَلْن صوْب الماءِ يملأنَ الجرارَ،
ضَحكْنَ حين تدغدغُ الأمواهُ باطنَها،
فتنطلقُ الصبايا تنثرُ الضحكاتِ
والولدُ الذى يجتازُ بابَ الحلم، تحت اللبْخةِ العجفاءِ يقبعُ،
فى رداءا لوحْى، يحملُ دفتراً، ويدبِّجُ الأشعارَ،
عن حوريةٍ شقت قميص الماءِ،
واندفعت إليه فعانقتهُ، فذاب فى أحضانِها عشْقاً،

وراح يُلملمُ الكلماتِ،

ينظمُ دُرّها عقداً، ويحلمُ بالغد الفينانِ،

هذا النيلُ أعرفهُ، ويعرفنى،

فهذا النيلُ نيلى،

آهِ، كم أهفو إلى أيامهِ العذراءْ

يلوحُ النيلُ زنْدا فارعاً يمتدُّ يَحْتَضِنُ النجوعَ،

وقد علاه الوشمُ، أخضرَ فى بهاءِ الصبحِ،

أشجارٌ، وأعشابٌ، وتوتاتٌ، وجمّيزٌ،

ونخلاتٌ ودوماتٌ،

مدىً كالفيْضِ مُنساباً،

تهرولُ وسْطَه إيزيسُ،

روحاً تجمع الأشلاءَ،

ضمّتها، وغطّتها بُهدب العين، فى وَلَهٍ،

وتدرى أنه لوضاع شِلْوٌ واحد،

يقضى بأنّ الموتَ مقدورٌ على أوزيرَ،

«لا، لا تقعدى إيزيسُ، هذا موعدُ الإخصابِ،

«حورس، يا وليد الثأر.

«قُمْ واحملْ خلاص أبيك، لا تجبُنْ،

ويبقى الزندُ مُمْتَدّاً بطولِ الحلمِ،

هذا النيلُ أعرفُه ويعرفنى،

فهذا النيلُ نيلى،

آهِ كم سكرتْ بذْوبِ رحيقهِ أحلامُنا الخضراءْ.

ومدّ النيلُ أهداباً،

ليجلس تحتها العشاقُ من بلدى،

وهُمْ يتلون آىَ الحبِّ طاهرةً،

وهذا النيلُ أعرفهُ،

ولا أدرى بنيلٍ آخر قزمٍ،

تخفىّ عن ضياءِ الشمْس فى قلب المقاصير،

التى استشرتْ كورْدِ النيلِ، تأكُل كلّ خَيرِ الأرضِ،

هذا النيلُ أُنكرهُ وينكرنى،

ومدّ النيلُ أهداباً،

تعرّشُ فوق فلاح عجوزٍ،

شمّر الجلباب، وانغرستْ ببطن الأرضِ ساقاهُ،

وأذكر أنّه يوماً تحدّى سطوةَ الفرعونِ،

أرْسلَ ألفَ مظلمةٍ، ليأخذَ حقّه المسلوبَ،

هل كانت فصاحتهُ سوى السرِّ الذى عجزتْ عن

استشرافِه الأسفارُ؟

إنّ السرَّ فى جُرعاتِ هذا النيل ينهلها،

فحلّت عقدةَ كانت تؤود لسانَهُ،

فمضى يدبّجُ ألف مظلمةٍ لأن أتانةَ سُلِبتْ بلاحقٍّ،

ولم يسكتْ.

وهذا النيلُ أعرفُه ويعرفنى،

فهذا النيلُ نيلى،

فاصمتوا إنْ هممت أمواجُهُ بالقولِ،

هذا سيدُ الحكماءْ.

* * *

هو البحر عشق وموت

هو البحرُ عشقٌ وموتٌ،
وبينهما أنت ، لا أنت حيٌ ولا أنت ميْتٌ ،
لأنك بالبحرِ تحيا ، وفى العشقِ تحيا ،
فتحيا غراماً ، وتفنى هياماً ،
ويُسلمك العشقُ للبحر دوماً،
ليلفظك الموتُ للشطِّ حيّاً،
فتسقطَ فى جبِّ جنيةِ البرِّ ، أى امتحانٍ ؟
فهل أنت تنجو من الموتِ فى حضنِ جنية البحرِ ،
حتى تموت على صدر جنية البرِّ ؟ ،
هذا اختبارٌ عجيبٌ تواجهُه اليومَ يا سندباد.

(٢)

هو البحرُ عشقٌ وموتٌ ،

وتقسم لو عدتَ للبرِّ يوما ستُقلع عن عشقك البحرَ ،

حتى إذا ما استقرّ المقامُ ،

وأضجرك العيشُ بالبرِّ ،

نفس الأحاديثِ، نفس الرؤى ،

شدّك العشقُ للبحرِ ،

عُدتَ إلى حضنه عاشقاً، أثقلته التباريحُ ،

علّقت نفسك فوق صوارى السفائنِ ،

أرسلت طرفك ، فى روعةِ الحلمِ ،

هذا قضاؤك ، هذا اختيارك ،

رحلة عمرك بين المماتِ ، وبين المعاد.

(٣)

هو البحرُ عشقٌ وموتٌ،

ولا شيءَ بينهما غيرُ همسِ الجوارى بأخبية الجزرِ،

المستحمّةِ بالصمتِ ليلاً،

وبالوهج المستبدِّ نهاراً،

وغير الصدى العذب للوشْوشاتِ التى ردّدتها الطيور الصغارُ،

وغير الصدى الجْهم للزمجراتِ التى كوّمتْها بأقبية الأفق

بعضُ النسورِ التى هيجتها لُغَى شهوةٍ لا تُطاقُ،

فراحت تصفّق ما بين ريحٍ وعصفٍ، وأنت هو النسرُ،

فافردْ جناحيك، حلّقْ بعيداً، لتجتاز ما يستزادُ وما لا يرادْ.

(٤)

هو البحرُ عشقٌ وموتٌ،

عشقناه حتى تسرّبَ فى عمق أغوارنا،

صار مستخفيا فى النخاعِ،

ويفجؤنا وجهُه فى ليالى الصفاءِ.

وقد ضمّنا مجلس الأصدقاءِ،

وحِيناً ونحن نذوب بأحضانِ جاريةٍ لاتُقاومُ،

يُشعرنا أننا فى المكان الذى لم يكن ليكون،

لوأنّا له مخلصون العهودَ،

يحاصرنا وجْهُه، فنهبُّ نودّعُ أحبابنا،

نكتم الرغبةَ المستبدّةَ فى أن نظلَّ،

نسارع، نبدؤها رحلةً فى المجاهلِ،

تدفعنا رغبةٌ لا تقاوَمُ،

يدفعنا العشقُ للموت، يرفعنا الموتُ للعشقِ

ما بين موتٍ وعشقٍ،

وما بين عشقٍ وموتٍ،

تثور المواجدُ، تبقى لتفنى، وتفنى لتبقى،

فأى مصير يخبئُه البحرُ يا سندباد.

(٥)

هو البحر عشقٌ وموتٌ،

فلا مستقرٌ، ولا مهدَ لى،

مهدِىَ الموجُ، والعاصفاتُ الدثارُ،

فيا موجةً حرّةً لاتزال تصاحبنى أينما كنتُ،

أنت الشهادةُ لى أننى العاشقُ الخالصُ العشقِ،

أنت النبوءةُ لى أننى ذات يومٍ أموتُ على صدره

إيه يا صدرها، صدْرَ محبوبتى، أنتما توأمانِ،

فلا خير إنْ متُ يوماً على صدره،

أو على صدرِك البضِّ معشوقتى أغمض العينَ،

ما أنتِ والبحر إلا الملاذُ،

ألوذُ إليه فأحسبُ أنى إليكِ ألوذُ،

ألوذُ إليكِ فأشعر أنى به لائذٌ،

أنتِ والبحرُ عشقى وموتى،

ومن يحذقُ العشقَ والموتَ كالسندبادْ.

* * *

أنتم الناس أيها الشعراء

كان يُحدِّثُها عن عينيها،

عن سرٍّ يَسْتَخْفِى خلفَ الأهدابْ.

عن ألقٍ نورانىٍّ جذابْ

عن وهجٍ يسكنُ هاتين العينينْ

لكنْ حينَ نظرتُ إليهْ

حدَّقتُ طويلا فى شفتيهْ

أَيقَنْتُ بأنّ الشاعر، وهو يغنى للعينينْ

كانت عيناه تغنى للنهديْن !

(٢)

كان يْجلجِل مْنتفخَ الأوداج،
والكرْشُ الرجراجْ
يهتزُّ على وقع الكلمات
« مَنْ للفقراءِ ، وللأُجراءْ ؟
من للبؤساء وللتُعساء؟
«مَنْ يدفعُ عنهم صوْلة هذا الجوعْ ،
«والبؤسُ يعربدُ فى الأرجاءْ ؟ »
كان يجلجلُ فى صوتٍ عصبىّ،
تتوالى الأبياتُ كما تتوالى الطلقاتْ
والأعينُ تسخو بالعبراتْ
والكرْشُ الرجراجْ ،
يهتزّ على وَقْعِ الكلماتْ

(٣)

كان يرفرفُ بجناحين من النورْ ،

يتنقّلُ مثْلَ العصفورْ ،

ما بين الُمهجِ المتعطشةِ لنبْعِ الحكمةِ من شفتيهْ ،

وتحدّق فى عينيهْ ،

تتلمّسُ هذا السرَّ الغامضَ فى عُمْق العينينْ ،

يتفجّر نوراً من بين الشفتينْ :

حدثنا يا شاعرنا ،

هَبْنا ممّا قد أعطاك اللّه»

غامتْ عيناهْ

وانطلقتْ شفتاهْ

أبنائى : لا أَثْقَل مِنْ زادْ ،

تمتلئُ البطنُ بِه ، فعليكمْ بالأورادْ

اغترفوا من نبْعِ النورْ

غذُّوا الروحَ بخبزِ الزهْد ، فما تشبعُ بطنُ، لو جاعتْ روحْ

زُهْداً يا أبنائى زُهْداً ،

لا يَعْرَى جسدُ يتأزَرُ ثوبَ الحكمةْ ،

، لا تَخْلُو بطنٌ تملؤها الأنوارْ

غامتْ أعيُنُنا بالدمْعْ ،

والصوتُ الخاشعُ يتقطَّرُ حلْواً فى السمْعْ

وسَبَحْنا فى جوٍّ نورانىٍّ أَلاقْ

والشاعر مازال يرقرقُ سِحْراً فى الأسماعْ ،

يتدفّقُ نورىّ الإِيقاعْ

لكنا حين مَسَحْنا الدمْعَ عن العينينْ ،

ورنينُ الكَلِمِ الساحرِ يَصْدَى بالأذنينْ،

كان الشاعرُ قد غَابَ عن الأنظارْ،

لم يَعلَمْ أحدٌ أنّ الشاعرَ كان هُنَاكَ بقلْبِ الدارْ،

كفٌّ تمتدُّ لكى تتناولَ كأساً من كفٍّ الجاريةِ الشقراءْ،

والأخرى تنتقل ما بين إناءٍ وإناءْ

كنا نسبح فى الآفاقْ،

والشاعرُ يغرقُ ما بينَ الأطباقْ.

ثنائية

(١)

النجم والمدار

• لى مدارى أنا

مثل كلّ النجوم الشوارد.

أُفلِتُ من قيد كلّ المجراتِ،

أسبحُ حيث المدى المستطاعْ.

* * *

أىُّ قيد يصدُّ النجوم التى أفلتت من مداراتها

حلّقت عبر أشواقها،

ومضتْ حرةً لا تهابُ الضياعْ؟

* * *

يا لهذا الجنونِ الجميلِ،

الذى عنده لا تعودُ الحياةُ حياةً،

سوى بانتحارِ شهىٍّ،

هو البعثُ، وصلٌ بغير انقطاعْ.

(٢)

الحلم والصبوة

مُمْتَطٍ صهوةَ الحلمِ،

والصبوةُ المجتباةُ العنانُ،

إلى حيث لا يبلغ الوهمُ أمضى،

فهل ذاك ما كنتُه فى الزمانِ البعيدِ، تُرى؟

أمْ يكونُ الذى يمتطى،

ظهر هذا الجواد الجموح سوایْ؟

* * *

أيخرجُ من جلْدتى فارسٌ،

كان يثوى بها مستكناً،

وينطلقُ الآنَ،

يكشفُ عن صبوةِ الروحِ،

يفصحُ عن مشتهایْ؟

* * *

بقدر امتداد الرؤى يسطعُ الحلمُ،

فاذهبْ بعيدا بعيدا،

وحلّقْ مديدا مديدا،

فلا قيدَ يوقفُ،

لا حدَّ يحصرُ،

أنت الزمانُ،

وفيك المكانُ،

وأنت المشيئةُ،

منك الإرادةُ،

يا قبسةَ من ضياء الإلهِ،

تجلّتْ، فكانت دليلى

وقادت خُطاىْ

العزف على أوتار متنوعة

(١)

جثث تغنى

أنا الجثة، المجد كانت

فهل تذكرون الذى كان مجداً، ومات؟

أنا الدوحة، العزّ عاشتْ

ولكنها صوّحت، واستحالت رفات!

وأسمعها ماتزال تغنى،

تحدِّثُ عن سالف العهد، أمجادها الغابرات

فغنّوا، وغنّوا، وغنّوا..

وهل نحنُ نحسنُ إلا ممارسة الأغنيات

أيا جثثاً حشوُها ترّهات

أيا جثثاً أكلت ماضياً،

وتأرق فى ليل حاضرها فى انتظار عقيم لما هو آت..

وليس بآت.

(٢)

المواسم والحلم

ويبقى للمواسم سحرُها..

كلٌّ له طعمٌ

وإنك موسمى..

فتهطلى مطراً ربيعيا،

وأزهاراً،

وأشجاراً،

زنابق..

أنت موسمى الذى سيكونُ،

والـ «كان» الذى ما كان إلا الحلم،

إرهاصا بآت..

كامن فى جوف الغيب،

آه!!

آه من آت يخايلنى،

وما هو آت

(٣)

أغنية نسر مهيض الجناح

وأمرق فى اختراقات اندفاعى،

لأسقط من ذؤابات ارتفاعى..

ويُسلمنى التداعى، للتداعى

ويبقى النسر يشمخُ فى الأعالى

تُغالى..

وتسقط حين تسقط إذ تُغالى

ويبقى النسرُ،

وهو النسر،

يحلم بالأعالى

وأسقطُ من ذؤابات ارتفاعى

وأمرقُ فى اختراقات اندفاعى

ويُسلمنى التداعى..

للتداعى،

للتداعى

(٤)

أغنية خفيفة

عيناك سمائى،

فدعينى عصفورا يتنقل فرحاً فى هذا الأفق النورانى

عيناك سمائى،

فدعينى، كالطير، أرفرف فى دفقة فرح منتشيا،

ما بين صفاء وحنان

عيناك سمائى

فدعينى أبحثُ عن نجم جوالٍ يسكنُ فى ليل مُختبئٍ،

فى عمق العينين، دعينى.

كالفارس أركبُ صهوتك كى أرحل لعوالم شتى،

يسكنها الحبُّ، بها أحيا..

عيناك سمائى،

فدعينى أشربُ صفوهما فى نهم،

حتى تبتل شرايينى،

عيناك سمائى، فدعينى أسكنُ عمقهما،

ودعينى

أغنية للمطر الذى لايجىء

وللمطر الذى بخلت به السحب الشحيحات العطاء أبث

أغنيتى..

لعل البرق يخصبها،

يكون عطاؤها الأشجار، والأعناب، والأعشاب،

والأطيار، والأشعار،

والورد الذى فى القلب، والقلب الذى فى الورد..

والسر الذى فى الصدر، والصدر الذى فى السر.

يا من يخبر المحبوب أنى لم أزل أهواه،

أنّى حافظ ذاكره،

ينسانى ولا أنساه،

يسلونى ولا أسلوه،

يجفونى ولا أجفوه

غنى يا عنادلنا التى حذقت نشيد الحب،

غنى واملىء عينيه بالأفراح،

ردى عنهما تسبيلة الأتراح،

واغتسلى بماء الفجر،

شدى بالرضى زنديه،

عُبِّى من سنا عينيه

وأسقينى،

وكونى النبع، حين تجف فى دربى الينابيعُ

ويا مطر حسبنا أنه سيجىء

ليس يجىء..

كيف تركتنا للقحط؟،

كيف رميتنا للمحل؟،

كيف قذفتنا للجوع، للإجداب،

للوحش الذى يترصد الأطفال،

للغول الذى يتخطف الآمال..؟

هل أنت الذى قد كان زهرتنا ووردتنا؟..

وحنطتنا وغلتنا،

وماء حياتنا..

أم أنت من سيكون شوكتنا وغصتنا؟..

وقبر براعم الأطفال،

كهف ذوابل الآمال؟..

يا مطر حسبنا أنه سيجىء.. ليس يجىء!!

حدث ليلة عيد!!

لم تكن ليلةً مثل كلِّ الليالى التى قد مضتْ

بردها لم يكن مثل بردٍ سبق

والغيوم التى كوّرتها الرياح، وألقت بها فى السماء

البعيدة، لمّا تدعْ نجمة تنبرى للظلام السحيق، فتبرز

من خلف هذا الأفق

وأنا واقف خلف نافذة بلّلتها المياهُ،

أحدّق وسْط الظلام الذى قد عمقْ

ربما طيفها يعبر الدربَ،

تلك التى وعدت أنها سوف تأتى بهذا المساء،

وهأنذا واقف خلف نافذتى والقلقْ

(٢)

ليلة العيد كانت

ترى أى عيد تخبئه هذه الليلة الباردة؟

وأنا واقف فى مكانى أحدِّقُ،

و الصمت بدده صوتها يعلن الواحده

دقةً واحدة،

دقةً أرسلت من بعيد بها ساعة قد ثوت وسْط ميدانها

والتى وعدت أنها سوف تأتى لنبدأ عمراً جديداً معاً لم

تجئْ حينما انتصف الليل، وابتدأ العام كنت وحدى

هنا

كنت وحدى، فلم أحتفل بانقضاء السنه

وابتداء السنه

أى عام ترى سيكون، وتلك بدايته شاهده؟

(٣)

يا لها ليلة!

أىّ صمتٍ عبوس؟

أى ليل بدا غارقاً فى السوادْ؟

وأنا واقف فى انتظار التى وعدت أنها سوف تأتى هنا

حين يأتى المساءْ،

لم تجئ، وأنا لم أزل فى انتظار عقيم،

ربما وأنا واقف هكذا فى انتظارى العقيمْ،

ربما أنها تقطع الليل فى رقصة صاخبهْ،

بين بعض الصحابْ

ربما أغفلت موعدى عامده

ربما، ربما

ربما لم يكن بيننا موعد،

ربما لم يكن لى بها موثق فى الأساسْ

واختلقت الذى كان من موعدٍ بيننا، ربما...

ربما ربما

فالزمان الذى أجدبت أرضُهُ،
لم يقدِّم لنا زهرة واحدهْ
والأمانى الكذابْ،
نمتطى ظهرها حين تقسو الدُّنى،
وتموت الرغابْ.
يا لعام مضى لم يكنْ لى به غير بعض الهشيمْ!
ذاك عام أتى،
أترى ينقضى فى انتظار عقيمْ؟
أم ترى أنه سوف يُفضى بنا لنعيم مقيم؟
أم ترى، أم ترى؟
ذاك حلم قديمْ!

غزلية

إرسال طرفك للهوى سببُ

يرمى، فيجذبنا فننجذبُ

كيف اتقاء هواك، يا قدرى

والسحر من عينيك ينسكب

أهدابك الوطفاء أسلحة

أشرعتها فرعاء تنتصبُ

فهوى فؤادى فى حبائلها

والشوق فى الأعماق يلتهب

قالوا: بهذا العمر تعشقها؟

فأجبت: إن سؤالكم عجب

هذا أوان الحب مكتملا

كل ادعاء غيره كذب

فالقلب فى الخمسين إن يعشق

فالعشق حقا، أو كما يجب

فدعوا الملامة، لا أبالكمو

إنى بما قد شفّنى طَرِب

جرح، ولكن ما أحيلاه!

ما مسنى - جراءه - نصب

جرح أعانقه فيسعدنى

من قال: إن جراحكم نُوَب

هى منّة أهديتها قلبى

لولا هواك، هوى به الوصب

يا حلوة العينين، يا قدرى

بينى وبينك للهوى سبب

يا قرة العينين يا أملى

قلبى تجاهك لم يزل يثب

كالطفل شاهد دمية فمضى

لينالها يبكى وينتحب

وأنا سأبكى دونما أمل

مهما بكيت لأنك الطلب

أغنيات فلسطينية

«فى زمن التردى.. ماذا نملك غير الغناء..
قطرات من ضوء نريقها فوق نهر السواد».

الأغنية الأولى

ليكن لكم ما تشتهونَ..

لنا الربيع القادمُ

متبرعما ينمو على ظمأ، وتخرج بالحياة مواسمُ

ليكن لكم ما تشتهونَ

لنا اندلاع العاصفة..

فى حينها تأتى، فتقذِف بالقلوب الواجفه

ليكن لكم ما تشتهونَ..

لنا الصباح، لنا الغدُ

يأتي به يوما، وإن طال الزمان الموعدُ

ليكن لكم ما تشتهونَ..

فإننا لا نشتهى

إلا الذى نصبو إليه، ضحىً يطل بوجههِ

ليكن لكم ما تشتهونَ

ونشتهى شيئا سواهْ

أن تشتهوا موتا، فشهوتنا بنا تلد الحياهْ.

الأغنية الثانية

من لى بذاكرة تعيد إلىّ أحزان الوطنْ

حتى يُودّع طائر النسيان آفاقى،

ويصدح بى التذكرُ..

من بعيد إليّ ذاكرتى، فتهدر من جديدْ

أنا إن نسيت أمت،

فمن ذا يطرد النسيان من دربى،

فأولّدَ نغمة تطفو على شفة النشيدْ

غنيته وطنا فعاش،

فإن سكت فمن له؟

وطن يعيش بنا،

فإن نسكت يمتْ..

من أجله غنوا معى حتى يعيشَ،

يموت لو مات الغناء..

غنوا. هنالك من يخاف من الغناءْ

غنوا، ليبقى الحلم يسطع وسط أطباق الضبابْ..

غنوا ، ولو كان الغناء هو العذاب.

الأغنية الثالثة

من لى بخارطة تعيد إلىَّ رسم خريطتى؟

تمتد أوردة، شراييناً،

تداخلنى، فتنبغم الحياة

من لى بخارطة تحاصرنى، فتنحبس الرؤى..

طفلا،

وحراثا،

وشيخا جالسا فى ظل دوحته يبسملُ،

آه، يا وطنا يعيش بنا، فإن متنا يمتْ

لن يقتلونا، إننا نحيا به

حتى وإن طال السكوت

لا يسكت البركان إلاكى يعيد بناء دورته، ليولد

جديدْ

صمت لميقات، وبعض الصمت يهدر كالنشيدْ

فترقبوا البركان يولد في جوانحنا،
يزمجر مثل أعصار يجلجل من بعيد

الأغنية الرابعة

من لي بأغنية تعيد إليّ ما طمس الزمان،
أزاهر الزيتون، نفح البرتقال،
وصدحة الشحرور في الوادي الحزينْ
من لي بأغنية تحاورني، فلا أنسى، وتجلدني بأسواط الحنين
هذا العذاب أحبه،
لولاه ما كان التذكر،
آه، من ينسى يموت به الوطنْ
من لي بأغنية تمد تخومها سورا يحاصرني
يضيق بيَ الخناقُ
يسُدُّ أنفاسي، فأهرب منه للفعل الذي يلد الحياهْ

من صلبنا هذا الوليد يجىءُ،

آه، يطل من رحم الشتاتْ

فترقبوه، ترقبوه، فإنه، لا ريب، آتْ.

الأغنية الخامسة

هأنتذا بدرا يعود إلىّ،

يخرج من محاصرة المحاق، يعود يبزغ من جديدْ

هأنتذا أحييتنى،

أماه، طفلك عاد،

عرى ثديك المخصاب، صبى فى فمى طعم الحياةِ،

أنا الظمأ..

اواه من ظمئى الشديدْ

أماه، ضمينى إليك، أحس دفئك فى عروقى،

فى شرايينى، يجدّد رغبتى فى أن أعيش،

لكى يعيش بنا الوطن

أماه، عدت إليك بالطفل الذى زعموه ماتْ

بدرا يطل ممزقا ليل الشتاتْ

غنى معى، تصغى لنا الدنيا، فإن نصمت نمتْ،

بدرى يعود إلىَّ، كيف إذن ستنكره العيون؟

من أجله غنى معى،

غنى، أغانينا تقوم السدَّ فى وجه المنون.

* * *

قصائد قصيرة

القطار

فى انتظار القطار الذى لَن يصلْ..

ظلّ فى صمته، شاخصا للأفقْ..

فوق برد الرصيفْ

مرَ عامَ عليه، وهو فى صمته، فى انتظار القطارْ

مرَ عامُ جديدُ، وهو لما يزلُ، فى انتظار القطارْ

مرَ عامُ قديمٌ، وهو مستغرقْ، فى انتظار القطارْ

- القطار الذى لن يصلْ -

فمتى سوف تأتى؟

متى سوف تقبل يا ...

يا قطار الأمل؟

الهراء الجميلْ...

الهراء الجميل

أَنْته

وأنا نادراً ما أحبُّ الهراء

فلماذا إذنْ لا تكونين لى فرصةً للغناء؟

وأنا داخلى قد خبت من زمنْ....

شهوتى للغناء!!

دعوة بريئة.. للإبحار

تعالىْ

فإنى على شاطىء الحلم أرسو...

تعالىْ، فزورقنا فى انتظار

تعالىْ، لنبدأ رحلتنا المشتهاه

تعالىْ

فقد ضجَّ من صمته زورقى.

تعالىْ، لنبحر - والحلم - فى داخلى عصْفُ شوق

تعالىْ، فزورقنا مايزال يسرُّ بأعماقه للمياه

تعالىْ إلى شاطئ الحلم...

زورقنا فى انتظار

تعالىْ

لنبدأ رحلتنا المرتجاه

بيت واحد

مسافرُ على جناح طائر مقيم

الربيع المتلصص

كان الربيعُ، يحومُ، مرتقبا، على أبوابنا،

فلعلّ فرصته تجىءُ.

فيعبر الأبوابَ،

يدلف نحو دارتنا،

ولكنّا بإصرار نطاردُه.

نغلّق دونه الأبواب...

إنا نكره الدخلاء،

نوصد بابنا فى أوجه الغرباء

عُد من حيثُ جئت،

فلست تدخلُ

يا ربيع الـ....

* * *

ثلاثيات

(١)

كان يشدو مجهد الصوتِ وحيداً، فوق غصنٍ نابتٍ

فى قلب صدر الصخر مزهواً، على إحدى الهضابِ.

وعلى السفح بعيدا، زهرةٌ حمراءُ، فى لون الدم

المسفوكِ، فى لونِ الخضابِ.

شدَّ ما أرّقنى صوتك، يا بلبُل، فى ليلِ اغترابى!

(٢)

موجةٌ تعلو وتعلو، تبتغى أن تكسر القيدَ،

وتلقى نفسها للأفق، تعلو حرّةً،

تهربُ من أسر العبابِ.

نحوها مدّ غريقٌ كفّه، أهوى بها للقاع،

قد غاصا معاً،

أى مصير أسودٍ مدَّ إلى صدريهما آلاف آلاف

الحراب.

هل يميت الموتَ موتٌ؟

ومضةٌ تلمعُ فى قلب الضبابِ.

(٣)

عندما فاجأته يضحكُ فى هذا الصباحْ

كتم الضحكة، أغضى خجلاً،

وكأنى لم أكن أدرك أن الضّحْكَ قد يولد من صلب الجراح.

قلت: فلنضحك معاً،

لم يلتفت نحوى، ووارى فيض عينيه، وألقى

نفسه، تنساب فى مجرى الرياح.

(٤)

حينما برَّحَ ليلُ السهد بالعاشقِ مخذولاً،

وأضناه السهرْ.

أرسل الطرْفَ بعيداً،

باحثا في قلب غيمٍ أسود السحنةِ،

عن وجه القمرْ.

لم يجدْ شيئا،

فأرخى الطرف، في يأسٍ، وأغفى،

عندها أسفر نور الفجر عن وجه القمرْ.

قصيدة وهامش :
أحبك مادمت حيا..

(١)

خذينى إلى شعر عينيك قافية أو رويّا..

وهزى علىّ غصون الأمانى،

تساقط زهرا نديا..

ففى مهد عشقك أولد،

أخلق خلقا سويا..

أحبك ما دمت حيا..

فإن عشت غنيت حبك لحنا يرفرف فى مقلتيا

وإن مت،

فأبكى عليا..

وقولى: لقد عاش يرنو إليا..

ويغزل أحلامه فى المساء، وحيدا،

وفى الصبح يرسلها نغما بابليا..

(٢)

أحبك مادمت حيا..

وأحياك، أغنية، فرحة، دفقة من دم فى عروقى،

سنا يمسح الليل، يزرع فجر الوضاءات،

صبح الأغاريد،

روحا ترفرف من نشوة الوجد، من صبوة العشق،

تفتح أفاقها للربيع،

فيسكن أعطافها سرمديا..

(٣)

هو الموت، والبعث حبك،

يقتلنى مرة، ثم يبعثنى مرة، كل يوم يكرر لعبته

يبدأ الدور بالموت، ثم الحياة،

ليحذق بى صنعة الموت والبعث،

- راض أنا بالمصير -

غريقا آمد لشاطئ عينيك كلتا يديا...

هامش

لك الحب والويل لى،

قسمة عادلة..

تعالى، نعيد الرواية، نبنى التسلسل،

فاصلة، فاصلة..

لك الويل، والحب لى..

هل ترى تكمل السلسلة؟

السفينة.. والرحلة.. والجزيرة

وجّهتُ نحو الشمس دفّتها

ومضيتُ لا ألوى على شيءِ

والموجِ من حولى، يحاصرنى

وأنا أصارع سطوة النّوْءِ

متلمّساً لجزيرة فيها

يا كم نعمتُ بوارف الفىء

فى ظلها قد عشتُ منتشيا

متنعّماً بالزاد والدفءِ

واليوم هأنذا لوجهتها

ساعٍ وجزئى فاقدُ جزئى

أمضى وأمضى، ليس مُلتمسى

سهلاً، وليس هناك من ضوءِ

فالشمس غابت، أين مُتّجهى

والتيه يغمرنى من البدءِ

والظلمة الدكناء تثقلنى

عبئا على عبءٍ على عبءِ

كان الدليلُ الشمسَ أتبعها

أيام كان ضياؤها ملئى

فتقودنى لمدى أحاوله

فأطوله، وأعود بالشيءِ

واليوم يالسفينتى تمضى

عريانةً تسعى بلا ردْءِ

وجزيرتى بهتت ملامحها

وأنا أيممها، بلا ضوءِ

أغنيات وطنية

١ وأنه الوطن

وأنه الوطن..

يكبر حتى يصبح الدنيا،

يصغر حتى يصبح السكن..

وبيننا وبينه مساحتان دائما،

مساحة من الحنين والهيام والشجن..

تملؤها العصافير التى تجعل من أقل قشة به فنن..

ومثلها مساحة لا تعرف الوهن..

تملؤها الصقور والنسور،

ألف مخلب يُمدّ حينما تمتد نحوه يد المحن

وأنه الوطن

٢ معنى الوطن..

يا أيها الوطن..

تحملك الطيور فى عيونها، وحيثما سَرَتْ

مراحلاً مراحلاً..

تحملك البنات فى أكفهنّ،

- تصنع الخيوط للصباح من نسيجهن رائعا -

مغازلا مغازلا..

تحملك الأنهار فى اندفاعها من نبعها إلى المصبّ،

رائقاً جداولاً جداولاً..

ينشدك الصغار،

يمرحون وسْط دوحة الصباح،

يرقصون - والمنى - بلابلا..

وإنك الوطنْ.

٣- معزوفة ختامية

حملته فى خافقى وسرتُ

يشدُّنى إليه ألفُ خيطِ حيث كنتُ

وألف ألفِ غنوةٍ تُعيدنى إليه لو شُغلتّ

«لو انشغلت عنه بالجنان ما انشغلتُ»

لأنه الوطن

مسائل ومعادلات

«إلى الصديق : بدران المخلف»

(١)

قَدَر يُجمَّعُ بين خطَّينا، فيحدثُ الالتقاءْ

لو لم يَحِدْ عن سيره المرسومِ

خطٌّ منهما فى البدْء، ما كان اللقاءْ

لا يلتقى المتوازيانْ

(٢)

حبٌّ، وموتٌ، وانبعاث

هذا المثلّثُ من يؤلف قصة الأضلاعِ فيه؟

هذا المراوغُ من يجمَّع بين ضلعيهِ
الحقيقةِ والخيالِ،
وبين ضلع لم يكن متوقَّعاً،
غيرُ الزمانْ؟

(٣)

فرضيّةٌ طُرحَتْ، ونشرعُ فى الحسابْ
ولكلِّ مسألةٍ جوابْ
فى كلِّ قبرٍ أزهرتْ صبارتان،
وثلاثَ عشرةَ زهرةً كانت هناك.
لكنَّ قبراً واحداً لم يزهر الصبارُ فيه،
والآن: ما عددُ القبورْ؟
ومن ترى من ساكنيها يصطلى النيرانَ، أو يلجُ الجنانْ؟

(٤)

تلك المعادلةُ الرهيبةُ من يفكُّ رمزَها؟

ماذا يساوى الحبُّ فى زمنٍ تُباعُ به النسائمُ،

والأزاهرُ والربيعْ؟

ماذا يساوى الحبُّ فى زمنٍ تدور به الدوالى،

لا تصبُّ سوى الدماء، سوى الصديدْ؟

ماذا يساوى الحبُّ فى زمن الشهيدةِ والشهْيدْ؟

ماذا يساوى الحبُّ، وأحسبْ من جديدْ:

فى كفةٍ وردٌ وحبْ،

والكفة الأخرى بها قلب تعاوره الطعانْ..

(٥)

أنا نقطة فى قلب دائرةٍ،

ونقطتها تساوى الصفر،

ليس تمركزى إلا محاصرةً،

أنا المسجونُ قد ضاقت علىّ حدود دائرتى

تضيقُ، تضيقُ،

لما استحكمت حلقاتُها لم تُفْرج..

«المحصِّلة»

مَنْ لى بفرجارٍ يعيدُ بناء دائرتىَ؟

فيجعل قُطرها لمِدىً يحرِّرنى،

فيطلق داخلى الإنسانْ؟

تفعيلة
على البحر الطويل
الرصد

(١)

زمانٌ يحاورنى، لأدرك سرَّه..
فلا هو مفهومٌ، ولا أنا فاهمُ
وأقطعُ دربى فى سراديبِ ظلمةٍ..
فتثقل رأسى حيرةٌ وطلاسمُ

وأحسب نفسى - أفتح العينَ - صاحباً..
ونومٌ ثقيلٌ فوق رأسى جاثمُ

قضى الليلُ أن نشقى بصحْوٍ مؤرِّقٍ..
فيَاَلأخى صحْوٍ كمن هو نائمٌ!

(٢)

هو الليلُ من حولى..
فهل يرحلُ الليلُ، مُتيحاً لقلبى بصيصاً من النور؟
وهل يشرقُ الفجْرُ الذى ينيرُ متاهاتى؟

وهل تكشف الأيامُ تلك الألاغيزَ التى تشدُّ جوادى
نحوها؟
فيمرق مندفعا..

يجاذبه الضوءُ الغريبُ، فيمضى، ويمضى..
أىّ شوقٍ يشده لسارية النور البعيد؟..
ولكنه العشقُ الذى يمزقُ منا النفسَ،
يلهب فينا الحسَّ،

يوقدُ فينا الوجْدَ، يالتعلاّت!

فهل تنقذ الطفلَ الذى هدّه الداءُ تلك الرُّقَى؟..
وهلْ تلك التعاويذُ التى تُتلى تفيدُ؟..
وهل توقف المنزوفَ تلك التمائمُ؟

(٣)

وأسأل أيامى: أما ثمّ مهربٌ..
من الرصدِ الطاغى الذى هو جاثمُ؟
فيبدأ رجْعُ الصوتِ من حيث ينتهى سؤالى..
أما ثمّ مهربٌ من التيه الذى يحاصر دربى؟

وأغرقُ فى حلمى..
لأصحو بعدها على صوته الحانى، وفيه تناغمُ
وتبزغ فى أفقى البعيدِ وُرَيْدَةٌ..
ومن حولها رفّت هناك حمائمُ..

«لماذا تريدُ الفهمَ، والجهلُ نعمةٌ» ؟
لماذا؟
ويرغى الموجُ فى بحر داخلى..
ويدفقُ من بعد السكونِ التلاطمُ

«كتابة أخرى للقصيدة السابقة»
تقسيمات
على البحر الطويل

(١)

زمانٌ يُعاودنى لأدرك سرّه

فلا هو مفهومٌ، ولا أنا فاهمُ

وأضربُ أخماساً بأسداسِ حيرتى

فتثْقلُ رأسى حيرةٌ وطلاسمُ

(٢)

هو الليلُ من حولى، أباطيلُ عابث

فهل يرحلُ الليلُ؟

وهل يُقبلُ الفجرُ الذى طال توقُنا إليه؟
وهل يُشرقُ الضوءُ الذى ينيرُ كوى عمرى،
فتغمر روحى واحةٌ وغمائمُ؟
وهل تكشفُ الأيامُ تلك الألاغيزَ التى تشدُّ جوادى، نحو دربها؟
فيمرقُ مبهوتاً، يجاذبُهُ الومضُ الشفيفُ،
فيعدو ويعدو،
أى شوق يشده لسارية الفجر البعيد؟
فعولُنْ مفاعيلنْ،
ولكنه العشقُ الذى يُورقُ الأفراحَ،
يوقدُ فينا الوجْدَ،
آهِ أغيثينا، فإنا وهذا التوْقُ، تيارُه الفذُّ،
يا إشراقةَ التيه، لم يفتأ يُجاذبنا،
نكادُ نُجنُّ من ولهٍ،
فَعُولُنْ مفاعيلنْ،

فهل تنقذُ الطفلَ الذى هده الداءُ تلك الرُّقى؟
وهل تلك التعاويذ التى تُتْلى تُفيدُ؟
فَعُولُنْ مفاعيلنْ
وهل تُنْجِدُ المنزوفَ تلك التمائمُ؟

(٣)

ألا شِهْتَ من عصْرٍ،
قليلٌ بياضُهُ،
حلوكٌ سواده،
يطلُّ علينا بالضروس، النوائب..
تطاول حتى شارك النجم أُفقهُ.
تسافل حتى شارك الوحش رزقهُ،
تشابك حتى لم يعُدْ فيه مسلكٌ،
لمن رام درباً بالنصاعة يُشرقُ
وجاد علينا كهفُه بالعجائب.

(٤)

ورغم جثوم الليل فى كل موقع،
ورغم هروب النور منْ كل موضع،

أرى قطراتٍ من ضياءٍ تجمعتْ،
هناك وراء النهر،
والنهرُ ناضبُ،
فأبشرْ بها أبشرْ
سترِبط بينها
فعولُن مفاعيلنْ،

خيوطٌ من الأمل الشفيف،
تُحيلها ترانيمَ عُرسٍ،
آهِ، هذى سحائبُ!
وعما قليل يهطلُ الغيثُ هامياً،
فعولُنْ مفاعيلنْ،
فيضحك ثغر الكون،
هل من مفسرٍّ يؤّول لى رؤيایَ؟
إنى تقاذفتنى المذاهبُ.

* * *

ثلاث صفحات من دفتر الغزل

«الصفحة الأولى»

هدهديني على جناح الأماني

وكفاني ما كان من حرمانِ

أنت عمري جميعه، ما تولىّ

والذي يستجد من أزماني

حاضري أنت، والقديم انتظارا

كان، كي تشرقي لدى الايذان

فصليني، فإن وصلكِ وعد

من ربيع إلى الربيع الثاني

تُقبلى تفعم السعادة روحى

وتدب الحياة فى شريانى

وتغيبى تغب شموس حياتى

ويكف الوجود عن دوران

يا ربيع الفؤاد، أنت حضور

وكيان يعيش ملء كيانى

أنت أنس وبهجة وسرور

وانتشاء وفرحة وأغان

فتعالى نعش حياة خلود

تتأبّى على الزمان الفانى

لا تقولى غداً، فذاك انتزاع

من حياة أيامها كالثوانى

الصفحة الثانية

ما لمثلى على جفاك اصطبار

فصلينى يمس قلبى اخضرارُ

إن عودا ذوى لطول جفاف

لوْهمَى وصلك اعتراه ازدهار

فتعود الحياة تطفر بشرا

وترف الشموس والأقمار

فإذا عالمى يفيض ضياء

حين تهمى بداخلى الأنوار

جنة أنت لو يفيض حنان

بينما الصد يا جميلةُ نار

اسعفى القلب بالوصال، فروضى

منذ شطّ النوى علاه اصفرار

آه لو يسمح الزمان بلقيا

بعد أن طال بالفؤاد انتظار

تصدح الروح بالغناء وتزهو

فى فؤادى الورود والأزهار

ويرفّ النسيم رطبا رخيا

وتغنّى لفرحتى الأطيار

ويضوع الشذا، فيفعم نفسى

ويطيب الغناء والأشعار

الصفحة الثالثة

من أنت حتى تضمرى إذلالى

يا من صنعتك من صميم خيال

لا تشمخى زهوا فأنت صنيعتى

والطين لا يسمو على المثّالِ

من لمسة منى صنعتك آيهْ

فنية تزرى بكل مثال

واليوم تنسين الصنيع تنكرا

فدعى الغرور، كفاك سوْق دلال

ما أنت إلا ومضة فى خاطرى
لمعت بأعماقى كلمعة آلِ
أكذوبة صدقتها يوم وها
أنذا أعود إلى طبيعة حالى

ما كنت لى ريّا لأهرع مطفئاً
ظمئى لديك، فلست نبع وصال
تمثال وهم أنت، شدت كيانه
واليوم أحْطِم جانب التمثال
لا، لست عبداً للجمال إذا طغى
فالحر لا يثنيه قيد جمال
كونى الجمال جميعه لن تُخضعى
بالحسن، لن تستعبدى أمثالى

العزف على وتر الجرح

(١)

يعاودهُ النزفُ،

ينزفُ، ينزفُ،

يومى إلىّ، لكيما افتّش عمّن يضمّدهُ،

والهزيعُ الأخيرُ من الليل يلقى على الكونِ سدْلَ

السكونِ،

أهبُّ إلى خارج البيتِ، أهرعُ،

إبحث فى جنبات الحديقةِ، بين مساربها المعتماتِ،

افتش عن قبضةٍ من نثائر زهرِ الخريفِ،

أنقّب عن بعضِ أوراقها اليابساتِ

تكونُ الضمادة للجُرح، توقف هذا النزيف الملحّ،
- ومن يوقفُ النزف غيرى بهذا المساء الكئيبِ،
وذلك عام الرمادةِ

أرجعُ، مازال ينزفُ، حاولتُ
لم يوقف النزف أوراقى اليابساتُ،
وبعض نثائر زهر الخريفِ،
ومازال هذا المداهمُ يفرى بمُديته فى السجدْ.

(٢)

يعاوده النزفُ، ينزفُ ينزفُ،
لم يجْده كلُّ ما كان منىّ:
خرجتُ أفتّش عن أى شىءٍ لأوقفَ هذا النزيفَ،
وقلتُ: أجرّب طبَّ البداءةِ،
سرت إلى بابها،
تلك نوريّةٌ تحذقُ السحرَ،
- «ناشدتك الله سيدتى، جرحهُ نازفٌ

علّ فى طبّك البكْر إنقاذَه،.
خرجتْ، شعرها نَاشز،
والعيون التى قرحتها السنون العجافُ بها حمرةُ القهْرِ،
- «من صاحبُ الجرح؟» تسألنى،
حينما صكّ مسمعها الردُّ
عادت، وقد أغلقت بابها...
واختفتْ،
وأنا لم أزلْ حاضنا حيْرتى، كالرصدْ،
يعاوده النزفُ، ينزفُ ينزفُ..
فى حيرتى لم أكن قد سألت عن السرِّ فى ترفه،
قلتُ: أسأله،
علّنى أعرف السرَّ،
- معرفة الداء أولى الخطا نحو دربِ الشفاءِ -
يقولون، والقول ما قاله الأولونَ،
سألت، ولكنه لم يُجِبْ،

عدتُ أسأل، لكنه لم يُجِبْ،

والنزيفُ النزيفُ قد امتدّ نهراً،

طويلا طويلاً

عميقاً عميقاً

من الجرحِ، حتى انفساحِ الأبدْ

(٤)

«تعليق على ما حدث»

لنا الله سيدتى،

صار نزف الفتى لعنةَ مثل ظلٍّ، تلاحقُهُ،

أينما كانَ،

قد أصبح النزفُ شارةَ هذا الزمانِ،

وها نحن نحذقُ فنَّ النزيفِ،

فهيّا انزفوا وانزفوا...

انزفوا، لن يهبَّ لكى يوقفَ النزف فيكم أحدْ.

* * *

آيات من «سفر الحب»

(١)

أحبائى،

لكم حبى الذى لا حب فى الدنيا يجاوزه،

سوى حبى لمن وهب الحياة،

أحبه حبا يفوق الحب،

للسبب الذى من أجله أحببتكم حبا أقل،

فإنه أعطاكمو إياى،

لكن أنتمو لم تمنحونى مثل منحته،

أجاوز ديدن الأنصاف لو يتعادل الحبان،

هل نعطى الذى يعطى الأجل،

كمثل ما نعطى الذى يعطى الأقل،

نكون قد حدنا عن القصد الصحيح.

(٢)

أحبائى،

يعشش حبكم فى الصدر مثل حمامة بيضاء،

باضت عند باب القلب،

أفرخت السلام، الأمن، صفو النفس،

فرحة عاشقٍ،

إطلالة للفجر بعد جثوم ليل حالكٍ،

لحنا، وموسيقى، وأغنية،

تضمد نزفة القلب الجريح.

(٣)

أحبائى،

يعاودنى الحنين إليكمو،

داء يلازمنى، وأحضنه،

يؤرقنى وأحضنه،

فنعم الداء داء لا يفارقنى،

أعانقه وألثم وجنتيه،

اضمه كالحلم، فى صحوى، وفى نومى،

يعذبنى، وأعشقه،

يمزقنى، وأعشقه،

يحاصرنى، وأعشقه،

يقيدنى، وأعشقه،

واسعى خلفه أبدا،

الاحقه،

أجاذبه،

وأخطب وده عمرى،

ولم لا، وهو اعطانى من النعمى،

أتاح من الرضى ما ليس إلا مثله يوما لأمثالى

يتيح.

(٤)

أحبائى،

وينمو الحب بالكتمان، لا الإعلان،

بالتلميح، لا التصريح،

بالإنكار، لا الأخبار،

لكن حبنا غير الذى عرفوه،

ينمو حبنا بالبوح،

بالإظهار، لا الإضمار،

بالتصريح لا التلميح

حب باهر كالشمس تملأ ساحة الأفق الفسيح

ثلاث متواليات
من البحر الكامل

(١)

وجع

وجعى بكلّ مواجع الدنيا،

فلا تتحسّسى وجعى،

يصبْك الداء والوجعُ.

إنى أنا الوجع الذى ما بعده وجعُ

إنى أنا الجرح الذى كل الجراح عليه تجتمعُ

أنا قمة الآلامِ،

أية قمة ترقى إلى أفقى،

وترتفعُ.

(٢)

هدف

مستهدفان أنا وأنت،

فلا تكُنْ لك بى صلهْ.

وكأننا يوما من الأيام لم نكُ واحدا،

متداخلين كأننا جسدٌ له قلبان،

بل قلب نعشش داخلهْ

روحان معتنقانِ،

مرحلة تعانقُ مرحلهْ

نصفين كنت أنا وأنت معاً،

إلى أن حاصرتنا الأسئلهْ

(٣)

بشارة

حجرٌ حجرْ.
ليكنْ حجرْ.
لكنْ به نلج السماءَ وننتصرْ.
حجرٌ حجرْ.
ليكن حجر.
هذْا الذى صرنا به لحناً،
على شفة القدر.
هذا الذى انبجست ينابيع البشارة منهُ،
كى تُحيى موات الأنفس اللاتى توارت..
تحت أطمار الكدرْ.
لمَ يختف؟
أوَ لم يكن شمساً تُبدِّد ليلنا الداجى العكرُ؟
فدعوه يشرق من جديدٍ،
إن ليل وجودنا،
عطش إلى هذا القمرْ!!

أربع قصائد قصيرة

(١)

الحلم الميت

هو الحلمُ ما كانَ، لا ما يكونْ..

خَبَتْ نارُنا تحْتَ وسْم الرمادْ..

فلا توقظى الحلمَ،

ولّى زمانُ التوقّع،

فات زمانُ انبعاثى..

فهل أنتِ عيسى، لتحيى مواتْ؟

(٢)

مجرد جرعة

ألا فاسقنى جرعةً من ضياءْ..
تُقطّرها فى عيون الصباحِ شموسٌ لها وهجٌ كالأريجْ
لعلّى أعوّدُ كما كنتُ مُتشحاً بالمرايا..
فأثقبُ دائرةَ الوعْدِ،
أنفذُ منها لأعلى مجرّةْ،
وأرجعُ، خلفى قطيعٌ من الأنجمِ الثاقباتْ.

(٣)

مراودة

وأَوْمَتْ، فَسِرْتُ..
ومن عيْنها ألفُ شمسٍ تُطلُّ..
تنادى بوعْدِ التقاءِ السُّها بالثريّا..
فأمضى وأمضى،

فلا أنا حاظٍ بما يُشْعِلُ الوعْدَ فىَّ،
ولا أنا ثاوٍ بنقطةِ بدئى التى ذُقْتُ فيها،
شهىَّ السباتْ

(٤)

تميمة

وأَخْفيتُها فى تلافيفِ صدرى..
لكيلا تراها العيونُ التى حاصرتنى بنار الحسدْ..
فياديمةَ البُرْءِ،
كونى نداى الذى يُثلجُ الروحَ..
كونى البشارةَ،
كونى النبوءةَ تَهْمى بصيرورةِ الأمنياتْ

الملك والصعلوك

أرتدى الطيلسانْ

أُمْسِك الصولجانْ

أىّ مجدٍ أريدْ،

بعد هذا الذى كان حلمى، فكانْ؟

أخلعُ الطيلسانْ

أرهن الصولجانْ

هأنا عدتُ حرّاً بعد ذاك الهوانْ!

فى المرايا التى رصدت فى الزوايا

لتثير الضحكْ،

نظرةً واحدهْ

نظرة خاطفهْ

بعدها صاحبى

أدرك المسألهْ

غير أنّ الضحكْ

لم يعد ممكناً!!

انفلات

(١)

وتأتى العناكب من كل صوب،
تعشش فى المهج الساجيات،
فتملؤها بالنسيج الرمادى،
يمتد، يمتد، حتى تطاول سترا منيعا،
ليحجب ضوء الشموس التى ضوأت فى الحنايا،
وظلت تضوئ منذ الزمان البعيد، البعد، البعيد.

(٢)

يحاصر شمسى نسيج العناكب،
سدا ضفيقا،

فامرق كالوهج المستحر،

امزق تلك الخيوط اللعينة،

اصعد، اصعد،

اهرب بالشمس فى،

إلى حيث أبدأ دربا جديدا،

بهذا السمو المديد، المديد، المديد.

(٣)

أحاور نجمتى الشاردة:

- تعالى نغن!

- وهل ثم ما يبعث الشدو؟

- وعد بفجر وليد.

- وهذا النسيج الذى يحجب الحلم؟

- نهتكه بانطلاق جديد.

- ويبقى لنا حلمنا؟

- رغم زحف الظلام الوئيد.

- ونمضى معا؟

- مثلما يا ضيائى نريد

- ويعلو النشيد.

* * *

صورتان

(١)

يُقبلُ نحوى

يرشقُ فى وجهى بسمة قردٍ موسيقىٍّ أخرسْ

أتقيأحين أحسُّ بجوفى،

تنداحُ لُزوجةُ هذا الوجه الأملسْ

أمضى فى دربى، لا أنبسْ

(٢)

حين أممتُ المقْصِفَ كان الكلُّ اثنين اثنين

إلا طاولةً واحدةً تتصدّرها فاترةُ العينين

أو مأت إليها:

«هل أجلسُ؟»

فأجابت بإشارة عين

وجلست إليها، وأنا مأخوذٌ بالسحر الكامنِ،

خلف الهدبين

وأخذت أحدّثها، ثرثرتُ كثيراً،

عن خدّيها، ما أروع هذين الخدين!

عن شفتيها الناضجتين

عن أنفٍ، هو فصٌ لجين

أسهبتُ كثيراً فى الوصف،

وصاحبتى لا تنطقُ حرفا..

لا تُبدى حتى دهشتها

شربتْ قهوتها وانصرفتْ

وأنا مازالت كلماتى تتابعُ، نهراً من بين الشفتين

وبقيتُ وحيدا فى المقصفِ،

والكلُّ اثنين اثنين.

شهيد

إلى روح «معين بسيسو»

وكنتِ نذرْته للريحِ،

للإعصارِ،

للأمواجِ،

للقمر الذى بالغيم..

لليومْ الذى سيكونَ، واليوم الذى هو كانْ.

كنت نذرته ليصاول الأعداء والأشباح

وكنتِ نذرته ليصدعن عينيك ظلَّ الموتِ،

يصبح غنوةَ عذريةَ الألحانْ.

وكنتِ نذرتِه ليكون درعك في الزمانِ الصعبِ،

كنتِ نذرتِه ليكون سيفاً مشهراً،
فى وجه من زرعوا الضبابَ بأفقك المخضلّ،
من غرسوا القتادَ بروضكِ الفينانْ.
وكنتِ وكانْ.
كان الحلْمَ،
كان السيفَ،
كان الدرعَ،
كان بشارة البعثِ الذى سيكونَ،
كان تألّقَ الأمل الذى
سيرف فى زمن من الأزمانْ.
....
....
ويُفلت من جبين الشمس هذا الطائر النارىّ،
يصبح شمسه فى قْلبِ قْلبِ الليْل،
يرسمُ عشُ فرحته،

يخطُّ خطوط لوحته،

لتصبحِ موئل الأمل الذى سيكونَ مسكنهُ، إذا ما عادت الأوطان،

ويأتى الموت..

حدِّقْ هل رأيت الموتَ يمرقُ من خلالِ الرايةِ الحمراءِ؟

هل شاهدتَ هذا الواحش أسودَ ناضحاً بالهولِ؟

يعزف لحنه حلْوا برغم الويل..

يحضننا ونحضنهُ،

نعانقَ فيه حلماً أخضر كالفجر..

نهوى ربما..

لكنْ لتعلو رايةُ الأوطان.

* * *

مكابدات .. ومقامات

مفتتح

هأنتذا تعود لى مدثراً بجرحك القديمْ

هأنتذا فى روعة اتساقك الحميم بالدماء،

نبضةً بنبضةٍ،

وقطرةً بقطره

هذا عطاء عمرك الذى انقضى مسافراً مع الرياح.

تنقلك الجراحُ للجراح

أتيتنى به على يديك حاملاً شعارَ

«أن ما يكون كانَ، والذى لا ينبغى يكون لن يكونْ»

حصادَ ما أفضت به السنونْ

الطريق :

فى لحظة من الزمان حرة هتفت: لن أقيم

ومثلما تعانق اللهيب والهشيمْ

هببت تركب الطريقْ

مجرداً إلا من المبادرهْ

ورغبة قديمة فى السبرْ والمغامرهْ

تؤود جسْمك الهزيلَ خرقة المكاشفة

أول المقامات :

هذا مقام الريح، لا يقوى على اجتيازه غير الذى له جناحْ

- يا حارس المقام: هل لى فى رحابكم مقام؟

- أخطأت فى المقالِ، لا يقيم فى مقام الريح إلا قائم

يستنكف المقام.

- إذنْ أقوم فى مقامكم، ولا أقيمْ

نزعت عنى خرقتى لكى أُريه أننى لا أعدم الجناح.

أومأ إلى بالسماحْ،
وعاريا دخلت، عاصفاً أعانق الرياحْ
مكثتُ مدة أطفو، بلا قرارْ،
يدفعنى التيارُ للتيارْ،
أقومُ من عثارْ،
أسقط فى عثارْ.
حتى غدوت كومةً من الجراحْ.
وحينما وجدتنى أهوى بلا جناحْ،
مضيت زاحفاً، أخرج من مقام الريحْ.
لعلنى من وقدة الجراحِ أستريح.

ثانى المقامات :

هذا مقامُ العشْق،
قادنى إليه خافقنى دليلْ.
وقفتُ عند بابه ألتمس السبيلْ.
- يا حارسَ المقامِ: نئْتُ تحت حِمْلىَ الثقيلْ.

فهل أذنتِ بالدخول؟

- وماشفيعكم إلى المثول؟

- يشفعِ لى الشحوب والنحول

والسهرُ الطويلْ..

وجسمى الهزيلُ..

ولوعةٌ بالنفْس لا تزولْ..

وأننى أقيم لا أطيل،

لأن مطمحى قليلْ

أجابنى:

- وعيتُ ما تقولْ،

فَسَمَتُكم يغنى عن المقولْ.

وموَمئاً إلىّ بالدخولْ،

ولجتُ مفعما بالشوقِ والحنينْ،

ولهفةٍ تسعّرتْ فى الصدْر من سنين.

ودارت العينانِ تذرعُ المكانْ،

تمسحُ الأركان والأركانْ.

وحينما خرجتُ من دوائر الذهولْ،

مجرداً إلا من المثولْ،

فى اللحظة التى أمّلت أن تكونْ.

أدركت أن ما يكون غير ما حلمت أن يكونْ،

وأن ما نبنيه فى خيالنا مدائن من الظنون.

ومثل لهفتى لدى الدخول كانت رغبتى فى أن أبارح المقامْ.

لا شوقَ، لا حنين، لا فراق، لاوصال، لا وداع، لا لقاء، لا رضاء، لا جفاءَ، لا سرورَ، لا بكاءَ، لا جنونَ، لاهيامْ.

استروحتْ جوانحى نسائمَ السلامْ.

ثالث المقامات :

هذا مقامُ السر،

مَنْ يبُحْ به يُبحْ دَمَهْ.

دخلته فما نطقت.

رأيت ما رأيتُ، لم أَبح بما رأيتْ،

سمعتُ ما سمعتُ، لم أبح بما سمعتْ.

وحينما خرجتْ،

وقلتُ: فلأبح بما رأيت،

وأكشف اللثام عن غريب ما سمعتْ.

وجدتنى نسيت كلَّ ما رأيت.

وكل ما سمعت.

آخر هذه المقامات:

هذا مقامُ البوح،

من يبح به استراحْ،

وودع الجراح.

أتيته لكى أبوح بالذى يطوى، لا يباح.

من قاله فى غير ذلك المقام يستباح

وحينما ذكرت ما ذكرت،
عرفتُ أن كلَّ ما ذكرته مُباحْ،
وأن كلّ ما حسبته سرِّى أنا، مُتاحْ
فيا مقامَ البوْحِ:
باؤك التى بدتْ: بوارْ
وواؤك التى وَشَتْ: وجارْ.
وحاؤك التى حَبَتْ حِصارْ

* * *

لعينيك طعم الينابيع

(١)

لعينيكِ طعْم الينابيعِ فى زرقةِ الفجرِ..
هل أنتِ من ْتسكبين الندى فى عيون الصباحِ؟
وهل أنتِ من تزرعين الشذا فى شفاه الأقاحى؟
تعالىْ، فإن المدى نشوةٌ والعبيرُ انفتاحْ.
ومازال فى الفم من عذْب ريقك سُوْرٌ،
أأكشفُ عن سرِّهِ؟
أم أقول بأنّ انتشائى دليلٌ، وأن ارتقائى جناحْ؟
وحبُّك كان البراق الذى طاف بى معرجاً فى ذُراً..
لا تُتاح لغير الذى قد صبا صبوتى..
أم تُراها تتاحْ.

(٢)

بهدبيك دفءُ المرافئ،
ضُمِّى إليكِ الغريقَ المسافرَ ما بين موجٍ وموج..
متى يستقرُّ؟
إذا أنتِ لم تمنحيه البشارةَ:
أنّ الموانئ ما عاد يملؤها الحرسُ المستبدُّ،
وأنّ الحدود تلاشتْ أمام المحبينَ،
أن جوازَ المرور إليكِ شعاعٌ من القلبِ يلمعُ فى العينْ،
ينبئُ أن المقاديرَ شاءت بهذا الذى كانَ..»
مُدِّى إلىّ الذراعين إنىّ الغريقُ اليصارعُ،
لا تُسلمينى لهوج الرياحْ.

(٣)

بجفنيك همْسٌ تسرّب من جزر الصمتِ..
هل أنتِ جنيّةُ العمقِ، باحت بأسرارها فاستبيحت؟
ألا إنّ جنيّةَ تفضحُ السرَّ تُنفى وراء المدى..

فلتكونى إذنْ هذه النُفيَتْ..

ولأكنْ مُنْقذاً مرةً فى حياتى لأُنْقَذَ من هوّةِ التيهِ..

ضَحّى أُضحّى..

بهمسك ضحّيتِ..

ضَحّيْتُ بالرّد..

أضحى كلانا بعالمه المُبْعَد المستباحْ.

* * *

للنوارس حلاتها

مَضَوْا كلُّهم،
بينما أنت باقٍ،
فماذا يشدُّك للأرضِ؟
ماذا وراء انتظارك؟
كلُّ النوارسِ ألقتْ أزمّتَها للمدى المستثير،
لدافعها المستحثّ،
وراحت تحلّقُ عبر المداراتِ،
ها أنت ترقبُ آخرها قد تخلّى،
وراح يحثُّ الجناحينِ كي يلحقَ الركْبَ،
ماَذا ورآء انتظارك؟
هل صرْتَ ظلاً لفرْخ غرابٍ كسيحْ

(٢)

تبصّرْ!!

لنورسةٍ دونَ كلِّ النوارسِ هذا الحنينُ،

هو التوقُ يدفعُه للرحيلِ،

يطيرُ يطيرُ،

وليس له غيرُ وهْمِ اللقاءِ،

يظلُّ يحلّقُ والشوقَ،

لا هو من أسْرِهِ مُفْلِتٌ،

لا، ولا هو يأوى إلى أىّ شطٍّ،

به يستريحْ.

(٣)

ويانورساً تائها فى الفضاءِ:

أما كان وعْداً

فكيف إذن قد نسيت المكانَ؟

لتحملها لعنةً وسْط هذا المدى المستبدِّ،

وتمضى تنقّبُ بين الوجوهِ،
وعبْرَ المسافاتِ،
عبْرَ الرؤى،
عبْرَ وهْمِ التوقّعِ،
عن لحظةٍ لا تجىءُ،
تراوغُ خلف تخومِ التذكّرِ، عربيدةً
بينما أنْتَ ماضٍ مع الهوس المستحرِّ
تسافرُ فى رحلةٍ للجنونِ،
يحاصِرُ حلْمك هذا الفراغُ الفسيحُ الفسيحُ الفسيحْ

(٤)

نُعانقُ هذا الفضاءَ، ونمضى،
نزوغٌ غريبٌ يخايِلُنا،
هل هو التوقُ للجنةِ المرتجاةِ؟
أم الرغبةُ المستبدةُ فى سبرِ غيبٍ،

تخفّى وراء غُلالاتِه السودِ؟
نمضى ونمضى إلى حيثُ لا شاطئ من قريبٍ،
فنحلمُ بالراحةِ المشتهاهِ،
ولا اليأسُ يدفعُنا للحضيضِ، فنهوى،
إلى حيثُ تلعقُ كلُّ النوارسِ نزْفَ الجناحِ الجريحْ

(٥)

ألا أيها النورسُ المستكينُ إلى حلّمٍ،
قابع فى زوايا مُخيِّلةٍ هرّأتْها الزعازعُ
أضحتْ خُروقاً،
فلم يبقَ منها سوى حفْنةٍ من أمانٍ
زغائبَ باهتة مثلِ ريشك هذا الذى غيرتْه الزاويعُ،
هل أنت راضٍ بما كان؟
هل كان عمرُك هذا هباء؟
أما هبّةٌ تشعلُ الروحَ فى جِسْمك الرخْوِ؟

تُحيى مواتَ الجناحينِ،
تَصْقِلُ فيك المرايا التى صدئتْ من زمانٍ،
فتبصرُ حلمك هذا الذى كان يوماً،
وترجعُ كالأمس طيراً عَفيّاً،
يصاولُ ما بين أُفقٍ وريحْ.
هل الطيرُ طيرٌ سوى بالجناحينِ؟
بالهبّةِ المستقاة من التوْقِ،
من دافعٍ لا يُقاومُ،
أن يعتلى الأُفْقَ،
صهوة هذا الفضاء الطليق،
ويمضى ويمضى،
فلا هو دارٍ بما قد تسربلَ بالغيبِ من مُضمراتٍ،
ولا هو يرنُو إلى غير ما قد يتيحُ له حلمُه أن يُتيحْ!!

* * *

وكما يموت الناس مات

الإهـــداء

إلى الراحلين العزيزين:

أخى الفنان المتميز.

منصور مهدى

الذي لمع مثل شهاب.. وانطفأ.

وأخى الإنسان.

فؤاد عواد.

الذى كانت بواكيره إرهاصًا بميلاد.

شاعر موهوب.

مفتتح

هذا هو الكتاب الثانى من الإصدار الثانى لجماعة نصوص ٩٠، وهو كتاب غير تقليدى، لأنه يمثل شهادة الشاعر عبد المنعم عواد يوسف، وتجربته الشعرية، فيتضمن سيرته مع الشعر بالإضافة إلى منتخبات من قصائده التى تمثل مراحله المختلفة، وهو أقرب إلى أن يكون تأريخ أنطولوجيًا، وهذا ما يمكن أن تقدمه أعمال نصوص٩٠، فليست القضية هى نشر أعمال أدبية، وإنما تتجاوز هذا إلى تقديم كتاب جدد، كما فعلنا فى الكتاب الأول، وهو كتاب يسرى أبو العينين الباب الكبير، وهذا الكتاب هو ممارسة فاعلية مختلفة، فيمكن للشاعر عبد المنعم عواد أن ينشر ديوانه فى أى دار نشر لكنه لايقدم هنا

ديواناً، وإنما سيرة تتضمن قصائد من مراحل إبداعه الفنى طوال عمق تجربته، بالإضافة إلى سيرته الشخصية.

وإذا كانت نصوص ٩٠ تزعم أن الكتاب مسئولية صاحبه، لأنها لاتفرض أى نوع من الوصاية على أحد، وإنما هى فى الأساس محاولة لترسيخ صيغة للاختلاف، وليس للأتفاق، ولهذا فإن مسئولية الجماعات الأدبية هى الممارسة الفعالة،وليس التكوين لنظرية ما فى الكتابة أو الأيدولوجيا ، وإنما محاولة للتواجد، وممارسة الحياة الثقافة فى اتجاه التكامل مع المنابر الموجودة والتحاور معها، ولهذا فإن كتاب الشاعر عبد المنعم عواد يوسف يمارس حق المسئولية إلى أبعد حد، فيصدر الكتاب دون دراسة نقدية لأن تجربته الشعرية لاتحتاج إلى تقريظ.. وإنما تحتاج إلى تعميق موقفها من تاريخ الشعر فى مصر والعالم العربى..

وأحسب أن هذا الكتاب سيكون مرجعا لمن يؤرخ لحركة الشعر فى مصر، ولاسيما أن عبد المنعم عواد قد بدأ النشر منذ عام ١٩٥٠ حتى الآن، وهو قد بدأ مع صلاح عبد الصبور، ومحمد مهران السيد، ومجاهد عبد المنعم مجاهد، وجيلى

عبد الرحمن ومحمد الفيتورى، وكمال نشأت، وفوزى العنتيل، وكامل أيوب وحسن فتح الباب، ونجيب سرور، وأحمد حجازى، وكمال عمار، وفتحى سعيد وغيرهم من الأسماء البارزةالتى شكلت تاريخ الحركة الشعرية فى مصر، منذ منتصف القرن، ولهذا فإن التأريخ لهذه التجربة مع الشعر، كان من الأهمية بمكان لكى يكون لهذا الكتاب قيمة فى توثيق أحداث التاريخ الشعرى فى مصر.

وبذلك فإن نصوص ٩٠ تخدم بذلك جمهور الباحثين، وتثير قضايا حول أسئلة مثارة تتعلق بتاريخ الشعر المصرى، دون أن تتحيز، أو تتخذ موقفًا من الكتابات اللاحقة والمتعاصرة لأعمال عبد المنعم عواد يوسف، لأن الجماعة لاتهدف إلى اتخاذ موقف جماعى من قضايا الإبداع والشعر والقصة، لأن هذا مسئولية فردية تقوم على عاتق المبدع، لأن إبداع كل فنان وأديب هو تعبير عن موقفه من هذه القضايا التى يحفل بها الواقع.. ومن الطبيعى أن نتفق أو نختلف مع صاحب أى كتاب يصدر فى نصوص٩٠..

ويمثل هذا الكتاب أول عمل شعرى تصدره الجماعة، لأن الإصدار الأول كان مقصوراً على الرواية والقصة القصيرة

والنقد وعلم الجمال، ولكن فى الإصدار الثانى، نتيجة لانضمام عدد من الشعراء إلى الجماعة، جعل نشاط الجماعة يتوزع بين هذه المجالات السابقة إلى الشعر، وهذا يعنى انفتاح الجماعة على الإبداع بأشكاله المتنوعة، وهذا رهن فاعلية المبدع، ومدى إضافته لإبداعه، وللواقع الثقافى..

وتحاول الجماعة خلال الفترة المقبلة، تطوير نشاطها عبر الورشة الأدبية، المزمع عقدها فى الهناجر، وهى ليست مقصورة على أعضاء الجماعة، ولكنها مفتوحة لكل مشارك فى الحياة الثقافية سواء كان مبدعًا أو قارئا، والفضل فى تحقيق هذه الورشة لايرجع إلى الجماعة بقدر ما يرجع إلى المشاركين فيها.

وتزمع الجماعة إصدار نشرة ثقافية، تتضمن أخبار الجماعة، وملخصاً لنشاطاتها الأدبية والنقدية.

وتوجه الجماعة الشكر إلى الفنان الكبير عز الدين نجيب على تصميمه لغلاف كتاب الجماعة، وهو فنان مبدع وأديب أيضا، فله الشكر..

جماعة نصوص٩٠

رحلتى مع الشعر

لاأدرى ما الذى ساقنى إلى درب الشعر؟ أعلم أن ظروفًا ما مواتية تؤدى إلى ولوج عالم الإبداع، كأن يجد الإنسان أحد أفراد أسرته ذا اهتمام بلون من ألوان الأدب، فينهج نهجه، ويحتذى خطاه، ليصبح مثله، فى يوم من الأيام ، قاصًا أو شاعراً.

أما أنا فقد نشأت فى أسرة، لاتنتمى إلى الأدب من بعيد أو قريب، وإن كان جدى لأمى الشيخ محمد منصور- رحمه الله - كان من العلماء وله مؤلفات فى الدين.

وباستثناء خال والدى، جدى الشيخ يوسف الصواف، وكان له ديوان مطبوع من الشعر العامى باسم «بريه ياناس»

صدر فى العقد الثانى من هذا القرن، فلم يكن من بين أقاربى من له اهتمام بهذا الفن الجميل.. الشعر.

ولم يكن يدور بخلدى أننى سأصبح يوما ممن يزاولون الكتابة، لعل أول من حرك فى نفسى هذا الهاجس هو مدرس اللغة العربية فى مدرسة «مصطفى الجندى» الأولية بمسقط رأسى شبين القناطر: المرحوم محمد العشيرى الذى قال لى بعد أن اطلع على موضوع إنشاء لى إننى سأكون أديبا، وإن لم أفهم وقتها معنى أن يكون الإنسان أديباً.

وحين التحقت بالمدرسة الابتدائية - النظام القديم - كانت مكتبة المدرسة عامرة بالكتب، كما كانت فسحة الغداء الطويلة فرصة للقراءة، فأقبلت بنهم على مطالعة مابها من أدب، متدرجا من مؤلفات كامل الكيلانى إلى عبرات المنفلوطى ونظراته وصياغته لما ترجم له من القصص الفرنسى (كما جدولين) وفى سبيل التاج وسير انودى برجراك وغيرها، ومن المنفلوطى انتقلت إلى قصص محمود تيمور وعلى الجارم ومحمد فريد أبو حديد وطه حسين وتوفيق الحكيم، وكان

لقصة «زينب» لمحمد حسين هيكل تأثير كبير فى نفسى فى هذه السن المبكرة .

وإهتمامى بقراءة القصص فى مستهل حياتى الثقافية يفسر إقبالى على كتابة القصة القصيرة، ونشرى لبعض ماكتبت من قصص بمجلة «الفن» التى كان يصدرها المرحوم عبد الشافى القشاشى قبل ثورة٥٢ .

بدأ اهتمامى بالشعر، شعر الفصحى فى المرحلة الثانوية، وأقول شعر الفصحى لأنه سبقه اهتمامى بشعر العامية، وهو ما كان يسمى آنذاك بالزجل، حيث أقبلت على قراءته، ومن ثم كتابته ونشره فى مجلة شعبية* كانت تصدر قبل الثورة وقد لعبت دورا مهما فى إحياء هذا الفن ونشر إبداعات كبار شعرائه كبيرم التونسى وأبو بثينة وحسين شفيق المصرى ومحمد مصطفى حمام ومجموعة زجالى الإسكندرية.

أقول إن اهتمامى بشعر الفصحى بدأ مع المرحلة الثانوية حيث أقبلت على قراءة وحفظ الشعر.

قرأت ديوانى شوقى وحافظ، كنت أميل إلى الأخير، كما استهوانى أولا شعر المرحوم محمود غنيم ببساطته وروحه

العذبة، قبل أن أقف على شعر المهجر، وما به من روعة، وكان لجبران وميخائيل نعيمة تأثير كبير فى نفسى، بيد أن إعجابى الأشد كان بإيليا أبو ماضى وإلياس أبو شبكة، وكانت مفاجأة حقيقية أن تقع فى يدى دواوين على محمود طه، الذى أقبلت على قراءته بكل شغف، لدرجة أننى كنت اجتمع بشباب بلدتى شبين القناطر عصر كل يوم على شاطئ ترعة الشرقاوية لنطالع أحد دواوين شاعرى الأثير، ثم يدور النقاش حول ما قرأناه ، ووصل شغفى بعلى طه أننى كنت أحفظ الكثير من أشعاره.

وإهتمامى به لاينفى إهتمامى بغيره من شعراء الرومانسية المصوية: كإبراهيم ناجى، ومحمود حسن إسماعيل، وأحمد فتحى، وحسن كامل الصيرفى، وصالح جودت، وغيرهم ممن كان لهم أثرهم فى شعرى.

وإذا كان تمكنى من كتابة الكلام الموزون المقفى قد تحقق خلال المرحلة الابتدائية فى إطار كتابتى لعدد من المقطوعات العامية التى نشرتها فى هذه المجلة التى سبقت الإشارة إليها، كان طبيعيا أن يخرج ماكتبته من شعر، حين انتقلت إلى

الكتابة بالفصحى فى مستهل دراستى الثانوية خاليا تماما من الكسور العروضية.

وكانت أول إشارة إلى اكتمال أدواتى الفنية - نسبيا - هى صيحة إعجاب من أستاذى «سيد سلامة» حين ألقيت على التلاميذ أمامه أولى قصائدى الفصحى فى الصف الأول الثانوى آنذاك - وهو مايعادل الصف الثانى الإعدادى الآن، حيث كان التعليم الثانوى وقتها خمس سنوات تلى أربعًا نقضيها فى المرحلة، الابتدائية.

كانت قصيدة من بحر المتقارب تتكون من عدة أبيات، كتبتها لأشارك بها فى معركتنا مع العدو الصهيونى التى احتدمت عام ١٩٤٨، ولم أعد أتذكر منها إلا أبياتا ثلاثة هى:

دماء تسيل ودمع يسيل

وهذا يقوم وذاك يميل

وشعب ينادى فيأتى الرفاق

يقولون: جئنا نصد الدخيل

سنهزم كل عدو لدود

وسوف نبيد العدو النزيل

أبيات بسيطة مع خلوها من أى خلل عروضى.

صفق أستاذى إعجاباً، وسارع باستدعاء ناظر المدرسة لأعيد إلقاء القصيدة عليه، وما كاد الناظر يفرغ من سماع القصيدة حتى انهالت على من فمه عبارات الثناء والإطراء.

ويومها أدركت - لأول مرة - أننى قد بدأت خطاى على درب الشعر الصحيح.

وكان على بعد ذلك أن أؤكد هذا الاعتراف الشفوى بأنى شاعر باعتراف تحريرى، ومن ثم واليت أركان الأدب بالصحف والمجلات المصرية بقصائدى، وانتظرت نشر بعضها دون جدوى، وطال انتظارى شهوراً حتى بدأ الشك يساورنى فى قيمة ما كتبت، وأخذت أميل إلى الاعتقاد بأن حفاوة أستاذى مدرس اللغة العربية بشعرى هو من قبيل التشجيع لابن من أبنائه.

وبات الشك يرسخ ويقرب من أن يصبح يقينا حتى وقع الأمر الذى أعاد الثقة إلى نفسى، يوم طالعت ذات مساء فى

شهر لا أتذكره من عام ١٩٥٠ إحدى قصائدى منشورة فى «ركن الأدب» بجريدة «الزمان»، وكان يشرف عليه الشاعر الكبير المرحوم «محمد الأسمر». كانت القصيدة من ستة أبيات بعنوان «بائس رحل»:

بكى من هول ما لاقى	من الأرزاء والحمم
وألفى السم ترياقا	فداوى زائد الألم
مضى للموت مختارا	يروم الراحة الكبرى
فقالوا: كافر غارا	سيغشى النار بالأخرى
ألابالله لو علموا	من الأوصاب كم حملا
لما سخطوا وما نقموا	وقالوا: بائس رحلا

وجاء النشر اعترافا تحريريا بشاعريتى، ليؤكد اعتراف «أستاذى» الشفوى بها فاطمأنت نفسى، وآمنت بميلاد شاعر جديد.

وتوالى ظهور قصائدى على صفحات جريدة «الزمان» حتى بات «ركن الأدب» يكاد لايخلو من قصيدة لى كل أسبوع.

وإحقاقا للحق، واعترافا بالفضل، أقول إن هذا الركن الأدبى العتيد كان، نافذة ثقافية أطل منها على الحياة الأدبية لأول مرة مجموعة كبيرة من الشعراء منهم من ودع الشعر الآن، ومنهم من لم يزل مخلصا لهذا الفن الجميل، منهم من هو الآن فى رحاب الخالدين، ومنهم من أدعو له - صادقا بطول العمر وتجدد الإبداع.

من هذه الأسماء، وبقدر ماتسعفنى الذاكرة: محمد الفيتورى ومحيى الدين فارس ومحمد مهران السيد، وإبراهيم عيسى، وجليلة رضا، وفتحى سعيد وفوزى العنتيل، وهاشم الرفاعى، وجلال عابدين وكيلانى سند، والدكاترة: كمال نشأت وأنور عبد الملك، وعبد العزيز الدسوقى ومحمود الربيعى، وماهر فهمى ورجب البيومى وزكريا عنانى. وأذكر أننى عرفت المرحوم بدر شاكر السياب لأول مرة من خلال قصيدة بيتية نشرها له «ركن الأدب» عام ١٩٥٠.

وكان لركن الأدب فضل تعرفى على شاعرين ربطت بينى وبينهما صداقة أعتبرها من أعظم ما منحتنى إياه مسيرتى الشعرية:

الأول : هو الشاعر الكبير محمد مهران السيد الذى عرفته أولاً من خلال ما كان ينشره من شعره الجميل على صفحات جريدة الزمان، ثم كان لقائى به شخصيا عام ١٩٥٠، حين انتقلت إلى مدرسة عين شمس الثانوية، وسعيت إليه حيث يعمل رئيسا لمكتب الاشتراكات بمحطة المطرية، وكان ذلك عملاً بنصيحة أستاذنا «محمد الأسمر» الذى كان حريصا على أن يلتقى أبناء «ركن الأدب» ببعضهم، ومن هذا الوقت البعيد وحتى الآن أزهرت بيننا صداقة لم تشبها شائبة فى يوم من الأيام، وبرغم عدم التقائنا فى بعض التوجهات السياسية، فقد ظلت دوافعنا الثقافية ومنازعنا الفكرية متمثلة فى الإيمان بكرامة الإنسان وحريته، وأهمية أن تسود العدالة الاجتماعية، وأن يطرح الإنسان عن كاهله كل صنوف القهر، أقول ظلت هذه القيم الأساسية روافد أصيلة لتجربته وتجربتى، ولم تستطع السياسة أن تفرق بيننا فى أى وقت من الأوقات.

وحين تركت عين شمس وتوجهت إلى الجامعة بدءا من عام ١٩٥٢ ظل مهران معى، حيث حرصت على أن يكون مشاركا عاملاً وفعالاً - من خارج الجامعة - فى نشاطنا الثقافى

بالجمعية الأدبية لكلية الآداب بجامعة القاهرة فى ظهيرة يوم الاثنين من كل أسبوع.

وإذا كان صديقى مهران قد صرح فى أكثر من لقاء صحفى معه بأننى كنت أول من أخذ بيده إلى داخل الحياة الثقافية فإننى بدورى أقول إننى أفدت من تجربته الغنية الكثير،وإن علاقتى به كانت إثراء لتجربتى، شحذا الطاقاتى الإبداعية حتى الآن.

والشاعر الآخر: هو المرحوم فتحى سعيد، هذا الرائد الذى فقدناه وهو فى أوج عطائه الشعرى.

وكان لقائى به أول الأمر من خلال قراءتى لأشعاره بركن الأدب، ثم من خلال رسائل طويلة كنا نتبادلها أثناء عمله بالسلوم، وبعد عودته إلى الإسكندرية، وأذكر أنه طالما حدثنى فى هذه الرسائل عن ذكرياته فى مقهى المسيرى بدمنهور، وصاحبه المرحوم عبد المعطى المسيرى الأديب المعروف، وكيف أنه كان واسطة صلة بينى وبين رواد المقهى ينقل إليهم أخبارى، وحين شاءت الظروف أن تكون دمنهور أول مكان أعمل به بعد تخرجى من الجامعة، جئت إليها غير

شاعر بغرية، وكان لقائى بأدباء دمنهور من رواد مقهى المسيرى، بفضل مراسلاتى مع فتحى سعيد لقاء أصدقاء أعرفهم ويعرفوننى. رجب البنا، بكر رشوان، سعد دعبيس، حامد الأطمس، عبد القادر جميدة، يس الفيل، عبد الوهاب قتاية، خيرى شلبى، ومعذرة لكل من لم تسعفنى الذاكرة ففاتنى ذكره.

وهكذا استمرت لقاءاتى بفتحى سعيد حيث كان يعيش بالقرب من مسقط رأسه «البحيرة» فى الإسكندرية.

كنت فى نهاية كل أسبوع أغادر دمنهور وأذهب إليه بالأسكندرية، وما أجمل هذه الجولات التى كنا نذرع فيها أحياء الإسكندرية العتيقة مثل كوم الدكة وغيرها، وهناك تعرفت على الأماكن التى عاش فيها موسيقارنا خالد الذكر سيد درويش، كما كان لقائى بأدباءالأسكندرية كالصديق الشاعر الكبير عبد العليم القبانى وغيره.

وحين انتقل فتحى سعيد إلى القاهرة ليقيم فيها ظلت صداقتنا مثمرة معطاءة حتى اختاره الله إلى جواره ففقدت برحيله عن دنيانا صديقاً لايعوض.

وإذا كنت قد أطلت الحديث عن تجربة «ركن الأدب» بجريدة الزمان ودورها فى حياتى، فذلك لأهميتها الكبيرة فى مسيرتى الشعرية، وأواصل الحديث عن هذه النقطة فأقول:

لقد كان احتفاء «الأستاذ الأسمر» بشعرى - كما ذكرت - كبيرا، وكان هذا الرجل من التفتح بحيث نشر لى أولى قصائدى اقترابا من النهج التفعيلى، ولم يكتف بنشرها، وإنما كتب مشيدا بالتجربة:

«القصيدة الآتية أهداها ناظمها الأديب (عبد المنعم عواد يوسف) الطالب بكلية الآداب إلى روح كل أديب مات فى ريعان شبابه ونحن إذ ننشر للأديب عبد المنعم هذه القصيدة يسرنا أن ننوه بأنه خطا فى سبيل الشعر خطوات موفقة، فعليه أن يحرص على التقدم المستمر، فإلى الأمام»

كان ذلك فى السادس من نوفمبر عام ١٩٥٢ . والقصيدة المذكورة بعنوان «زهرة تذوى» ومنها

عند الغروب

والشمس يعلوها شحوب

مات الأديب

فى نضرة الزهر الرطيب

وذوى الشباب

ومضى وغاب

ياللمصاب.. مات الأديب

وغفا الهزار

هذا الذى غنى ..وثار

وشدا وطار

فى السفح .. فى هذى القفار

نجم يضىء

ليث جرىء

ظبى برىء.. كان الأديب

فامضوا إليه

وابكوا.. كما نبكى عليه

فهنا لديه

والكل يمسح دمعتيه

خرجوا به

فى ركبه

وإلى القبور

والركب يحدوه الطيور

نثروا العطور

ما بين ورد..أوزهور

والدمع سال

فى العين جال

والكل قال..ذهب الأديب

والتجربة، وإن كانت بسيطة ومتواضعة، فسوف يظل لها فضل الريادة والسبق.

وإذا كنت قد استطردت مع مسيرتى الشعرية من خلال تجربتى فى «ركن الأدب» حتى وصلت إلى عام ١٩٥٢، ودخولى الجامعة، فليسمح لى القارئ الكريم أن أعود به مرة أخرى إلى المرحلة الثانوية لأواصل السعى فى مسيرتى الشعرية من هناك.

كان تشجيع أستاذى «محمد الأسمر» لى حافزا إلى التطلع إلى مجالات أخرى للنشر، فأخذت أبعث بقصائدى إلى المجلات الأدبية التى كانت تصدر يومذاك، وكم كانت فرحتى بالغة حين بدأت قصائدى تظهر على صفحات مجلة «الثقافة» التى كان يرأس تحريرها الأستاذ الكبير المرحوم أحمد أمين، وكيف لا تستبد الفرحة بطالب فى المرحلة الثانوية وهو يطالع إنتاجه الشعرى منشورا إلى جانب كتابات كبار الأدباء؟

وكان غروراً منى فى ذلك الوقت المبكر من حياتى الأدبية أن أفكر فى النشر فى «رسالة» الزيات. فلم يكن أستاذنا «أحمد حسن الزيات» - رحمة الله عليه - يفتح صفحات مجلته العريقة «الرسالة» إلا للأقلام الراسخة فى الحقل الأدبى، وكان باب «الرسالة» فى العادة موصداً أمام ناشئة الأدب. وفى الحقيقة كان النشر فى «الرسالة» بمثابة شهادة بأن هذا المنشور له أديب مرموق، وكثيرا ما كان صاحب «الرسالة» يصرح بأن النشر فى مجلته شهادة اعتراف بالمبدع، أهم له بمراحل من الحصول على مؤهل جامعى فى الأدب.

ويوم أرسلت قصيدتى «أطياف» إلى مجلة «الرسالة» كنت آنذاك طالباً فى «الثقافة العامة» وهى تعادل اليوم الصف الثانى

الثانوى، ولاتتصور مدى سعادتى حين نشرت «الرسالة» القصيدة تتصدرها عبارة (بقلم الأستاذ عبد المنعم عواد يوسف)، وهكذا اقترن اسمى على صفحات «الرسالة» بأسماء كبار أدباء العربية على امتداد وطننا الكبير، وأنا مازلت طالبا فى المرحلة الثانوية.

وفكرت فى لقاء أستاذنا «الزيات» وفى مقر «الرسالة» المتواضع بشارع حسن الأكبر» بعابدين كان اللقاء!!!

وياليتنى ما فعلت، فبعد هذه الزيارة، ووقوفه على حقيقة وضعى الدراسى، خلع عنى لقب الأستاذية، وواصل نشر شعرى بتغيير بسيط فى الديباجة هو:

«بقلم الشاعر الشاب عند المنعم عواد يوسف» وتساويت فى ذلك مع أضرابى مع الشعراء: محمد مفتاح الفيتورى وفوزى العنتيل ومحى الدين فارس السودانى، وغيرهم

والآن وأنا أختم الحديث عن المرحلة الثانوية فى مسيرتى الأدبية، انتقالاً إلى دور الجامعة فى هذه المسيرة أبدأ بتقرير حقيقة هى أننى لم أكن حتى وصولى إلى نهاية المرحلة

الثانوية قد فكرت فى دخول كلية الآداب ولا الا لتحاق بقسم اللغة العربية بها بالرغم من إهتاماتى الأدبية وتحقيق وجودى شاعرا ذا شأن تنشر له كبريات المجلات الأدبية قصائده.

وإذن : فلماذا التحقت بالقسم الأدبى بالشهادة التوجيهية؟ والجواب ببساطة: لألتحق بكلية الحقوق لأصبح يومًا ما وزيراً كحلم كل من كانوا يلتحقون بها قبل الثورة، هذا الحلم الذى كان ينتهى - عادة - بوظيفة «وكيل نيابة لمن يبتسم له الحظ» والذى كان يصل بصاحبه فى أغلب الأحيان إلى أن يكون مجرد محام بسيط من جملة من يحترفون هذه المهنة فى ريف مصر.

وأنا - وإن كنت لم أفعل مثل كل زملائى الذين التحقوا بكلية الحقوق، والتحقت بكلية الآداب لظروف سأشرحها فيما بعد - لم أندم على ذلك، فجميع زملائى صاروا من محامى الأرياف، باستثناء واحد ابتسم له الحظ فصار وكيل نيابة وهو الآن قاضٍ كبير، غير أن المفاجأة أن واحداً منا وبرغم قيام الثورة، وتبدد حلم الوصول إلى الوزارة بقيامها، تحقق له حلم طلاب الحقوق فى عهد ما قبل الثورة حتى أقصاه، فصار اليوم وزيرا يظهر كثيرا فى رسوم الكاريكاتير.

أما لماذا التحقت بكلية الآداب، وقسم اللغة العربية بالذات، فإن لذلك قصة..

كانت هناك قبل الثورة مسابقة أدبية يتقدم إليها من يود من طلاب نهاية المرحلة الثانوية، وكانت ذات جوائز مالية يحصل عليها الفائزون الثلاثة الأول، كما كانت تتيح لكل الناجحين فيها دخول الجامعة بالمجان.

وكانت هذه المسابقة ذات شقين شق تحريرى، وشق شفوى يتقدم إليه من يجتاز اختبارها التحريرى.

وكان مقررا علينا فيها عدة كتب، أذكر منها ديوان حافظ إبراهيم كاملاً، بالإضافة إلى سيرة الشاعر وقصة زنوبيا لمحمد فريد أبو حديد ومقررات أخرى.

وفى امتحان الشفوى كان لقائى بالأستاذ الكبير محمد خلف الله أحمد وكان وقتذاك عميداً لآداب الإسكندرية وخلال المقابلة أبدى إعجابه الشديد بى، ونصحنى بدخول قسم اللغة العربية بكلية الآداب حيث تنبأ بأنه سيكون لى به شأن كبير، فكان أن عملت بنصيحته، وقدمت أوراقى إلى كلية الآداب جامعة القاهرة.

ودعت المرحلة الثانوية عام ١٩٥٢ مع قيام الثورة، والتحقت بالجامعة، وفى قسم اللغة العربية بكلية الآداب بدأت ثقافتى الأدبية القائمةعلى اجتهادى الشخصى تتخذ شكلا إكاديميا قائما على نسق صحيح.

فعلى أيدى أساتذتى طه حسين وشوقى ضيف ونجيب البهبيتى كانت دراستى لأدبنا العربى فى مراحله المختلفة، وقد استطاع هؤلاء الأساتذة أن يفتحوا أمامى دروبا رحبة لدراسة شعرنا العربى القديم على أسس علمية ومنهجية صحيحة.

ثم كان دور أستاذتنا الدكتورة سهير القلماوى - شفاها الله - فى تعريفنا بجوانب الأدب الحديث، شعره ونثره بنظرة موضوعية، وتفتح واع على الجديد، وكان للمرحوم الدكتور عبد العزيز الأهوانى فضل وقفنا على الأدب الأندلسى وآفاقه المتعددة بما عرف عنه من موسوعية علمية، وجدية فى تناول الظاهرة الأدبية.

اما أستاذنا الدكتور المرحوم عبد الحميد يونس فقد مهد أمامنا دروب أدبنا الشعبى، وأطلعنا على كنوزه من سير شعبية

وأساطير وحكايات وأشعار بما عهدناه فيه من سبق إلى كشف آفاق هذا العلم الجديد على مناهجنا الجامعية ولاأغفل فضل أستاذى الدكتور شكرى عياد فى إلمامى بالمدارس والاتجاهات النقدية الحديثة فى تقويم الإبداع: شعره ونثره، بدقته وموضوعيته.

وإلى جانب هؤلاء الأساتذة لايمكن إغفال دور المرحوم الأستاذ مصطفى السقا فى إقبالى على الدراسة النحوية وشغفى بهذا العلم والذى أدين له بتمكنى منه حتى الآن.

كما كان للمرحوم الدكتور عبد الهادى أبوريدة أثره فى حبى للفلسفة الإسلامية وتأثرى بفلاسفتها الكبار.

هذا إلى جانب الدكتور يحيى الخشاب الذى حبب إلينا اللغة الفارسية وآدابها ، ولفت أنظارنا بشدة إلى إبداع شعرائها الكبار كالشيرازى والخيام والفردوسى

أما المرحوم الدكتور خليل نامى وتبحره فى فقه اللغة. والمرحوم الدكتور إبراهيم سلامة وغزارة إلمامه بآفاق البلاغة والنقد العربى القديم، فقد كان لهما فى ثقافتى الأدبية دور كبير

أفدت من كل هذا فى صقل موهبتى الشعرية، ومدها بالروافد الثقافية التى لايمكن، أن يتحقق بدونها إبداع أصيل، كما كان لكل واحد من هؤلاء الأساتذة دوره فى تقويم تجربتى ودفعها على الدرب الصحيح.

بْيد أن التغيير الحاسم فى مجرى حياتى الشعرية فى هذه الفترة إنما نتج عن احتكاكى فى كلية الآداب بمجموعة من الزملاء أصبح لهم الآن وزنهم الكبير فى حياتنا الثقافية أذكر منهم: الأساتذة: رجاء النقاش وبهاء طاهر وكامل أيوب ومحفوظ عبد الرحمن ومجاهد عبد المنعم مجاهد وصافيناز كاظم وهدى العجيمى اللتين كانتا عند بداية المرحلة الجامعية حين كان أغلبنا على وشك التخرج، وكان معنا أيضا فى هذه الفترة الصديق مصطفى أبو النصر.

أما المرحوم الدكتور عبد المحسن طه بدر فقد كان يسبقنا بسنة أوسنتين دراسيتين، فكان أسبقنا إلى التخرج، غير أن تعينه معيداً بقسم اللغة العربية أبقى على زمالته لنا بالجامعة.

كان الاحتكاك الفكرى والثقافى بهؤلاء الأصدقاء خلال جلساتنا فى «بوفيه كلية الآداب» وبين ممرات الجامعة

وردهات الكليـة أثره الحـاسم فى مـسيـرتـى الشعرية، فبـدأت التـخلص شيـئـا فـشيـئـا من اتجـاهى الرومـانسى، وأتحـول إلى الواقـعيـة، والارتبـاط بالمجـتـمع والتـعبـيـر عن مـعاناة البشـر ومشكلاتهم..

كما كان للقائنا فى الجمعية الأدبية لقسم اللغة العربية الذى كان يقام فى ظهيرة يوم الاثنين من كل أسبوع أثره البالغ فى تجاربى الشعرية من خلال المناقشات النقدية التى كانت تعقب إلقاء القصائد ويشارك فيها أساتذة القسم ومعيدوه وطلابه.

وكثيرا مـا كان يحضر لقاءات الجمعية الأدبيـة أبناء قسم اللغة العربيـة الذين غـادروه بعد التـخرج مـثل المرحـوم صـلاح عبـد الصبور، والدكتـورين عز الدين إسمـاعيل وعبـد الغفار مكاوى، حـيث يشاركـون الطلاب فى إلقاء القـصائد ومناقشة الإبداعات المختلفة، وكـان لهـذا كله ـ أيضـا ـ أثره فى تجـربتى الشعرية بما أستمع إليه من آراء حول ما أقدمه، معه أو عليه.

وفى هذه الفـتـرة كـتـبت عـددا من القـصـائد ذات الاتجـاه الواقعى، لاقت صدى طيبا لـدى الأساتذة والزملاء، أذكر منها:

«جوزيف مات والكادحون والغرباء وسر المنظار الأسود والصامدون».

وفى عام ١٩٥٢ نشرت «الكادحون» فى مجلة «الثقافة» فى الفترة التى كان يشرف عليها خلالها أعضاء الجمعية الأدبية المصرية، والتى كان يرأس تحريرها فيها المرحوم محمد فريد أبو حديد، وتعد هذه القصيدة ثانى قصيدة من الشعر الجديد تنشر لشاعر مصرى فى هذه المجلة، بينما كانت الأولى: «العملاق» لعز الدين إسماعيل، والثالثة «أبى» لصلاح عبد الصبور، وقد نشرت قصيدة عز الدين إسماعيل وقصيدتى فى ديسمبر ١٩٥٢ وقصيدة عبد الصبور فى يناير ٥٣ .

وفى كتابه الصادر عن الهيئة العامة للكتاب «اتجاهات الأدب ومعاركه فى المجلات الأدبية فى مصر» ضمن سلسلة «دراسات أدبية»، نوه بذلك المرحوم الدكتور على شلش، غير أنه اعتبر قصيدة «انعتاق» لعبد الصبور من الشعر الحر، بينما هى فى الواقع قصيدة عادية من شعر المقاطع متعددة القافية، وهذا التصور غير الصحيح لطبيعة هذه القصيدة جعله يقدمها على قصيدة عزالدين إسماعيل «العملاق» وقصيدتى

«الكادحون». يقول الدكتور على شلش فى صفحة ٩٩ من كتابه المذكور: «ولم يحدث قبل عام ١٩٥٢ أن نشرت المجلات شيئا من محاولات الشباب فى كتابة الشعر القائم على التفعيلة الواحدة، مما سمى بعد ذلك باسم «الشعر الحر». وقد اتخذ هذا النوع معنى مختلفا عن معنى الشعر الحر الذى ساد فى الثلاثينيات والأربعينيات، ورأينا بعض نماذجه هنا حيث قامت على تعدد البحور، فقبل أسابيع من توقف «الثقافة» انفردت بنشر بعض محاولات الشعراء الشباب فى هذا المجال. ولم تكن هذه المحاولات قد توسعت فى نظام التفعيلة الواحدة بعد. وقد شارك فيها صلاح عبد الصبور وعزالدين أسماعيل وعبد المنعم عواد يوسف»

وفى الهوامش (٦٥) و (٦٦)و (٦٧) يشير إلى القصائد: «انعتاق» لعبد الصبور، و«العملاق» لعز الدين وقصيدتى «الكادحون» على الترتيب.

وأنا بذكر هذه الحقيقة الموثقة لا أهدف إلى الغض من دور شاعرنا الراحل الكبير صلاح عبد الصبور، وريادته التى لانزاع حولها للقصيدة المصرية الجديدة، فهذا حقه ولا ريب،

وكل مـا أسـعى إليـه هو لفت نظر مـؤرخى الأدب ونقـاده إلى دورى فى حركة الشعر الحر، هذا الدور الذى طال تجاهله، وأن له أن يتأكد فى ذاكرة الأجيال، وعلى خريطة شعرنا العربى الحديث، فهل ترانى مطالبا بحق ليس لى؟

ومن الأشـيـاء الجـديرة بالتـسـجـيل لدورها فى دعم هذه الحقيقة أن صديقى الشاعر الكبير محمد مهران السيد قد قابلنى ثائرا حين قرأ «الكادحون» منشورة فى «الثقافة» واتهمنى أننى أسعى إلى إفساد شعرنا العربى بمثل هذه المحاولات الدخيلة عليه - على حد قوله آنذاك -

ولعل هذا التصور غير الصائب هو ما حدا بشاعرنا الكبير إلى الامتناع عن كتابة الشعر الحر فترة طويلة، حتى تيقن أن الدافع الحقيقى إلى كتابة هذا اللون هو التطور ومسايرة روح العـصـر، لا الإفـسـاد والتـخـريـب، ومن ثم أقـبل على كـتـابة القصيدة التفعيلية الجديدة، حتى أصبح من فرسانها البارزين وإذا كانت قصيدة «من أب مصرى إلى الرئيس ترومان» لعبد الرحمن الشرقاوى هى القصيدة «الأم» فى هذ ا اللون، ثم تلتها «العملاق» و«الكادحون» و «أبى» فقد كانت هذه القصائد بمثابة

الإشارة الخضراء لغيرنا على الدرب، فخطا إثرنا من شعراء جيل الرواد الكثيرون ومنهم حسن فتح الباب، وكمال نشأت، وفوزى العنتيل، ومجاهد عبد المنعم مجاهد، وكامل أيوب، وكمال عمار، وأحمد عبد المعطى حجازى، ومحمد الجيار، وكيلانى حسن سند، ونجيب سرور، وفتحى سعيد، وعبد القادر حميدة، وملك عبد العزيز، وأحمد كمال زكى.

وفى عام ١٩٥٣ كتبت قصيدتى المعروفة «كما يموت الناس مات» وألقيتها على رواد الجماعة الأدبية بكلية الآداب، فلاقت من الاستحسان مالم أكن أحلم به، وكان من أشد المتحمسين لها فقيدنا العزيز الدكتور عبد المحسن طه بدر، وأذكر أنه لم يتح لها النشر إلا عام ١٩٥٥ بمجلة «الرسالة الجديدة» وكان صدى نشرها بعيداً فى كل الأوساط الأدبية، لدرجة أن ندوات كاملة كانت تعقد لتقريظ هذه القصيدة المحظوظة، بل إن من بين أساتذة كلية الآداب بجامعة القاهرة من كان يتحدث عنها مع تلاميذه باستمرار.

كما أشار ـ مؤخرا ناقد سورى إلى تأثر الشاعر الكبير الراحل «أمل دنقل» بها فى قصيدته «مقتل القمر».

وأثناء دراستى بكلية الآداب خرجت من نطاق النشر داخل مصر إلى النشر خارجها، ومن ثم بدأت قصائدى تعرف طريقها إلى لبنان لتنشر فى «الأديب» أولاً ثم فى «الآداب» وعن طريق هاتين المجلتين وصل شعرى إلى القارئ العربى من الماء إلى الماء وفى «الثقافة الوطنية» و «المعارف» وغيرهما من المجلات البيروتية توالى نشر قصائدى خلال عقد الخمسينيات

وفى عام ١٩٥٧ صدرت أول مجموعة شعرية مشتركة لى، بعنوان «أغانى الزاحفين» ضمت قصيدتى «من شاب عربى إلى الرئيس أيزنهاور إلى جانب قصائد للشعراء «إبرهيم شعرواى، وأحمد عبد العال، وتاج السر الحسن، وجيلى عبد الرحمن، وكمال عمار، وكيلانى حسن سند، ومجاهد عبد المنعم مجاهد، ومحمد مهران السيد، ومحمود المستكاوى، ونجيب سرور» .

ولما كانت النوايا الطيبة لا تصنع الفن الطيب، لاقت هذه المجموعة من القصائد السياسية من النقد الصارخ ماجعلنى أفيق من هذه الغفوة الفنية، ومن ثم صححت مسارى، وعدت

إلى طريق الشعر الصحيح، مقيما موازنة سلمية بين متطلبات الفن، ومتطلبات الحياة، واضعا نصب عينى دائما أن الشعر لابد أن يظل شعراً قبل أى اعتبار.

ومنذ عام ١٩٥٢ أخلصت لشعر التفعيلة الذى كنت واحداً من أوائل من كتبوه، ولم أعد إلى كتابة القصيدة البيتية إلا فى أحوال نادرة.

ففى عام ١٩٥٦ مثلاً كتبت عددا من القصائد ذات الطابع الحماسى، وذلك إبان العدوان الثلاثى على مصر وكانت طبيعة المناسبة الوطنية تستلزم هذا اللون من التعبير الشعرى المباشر الذى يحرك مشاعر الجماهير للتصدى لمواجهة العدوان.

كما كتبت عام ١٩٦٠قصيدة بيتية معروفة هى «الأطفال والذرة» ولكتابة هذه القصيدة قصة: فقد كانت لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعـــاية الفنون والآداب - المجلس الأعلى للثقافة فيما بعد - برئاسة الأستاذ العقاد ترفض الاعتراف بالشكل الجديد، وبالتالى تنكر شاعرية من يكتبون الشعر على نهجه، وتعتبر لجوءهم إلى كتابة الشعر بهذه الطريقة عجزا

منهم عن كتابة القصيدة العادية، فأرد ت أن أثبت لهم - عمليا - خطأ هذا التصور، ومن ثم تحينت فرصة الإعلان عن إحدى مسابقات المجلس الشعرية، فتقدمت إليها بالقصيدة المذكورة مكتوبة على النهج البيتى، فكان فوزها بالجائزة الأولى، وتقريظ أستاذنا المرحوم «عباس العقاد» لها ، وتفضيلها على غيرها من قصائد الشعراء الملتزمين بالأوزان الخليلية المكتملة وحدها خير دليل على أن كتابة الشعر الحر لاتعنى العجز عن كتابة القصيدة بالنهج التقليدى، وأن من يكتبون القصيدة الحرة قادرون، وبتميز، على كتابة القصيدة ذات الشكل البيتى.

وفى ديوانى الأول «عناق الشمس» الذى نشره المجلس الأعلى للفنون والآداب عام ٦٦ يقول المرحوم: صالح جودت فى تقديمه للديوان:

«تلفت للشاعر صاحب هذا الديوان لأول مرة حينما وقعت عيناى على قصيدة اشترك بها فى مسابقة من مسابقات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، منذ سنوات قريبة.

كان عنوان القصيدة «الأطفال والذرة». وهو عنوان خليق بأن يلفت الوجه ويجتذب الاهتمام، وقرأتها وحدى مرة ومرتين، ثم أحببت أن أقرأها على زملائى المشتركين فى التحكيم من أعضاء لجنة الشعر وقلت لهم: قد يكون فى صياغتها ما لايصل إلى ذروة عالية، أما فكرتها فلاشك فى أنها من اللفتات العالية فى التفكير الشعرى الإنسانى المعاصر.

وكان أستاذنا العقاد - رحمة الله عليه - يرأس الجلسة، فقال بعد أن سمع القصيدة كلمة طيبة، لاأذكر نصها وإن كنت أذكر أنها فسحت للقصيدة مكانا حفيا بين القصائد الفائزة فى تلك المسابقة».

وفى المسابقة نفسها فاز أخى المرحوم «فتحى سعيد» بالجائزة الثالثة.

وفى مهرجان الشعر بدمشق - إبان الوحدة - عام ١٩٦٠ ألقيت هذه القصيدة وأذكر أن أخى المرحوم: صلاح عبد الصبور، والصديق الشاعر الكبير أحمد عبدالمعطى حجازى قد شاركا فى هذا المهرجان بقصيدتين بيتيتين بعد أن رفضت

لجنة الشعر مشاركتهما فى المهرجان بقصيدتين من الشعر الحر.

ولاأشك فى أن دافعى إلى التقدم إلى المسابقة بقصيدة بيتية كان الدافع نفسه الذى دعاهما إلى قبول شروط اللجنة والمشاركة فى المهرجان، بقصيدتين بيتيتين متميزتين.

وقد استمرأت اللعبة فتقدمت إلى المسابقة فى العام التالى بقصيدة بيتية أخرى بعنوان «قصة لاجئ» فازت بإحدى جائزتى المسابقة، وفازت قصيدة أخى فتحى سعيد بالجائزة الأخرى.

والحقيقة أن لجوءنا إلى كتابة الشعر الحر كانت تلبية لمتطلبات فنية تستوجبها سنة التطور، وتفى بحاجات نفسية وفكرية تقصر القصيدة بشكلها التقليدى عن بلوغها، وخاصة، والأصلاء من مبدعى الشعر التفعيلى لهم ممارستهم الطويلة الناضجة فى الكتابة على النهج القديم.

والرحلة طويلة وممتدة، ولا أستطيع أن أقدم تفاصيلها فى هذه الصفحات، وربما تيسرلى ذلك فيما بعد فى كتاب مستقل، وحسبى أن تقدم هذه الصفحات للأجيال الجديدة التى غابت

عنهـا هذه الحـقـائق التى تضـمنتـهـا شـهـادة من واحـد ممن عـاصروا مـيلاد القصيدة الجديدة، بل وشارك ـ بفاعلية ـ فى هذا الميلاد، وعرف دور كل من أسهم بجهد فى حركة الشعر الجديد، وخاصة وقد اختلطت الأوراق وتبدلت الأدوار.

وأواصل الرحلة بإيجاز فأقول:

فى أول الستينيات غبت عن منتديات القاهرة الثقافية لما يقارب العام، حيث نقلت بعد ترقيتى إلى المرحلة الثانوية إلى مدينة قوص التى كانت تستقر فى ذاكرتى عراقتها الثقافية وشوارد من أخبار شاعرها البهاء زهير، غير أن إقامتى بها لم تضف إلى تجربتى الإبداعية شيئا ذابال. وكل ماتبقى فى نفسى منها ذكريات عذبة عن أوقات جميلة قضيتها ـ أيامها ـ بصحبة شاعر الصعيد الكبير ـ الآن ـ الصديق العزيز الأستاذ محمد أمين الشيخ، والذى لاأدرى لماذا عاب على ـ فى حديث أجرى معه مؤخرا ـ أن أطالب بحقى بين رواد قصيدة التفعيلة، وهو حق لم يعد ينكره أحد.

وعدت إلى القاهرة لأحيا بها فترة الستينيات التى بلغت فيها قصيدة التفعيلة أوج نضجها، شكلاً ومضمونا ، فقد كان

الشكل قد تحددت سماته الفنية ورسخت قواعده، واستمد المضمون من المد القومى الرائع والمكاسب الثورية مواضيع للإبداع تتجدد بتجدد الأحداث ويتوهج حماس الجماهير وتفاعلها الثورى.

وظهر على الساحة الشعرية مبدعون كثيرون، بعضهم ظهرت بوادره فى أواخر الخمسينيات، واكتمل عطاؤه فى الستينيات، والبعض الآخر كان ابن المرحلة ظهوراً وإبداعا:

محمد عفيفى مطر وفاروق شوشة، وأحمد سويلم، ومحمد إبراهيم أبو سنة، وبدر توفيق، وحسن توفيق، ومحمد أحمد حمد، ومحمد أحمد العزب وعبد الوهاب قتاية، ومحمد محمد الشهاوى، وفؤاد بدوى، وأنس داود، ووفاء وجدى، وأحمد عنتر مصطفى، ونصار عبد الله، محمد أبو دومة، ومحمد السيد نداء، ومحمد فهمى سند، ومع كل هؤلاء الشاعر الذى شغل الدنيا والناس المبدع الكبير المرحوم أمل دنقل الذى كان شعلة من النشاط لاتخمد ولايقر لها قرار.

ثم كانت النكسة التى صدمت النفوس، وكسرت القلوب، فكان فرار كثير من المبدعين من واقع الهزيمة العسكرية المر

إلى خارج مصر، لعلهم يعيدون هناك توازنهم النفسى، وكنت مع الخارجين، فشددت الرحال إلى دولة الإمارت العربية. وفيها عشت مايزيد عن العشرين عاماً، كنت فيها مشاركاً فعالاً فى حياتها الثقافية، وعلى يدى تخرج من أبنائها فى مجالات الإبداع المختلفة أجيال وأجيال.. وهناك تكونت جالية ثقافية مصرية تشارك فى حياتها الثقافية بفعالية لاينكرها أحد.. كان هناك ومازال كثيرون من مبدعى مصر لهم دورهم الفعال فى الحياة الثقافية:

نجيب الكيلانى ، وإبراهيم سعفان، ومصطفى كمال، ورأفت السويوكى، وفوزى صالح، وإبراهيم المصرى وكامل يوسف وجلال السيد، وعبد الوهاب قتاية، ومحمود الشريف، وثريا العسيلى، ومحمد ناجى، وجمال بخيت، ومحمد نور الدين، وكمال جامع، وعشرات غيرهم من الفنانين والمبدعين.

وأحسب أن فترة إقامتى الطويلة هناك قد تركت آثارها فى تجربتى الشعرية من حيث الشكل والمضمون، وأن من يقرأ ديوانى: «هكذا غنى السندباد» و«بينى وبين البحر» اللذين

صدرا فى القاهرة سيرى إلى أى حد بلغ أثر إقامتى الطويلة هناك فى تجربتى الإبداعية.

وإذا كان ديوانى الأول (عناق الشمس) هو وحده الذى صدر فى القاهرة قبل سفرى إلى الإمارات، فإن بقية دواوينى باستثناء «أغنيات طائر غريب» الذى صدر فى بيروت - قد صدرت كلها بالقاهرة أثناء وجودى بدولة الإمارات، ماعدا ديوانى الأخير «لكم نيلكم ولى نيل» الذى صدر فى القاهرة بعد عودتى إليها واستقرارى بين رحابها الطيبة.

والدواوين التى صدرت بالقاهرة أثناء إقامتى بالإمارات هى على الترتيب: «الشيخ نصر الدين والحب والسلام والأمل» و«للحب أغنى»، و« الضياع فى المدن المزدحمة» و«هكذا غنى السندباد» و«بينى وبين البحر»

وفى الإمارات صدر لى ديوانان: مجموعة مشتركة بعنوان «العزف على الأوتار الخمسة» ومجموعة شعرية للأطفال تحت عنوان «عيون الفجر».

وهأنذا أستقر - الآن - فى وطنى مواصلاً رحلتى الإبداعية

التى امـتـدت حـتى الآن إلى مـايزيد على الأربعين عـامـا، وبقدرما تسعنى الصحـة والجهد أشارك ـ مخلصا ـ فى الحياة الثقافيـة، وإن مـالمسته من احتفاء بعودتى وخاصـة من أبناء أقاليم الوطن العزيز ليؤكد أن الإخلاص للكلمة لايضيع، وأن الجهود الإبداعية الصادقة لاتنسى بحال من الأحوال.

إضـاءات:

استكمـالاً للصـفحـات السابقـة أرى لزامـا على أن أقدم مـجمـوعـة من الأنوار الكاشفـة تجلت لى من مـراجعـتى لحـوار كان قد أجراه معى الأديب والشاعر السورى الأستاذ هيثم يحى الخواجة، ولأهميته ذلك فى تجربتى الإبداعية استسمح القارئ أن أعيد بعض المحاور وردودى عليها:

* عن سؤال عن تجربتى الإبداعية خارج نطاق القصيدة كان هذا الجواب.

كتبت مجموعة من المسرحيات الشعرية «مشرق آتون» مسرحيـة شعرية ـ لم تطبع ـ «الشىء الذى لايموت» مسرحيـة شعرية من فصل واحد. «لم تطبع».

«كرنفال قصر الطاووس» مسرحية شعرية من فصل واحد «لم تطبع» .

الطريق إلى القدس: مسرحية نثرية تاريخية مثلت دولة الإمارات فى مهرجانات عربية.

صحوة المشلول: مسرحية نثرية مثلت دولة الإمارات فى مهرجان المسرح الخليجى.

الشبرة والعبرة: مسرحية عرائسية نفذت فى دولة الإمارات مجموعة من المسرحيات المدرسية: نفذت فى الإمارات.

مجموعة من المسلسلات للأطفال : نفذت فى الإمارات.

مجموعة كبيرة من أغانى الأطفال: نفذت فى الإمارات.

المشاركة والإعداد فى عدد من البرامج التليفزيونية والإذاعية قدمت فى مصر والإمارات.

* وعن سؤال عن التجربة النقدية فى مسيرتى الأدبية كان هذا الجواب.

الناقد يستقر فى أعماقى، فبالإضافة إلى مانشر لى من دراسات نقدية فى مجلتى «الأديب» و«الآداب» البيروتيتين،

وفى المجلات المصرية: «الرسالة» و«العالم العربى» و«الشهر» و«المجلة» و«الثقافة الجديدة» و«المنتدى» الإماراتية، وجرائد «الأهرام» و«المساء» و«الأهرام المسائى» وغيرها من الصحف المصرية إلى جانب صحف دولة الإمارات: «البيان»و«الإتحاد» و«الخليج» نشرت مجموعة من الدراسات مثل: «البعد القومى فى شعر شاعر الإمارات سالم بن على العويس» و«الشعر فى الإمارات: المحاور والأدوات»، كما كتبت عددا من المقدمات النقدية لمجموعة من الكتب مثل قصة «ليل العبيد» للدكتور نجيب الكيلانى، ودواوين الشعراء فوزى صالح وشهاب غانم وهيثم الخواجة وأو فى عبد الله الأنور، ورفعت المرصفى ونجيب الكيلانى، وإذن فالكتابة النقدية عنصر أساسى فى تجربتى.

* وعن سؤال حول التجربة الصوفية أجبت: نشأت فى بيئة دينية، فجدى لأمى الشيخ محمد منصور كان عالما مجددا ومتفتحا من تلاميذ الشيخ محمد عبده المقربين، وأذكر أن الشيخ مصطفى عبد الرازق - وقت أن كان وزير للأوقاف. قد ذاره فى منزله المتواضع بشبين القناطر.

كما كان والدى وكيلاً للطريقة الرفاعية بالبلدة، وبالإضافة إلى دراستى للفسلفة الإسلامية والمتصوفة بكلية الآداب، وإقبالى على قراءة النفرى وابن عربى وابن الفارض والحلاج وغيرهم من شعراء التصوف، فأدى هذا كله إلى بروز هذا الإتجاه فى شعرى منذ أواخر الخمسينيات ومن يقرأ الأعداد الأولى لمجلتى: «الشهر» و«المجلة» سيجد لى كثيرا من القصائد التى تتضمن التجربة الصوفية، ولعلنى من أوائل الشعراء المصريين الذين نهجوا هذا النهج، وللصديق الشاعر والمفكر الدكتور عبد الغفار مكاوى فضل ظهور ديوانى «الشيخ نصر الدين والحب والسلام والأمل» فهو الذى أشار على بجمع قصائده المتفرقة فى كتاب، فأخرجت هذا الديوان عام ١٩٧٤.

* وحول ارتباط شعرى بالأحداث الوطنية والقومية أجبت على سؤال صاحب الحوار.

لم أعش فى يوم من الأيام منفصلا عن واقعى الوطنى والقومى، ولاشك أن معايشتى للأحداث القومية والوطنية التى عاصرتها قد ظهر صداها فى إنتاجى الشعرى خلال الخمسينيات والستينيات ومن يقرأ دواوينى «الضياع فى المدن

المزدحمة» و«عناق الشمس» و«للحب أغنى» سيلمس كل ذلك، غير أن ما نشر لى فى كثير من المجلات المصرية والعربية من قصائد ثورية تعبر عن تفاعلى بالأحداث تملأ دواوين ودواوين وللأسف لم تمكنى الظروف إلا من تضمين القليل من هذا الإنتاج الغزير فيما صدر لى دواوين.

* ثم كان هذا التساؤل: «يلحظ أن تجربتك الشعرية تنطلق من الحركة لاالسكون، بدليل تنقلك بين حدائق المدارس الشعرية بين فترة وأخرى.. هل تعتقد أن هذا جاء نتيجة للتطور الشعرى والفكرى، وأنك راضٍ عن المذهب الشعرى الذى توقفت عنده الآن؟»

فكان جوابى: الانتقال من مدرسة شعرية إلى مدرسة أخرى أمر يتطلبه التطور الأدبى ونضج تجربة الشاعر الفنية، والذين يقفون عند حدود مدرسة شعرية، ثم لاينتقلون إلى مدرسة أخرى بفعل النضج والتطور شعراء جامدون. وكان من الطبيعى أن أبدأ كلاسيكيا بفعل قراءاتى ودراساتى الأولى، ثم أتحول رومانسيا، ومن الرومانسية إلى الواقعية، وحين اكتشفت أن التزامى الواقعى سيكون على حساب المستوى الفنى

والجمالى كان على أن أعادل معادلة صحيحة بين الفن والالتزام. ومن هنا كان وقوفى عندما يمكن تسميته بمدرسة «الحداثة المعتدلة»، فأنا حريص على العروض الشعرى الجديد، ولست على استعداد للانزلاق إلى مايسميه متطرفو الحداثة - قصيدة النثر - كما أننى حريص على عمق التناول للرؤية الشعرية دون أن يؤدى هذا إلى الغموض والألغاز، ومع حرصى على التشكيل وبناء شعرى على التصوير لا التقرير، فأنا لا أنزلق إلى تداخل خطوط الصورة، أو الوقوف عند ضبابية الحلم كما هو الحال عند السيرياليين.. والتزامى بأن أكون ابن واقعى والمعبر عن عصرى لايكون على حساب المعايير الفنية الأصيلة، وأنا لا أنكر تفاعلى مع حركة الشعر الحديث بكل معطياتها الإيجابية دون السلبية . وأستطيع القول بأننى راضٍ تمامًا عن الصيغة الشعرية التى توصلت إليها الآن، وجعلت لى حضورى الخاص بين شعراء الحداثة.

* والإضاءة الأخيرة جاءت إجابة لسؤال عن دور الموسيقا فى تجربتى.

فى الحقيقة إن حرصى على بروز التوافق الإيقاعى فى شعرى يعود إلى إيمانى بأن العنصرين الأساسين فى التجربة الشعرية هما: التشكيل باللغة والموسيقا، وعن العصر الأخير فأنا أحاول مع حرصى على أهمية الإيقاع أن أكسر حدّته بحيث تبدو القصيدة - لغير العارفين - وكأنها قصيدة نثر، ومن وسائل كسر حدة الإيقاع: التدوير، واستخدام البحور غير الصافية والتى تتنوع فيها التفعيلات، ومن ذلك تعاملى مع «البحر الطويل» وغيره.

وإذا كان الإيقاع الموسيقى قد أصبح ساريا فى نفسى سريان الدم فى العروق، فالتكلف بعينه أن أتخلى عنه فى تجربتى الإبداعية.

إيضاح لابد منه

يضم هذا الديوان ستًا وعشرين قصيدة، اثنتان منها ترجعان إلى بداية تجربتى الإبداعية فى مجال شعر التفعيلة وهما قصيدتا: «الكادحون» وكذا يموت الناس مات».

أما الأولى فتمثل قيمة تاريخية بالنسبة لى، لكونها إحدى ثلاث قصائد كانت أول ما نشر من شعر التفعيلة لشعراء مصريين فى مجلة «الثقافة»، إلى جانب قصيدة لعز الدين إسماعيل وأخرى لصلاح عبد الصبور، وكان ذلك فى عام ١٩٥٢.

أما الثانية، فيرجع إليها الفضل فى تأكيد دورى بين شعراء الريادة فى حركة الشعر الجديد، فقد كتبتها عام ١٩٥٣، وكان

صداها قويا لدى من استمعوا إليها حين ألقيتها بالجمعية الأدبية بكلية الآداب، وكنت وقتها طالبا بالسنة الثانية، غير أن الصدى الأشد لها، كان حين نشرتها بمجلة «الرسالة الجديدة» عام ١٩٥٥، حيث استقبلها عامة الأدباء استقبالاً أعجز عن التعبير عنه.

ولهذا أعيد نشرها فى هذا الديوان، خاصة وأن شباب الأدباء سمع عنها، ولم يقرأها، ومن جهة أخرى لأننى سمعت بأذنى من ينسبها إلى غيرى من الشعراء ، بل إن شاعراً مرموقا ضمن جزءاً منها إحدى قصائده ، دون أن يشير الناشر إلى ذلك ، وقد نوه بذلك ناقد سورى فى مقال نشره بصحيفة «الأسبوع الأدبى» التى تصدر فى دمشق.

واعتزازاً بهذه القصيدة جعلتها عنوان هذا الديوان.

وأخيرا فإن هذه المجموعة تمثلّ تجربتى الإبداعية فى مجال شعر التفعيلة فى كل مراحلها، إذ تتضمن قصائد كتبتها فى الستينيات والسبعينيات، إلى جانب آخر أعمالى الشعرية.

ولعلى أكون قد أحسنت الاختيار.

١٩٩٤

أنت بعثتنى

وحينما أغْمضتُ عينيّا،
أستقبلُ الموتا
أتيتنى أنْتا.

يامنقذى:
من أينَ أقْبلتا؟
أنا كلّ ما أدريه أنّكَ حينما جِئتا،
وطرقْتَ بابى..
كنْتُ قد أغمضْتُ عينيْا،

أستقبلُ الموتا

فبعثْتنى أنتا.

لما طرقْتَ البابَ،

كُنْتُ أظنّك الموتا..

تمتمتُ: أهلاً بالخلاصِ أتى!!

مضيتُ لأفْتَحَ البابا

ربّاهُ!!

لا، لم يكُ الموتْ

هذا الصبوحُ الوجهِ، هذا المجتلى سمْتا!!

ويحيئُ صوْتُكَ دافئَ النبراتِ،

يَشجُبُ ذلك الصمْتا

- هَلاْ سَمَحْتَ لنا؟!

- يشرُّف نورُك البيْتا.

ودخلْتَ..

شاعَ الصحْوُ،

ذاعَ العطرُ..

أوْدع خَطوُكَ المغْداقُ كلّ حنيّة ق نبْتا

الزهْرُ فى الدهليزِ، فى الحجراتِ،

يطْغُ أينما سرْتا

ورْداً ونسريناً،

نَدَىً كُنْتا.

ومكَثتَ عندى مثلما شِئْنا

ورحلْتَ عنّى وقتما شِئْتا

خلّفْت عند رحيلكَ البُرْءَ

وتركْتَ روحَك تَمْلأُ البيْتا

يامُنْقذى:

مِنْ أينَ أقْبلتا ؟!

أنا كلّ ما أدريهِ أنّك حينما جئْتا،

وطرقْتَ بابى..

كُنتُ قد أغمضتُ عينيّا.

أَسْتقبلُ الموْتا

فبعثتنى أنْتا.

١٩٧٥م

صور

(١)

حين أممتُ المسجدَ،

كان الكلّ يصلّى

إلاّ هذا الواقف فى الصدر إماما

كان يقول كلاما،

يُلقيه قعوداً وقياما

نفْسٌ فارغةٌ من تقوى اللهِ،

ورأسٌ يتفصّدُ أرقاما.

(٢)

لمْ أكُ أحلمُ أنّى يوماً ماسأراهْ.

هاهو يقبعُ فى زاويةٍ من ميدان التحريرْ.

أقبلتُ عليْهِ بكلّ خشوع اللحظةّ.

حين رآنى أقبلُ نحوهْ.

هبّ سريعاً،

وتأبْط خفّيْهِ،

وألقى ساقيْهِ للريحْ،

- يابِشْرُ الحافى،

أخبرنى - باللهِ - متى ستقرْ؟

متى ستقرْ؟

(٣)

فاجأنى السحرُ الكامنُ فى عينيّها

أقبلتُ عليها،

وأنا مجذوبٌ بالبسمةَ فى شفيتها

لم أكُ أحسبُ أنّ فتاةَ..

تملكُ هذا الحسْنَ ستبسمُ يوماًلى..

لكنْ حين وصلْتُ إليها،

خلّتْنى ومضتْ.

كان ورائى مَنّ تبسمُ لهَ.

أغسطس ١٩٩٤

القاهرة

الكادحون

الكادحونْ

عادوا إلى أكواخهم عند المغيبْ

ووراءهم..

قد خلّفوا الحقل الحبيبْ

يتعاقبون..

عادوا، وفى نظراتهم ذلّ السنينْ

عادوا، وبين ضلوعهم همّ دفينّ

يتتابعونّ..

والبؤس يبدو فى اختلاجات العيونْ

وأنا أعودْ

متكاسلاً، مثلى كمثّل العائدينْ

الراكنين لذلّهم مستسلمينْ

مثل الجدودْ..

كانوا كذلك مثلنا مستعبدينَ

القمْحُ غرسهمو..

ويقتاتون طينْ

جيفـً ودودْ..

السوط يلهبهم، فلا يتكلمونْ

عند الصباحْ

سأبيعُ نعجتىَ الكبيرة والخرافْ

لتكون مهراً للعروسِ،

وللزفافْ

زين الملاحْ..

ستكون لى زوجاً..

أجلْ بعد الحصيدْ

ستكونُ لى إشراقة الفجر السعيدْ

بذْرُ ولاحْ..

فى ليل ظلمائى..

فأهلاً بالصباحْ.

شىءُ يلوحْ..

فى عمقِ أعماقى

أجل فجرّ وليدْ

ينسابُ قلبى كما انساب النشيدْ

أملٌ وروحْ..

نورْ تفجّر فى غيابات الضلوعْ

رغم الجروحِ..

يانفسُ بشراكِ، بذا الصبح الصبوحْ

هذا صياحْ..

وعويلُ مكلومين ..داهمهم مصابْ..

ياللفجيعة!!

ماوراءك يانتحابْ..

خلف النواحْ

لا.. لا تقلْ..

لا.. لا تقلْ. هذا كثيرْ

لاكنت إن أبلغتنى النبأ الخطيرْ

زينُ الملاحْ!!

ماتتْ..

متى؟ عجّلْ وقُلْ..

ـ عند الصباحْ

أنا لن أبيعْ

تلك الخرافَ ونعجتى، عند الصباحْ

سأظلّ أنهلُ منك، يا كأس النواحْ

حتى أضيعْ..

وأذوب ذراتٍ على درب الوجودْ

حتى أقابلها هناك..

مع الخلودْ

حيث الربيعْ..

ومغارس الأنوار، فى الروض البديعْ

* * *

١٩٥٢

وكما يموت الناس مات!

وكما يموت الناس ماتْ..

لا... لم تنح أرض عليه، ولاتهاوت شامخات..

لا.. .لم تشيعه الطيور إلى القبور... مولولات..

وكما يموت الناس مات..

* * *

وتقول نجلاء : «وكانْ ...

يضفي على الدار الحنانّ»...

وتروح تنظر والرجال..

عبراتهم مُتحدّرات، والمكان...

والنعش يخترق الزقاقْ..

يجتاحه يأس، وكان..

* * *

و تروح تبرق من بعيدْ...

عينان، والهم الشديد...

ونعيبُ غربان هناك...

والنعش فى خطو وئيدْ..

عبر الأزقة والدروب..

ينساب، والصمت المديدْ...

* * *

وتذكرت عهدا بعيدْ...

وحذاء شرطى عنيد...

وجحافل المتسكعين هناك فى السوق البعيد..

الزيد يأخذها بأسعار الترابْ..

للسيد المأمور... «للبيه» المجيد...

وتروح نجلاء تعد دريهماتْ..

وتظل تحسب والدموعْ..

«لو لم أبع فى السوق بالثمن الزهيد..

لو لم يكن فى الأرض أذناب الطغاة..

لشريت ما يبغى سعيد»...

وتروح تبكى، والهموم محدقاتْ..

* * *

وتذكرت عهد المصحة، والقطارْ...

وذهابها فى كل أسبوع هناكْ...

السلة العجفاء فى يدها تنوحْ...

البرتقال بها، وأرغفة صغار...

وهناك فى جوف المصحة والرفاقْ...

يحيا، وليل اليأس يعقبه نهار...

* * *

وتظل تنحدر السنون، ولاشفاءْ...

والحقل يشمله أصفرار...

والنعجة البلهاء تزعق فى الفضاء..

والفاس يرقد فى انكسارْ..

وبهيمة شوهاء يعلوها ارتخاء...

وتظل تنحدر السنون، ولاشفاءْ...

* * *

لا..لم يلح فجر، ومات...

ومضى كما ذهب الرفاق...

عبر الطريق، بلاحياة...

لا...لم تنح أرض عليه، ولا تهاوت شامخات..

وكما يموت الناس ... مات...

١٩٥٣ - شبين القناطر

عمرنا يولد فى ضوء القمر

«من وحى الحياة فى الصحراء»

أصدقائى

هذه الليلةَ يأتينا القمرْ

ذلك الزائرُ يأتينا على استحياءْ،

يعلوهِ الخفرْ

أصدقائى

لاتناموا

هذه الليلةَ نقضيها سهارى

نملأُ الليلَ غناءً وسمرْ

ونغنى للقمرْ

أه ما أبهى القمرْ

حينما يبرزُ من خلفِ الشجرْ

حينما يطلعُ من خلْفِ النُخيلاتِ حبيباً يُنتظرْ

ياأحبائى تعالوْا

إنه آتٍ إلينا،

يملأُ النفْسَ انتعاشاً، يتملاه النظرْ

نحن من نعشق فى الليلِ القمرْ

فتعالوْا

ياأحباء القمرْ.

أصدقائى

لاتناموا

إنه يأتى إذا الليلُ انتصفُ

سابحاً فى لجةِ الضوْءِ العَطرْ

باعثاً من لحنه الفضىّ أنغاماً شجيّاتِ الأثر

الشعاعُ الأبيضُ الرقراقُ للعودِ وترْ

أصدقائى: إنه يومى إلينا وينادى

أصدقائى: هأنا جئتُ تعالوا ياأحبّاء القمرْ

املأوا الليلَ حياةً وغناء وسمرْ

واستحموا تحت أمواج القمرْ

يَغْسِلُ الضوءُ عذاباتِ البشرْ

ويُحيل الأنفسَ الصمّاء نوراً..

حينما تسبح فى نهرْ القمرْ

حينما كنتُ، رفاقى، فى المدينهْ

لم أكنْ أدركُ ما يعنى القمرْ

حينما يُشرق فى الليل على تلك الصحارى

فيحيل القفرْ نبْتاً وزَهَرْ

آه ماأبهى القمرْ

فى ليالى الصحراءْ

حينما يبزغُ من خلْف الأفقْ

يوقظُ النشوةَ، فى قلَب البشرْ

فنغنى للهوى، للحبّ فى ضوء القمرْ

ياغريباً فى المدينهْ

ياحبيبى، ياقمرْ

ياغريباً فى بلادٍ، لاتحبّ الغرباءْ

ها هنا فى الصحراءْ

ها هنا تلقى الذى يحفَلُ بكْ

فتعالْ

نحن مازلنا حَنيناً ينتظرْ

نحن من نعشقُ فى الليلِ القمرْ

نحن أبناءَ الصحارى

عمرنا يولد فى ضوء القمرْ

* * *

١٩٧٠

الفنان .. والمعركة

تعالوا، نحتمى بالشمس، من لفح الظلال السودْ

نعنى غنوة، مشحونة الإيقاع، ناريه

تدمدم باللظى الموار..

ثوريه..

يؤججها لهيب الثارْ..

يسعرها فحيح النار..

يجلجل فى النفوس نداؤها الجبار..

حريه..

تعالوا، ننشد الإصرار ألحانا..

نفجر فى صميم اللفظ بركانا..

نُحمّل حقدنا الكلمات ويل الأمس..

هم اليوم..

فرحِ غدٍ..

مُنى من أجلها ضحى ضحايانا..

إذا لم يحمل القلم الذى معنا مضاء السيفِ..

لاكنا، ولاكانا..

تعالوا.. نصنع التاريخ ملحمةً..

بلا أبطال..

سوى الشعب الذى ضحى..

سوى الشعب الذى ياكم تعذبَ..

واكتوى بالنار..

كى يجنى ثمار كفاحه الأقزام والأنذال..

تعالوا، ياضمير الشعب..

قولوا: ليس غير الشعب من سيحقق الآمالْ..

هو الشعب الذى سيحقق النصرا..

هو الشعب الذى سيؤذن الفجرا..

فيا جيل الكفاح المر..

قم، أرجع كرامة سائر الأجيالْ..

* * *

تعالوا بالدم المبذول نرسم لوحة حمراءْ..

جوانبها منى خضراء..

تطل بها عيون أحبتى الشهداء..

تعانقها الجراح الحمر..

تحتضن الوجوه السمر..

لإبطال، بلا أسماءْ..

من الزراع، والعمال، والأجراء..

برغم الفقر والحرمان، يبسم وجههم..

شرفاء..

* * *

تعالوا، ننحت الصخرا..

نشكل من تراب النيل تمثالا..

نبث به عواطفنا..

مشاعرنا..

نوازعنا..

سنا الأفكارْ..

ونجعل منه رمزا رائعا..

للحب، للإيمان، للبذلِ..

وللإيثار..

لكل مقدس فى الأرض..

كل مبارك نهواه..

ونكتب تحته بضياء أعيننا..

شعار حياهْ..

* * *

تعالوا، ننطلق..

من ذاتنا الصخرية الأسوارِ..

نخرج من قواقعنا..

نعانق كل شمس نهارْ..

نحضن كل نجم مساء..

ونجعل من شبا الأقلام أسلحةً..

نصد بها جيوش الليلِ..

كل جحافل سوداء..

ونرفع راية الأوطان..

ونحمل شارة الإنسان..

فلافن، ولافنان..

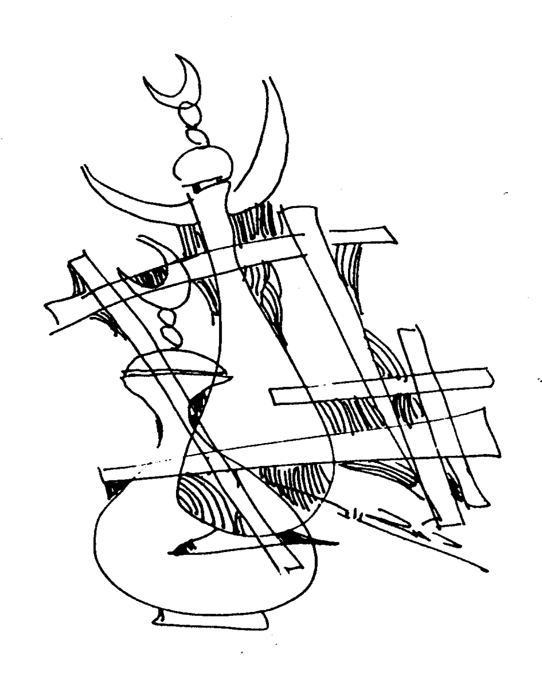
إذا لم نختضن حرية البلدان..

إذا لم يرتفع فى الأرضِ..

كل الأرض..

صوت كرامة الإنسان..

* * *



فى أنتظار الربيع

وبعد ياصديقتى، هذا هو الشتاء..

يزورنى أخيرا..

فحينما تغيب الشمس عن سمائنا

وينشر الصقيع ظله الكئيب

وتعزف الرياح لحنها العجيب

ويهطل المطر

يكون، ياحبيبتى، قد أقبل الشتاء..

وأنت، ياصغيرتى، شمسى التى نأت

وأدمعى هى المطر

وهكذا، حبيبتى، قد أقبل الشتاء

* * *

قد كنت، ياصغيرتى، شمسى التى تنيرْ..

وتملأ الوجود..

بدفئها المثير..

بالصحو والضياء..

وحينما رحلت..

فالبرد والصقيع..

يظللان أوجه الحياة، بالجليدْ..

وذاك يا حبيبتى، شتائى الوحيد

أغرودتى الحبيبةّ

كم أكره الشتاء!!

عودى، إذن، إلىّ..

إن ترجعى يَعُدْ لى الربيعِ..

ويرحل الشتاء..

وتطلع الأزهار، فى حديقتى الصغيرة..

إن ترجعى، حبيبتى، يزغرد الشجرْ..

وينضج الثمر..

* * *

حبيبتى تعال..

حبيبتى تعال..

فالانتظار طال..

وشوقنا لطلعة الربيع لاتحده حدودْ.

فلتقبلى بالزهر والورود

بالدفء والضياء..

فذلك الشتاء وطؤه ثقيلْ..

قاس على كيانى الهزيل..

وأنت شمس البُرْء للعليل..

فلتقبلى، ليرحل الشتاء، بالرياح، بالصقيعْ

إن تقبلى يَعُدْ لنا الربيع.

١٩٧٩

ثلاث أغنيات للحب

عدينى..

بأكِ لن تسأمى حبّنا

ولن تهجرى عُشّنا

وأنّ الذى بيننا

سيبقى لنا وحدنا

سرّنا

فلا أحدُ غيَرْنا

سيعرف هذا الذى نما زهُره حولنا

وعطّر أيامنا

عدينى..

بحق الذى بيننا

وكان لنا وحدنا

ويبقى لنا وحدنا

(٢)

عْبر عينىّ وعينيكِ شعاعُ من نغمْ

ياحياتى..

إنها الأشواقُ،

والأشواق فرْحُ وألم

وندمْ،

حينما تمضى بنا الأيامُ من دون لقاءْ

يصبح العمرُ خواءْ

صدقينى..

لم يكن إلاَّهباءْ

لم يكن إلاَّ هشيما...

ذلك العمر الذى ولّى قديما،

قبل أن يجمع مابينى وعينيك اللقاءْ

(٣)

أتسألنى:

لماذا يعشقُ الإنسانّ؟

لأن الحبّ فى دمنا،

كمسرى الروحِ فى الأبدانْ

عشقنا،

لم يكن فى الوسعْ ألاْنبَلوَ الأشواقْ،

ولهْفة عاشقٍ مُشتاقْ

عشقنا،

لم يكنْ فى الطوْقِ ألا نعرفَ الحبّا

ونارًا تصهرُ القلْبا

عشقنا،

فالهوى قدرٌ على الإنسانْ.

يفاجئنا، يحاصرنا،

فلا نقوى على النيرانْ..

وتأتى الآن تسألنى: لماذا يعشق الإنسانْ؟

* * *

١٩٨٠

مرثية أولى

لفقيد الكلمة الشريفة «عبد الرحمن الشرقاوى»

قد أن للسف المناضل، لليراعِ

الحر أن يهدأ،

يقر ويستريحْ

و «الأرض» غمد السيف،

هذا حضن أمك يشتهيك،

فعد إليه، وطب به نوما،

فقد حان القرارْ،

ألاتحن لأن تذوق النوم يوما،

أيها القلب الجريحْ.

عد يا «أبا عوف» إليهم، إنهم

يترقبونك،

إنهم متشوقون إليك

ينتظرون مقدمك الحبيبْ،

ويرقبونْ،

ألا تراهم؟

عد إليهم: أنهم يترقبونك

أشرف الشرفاء طه،

والإمام البر، أتقى الاتقياء عليّ

يرقبُ..

والحسين بجرحه الوردى،

عُدْ فهمو هنالك يرقبونك، هم

أحبتك الصحابة،

والفتى مهران، والأشراف،

عُدْ

هذا عرابى، والأئمة، كلهم

يستقبلونك

بالعناق، فطب مقاما بينهم

وانعم

هنالك حيث مسرح أبهر

الأنوار، فى الأفق الفسيح

نم يا «أبا عوف» فقد آن الآوانُ

لأن تنام،

ألا تحن لأن تذوق النوم،

نم واهدأ،

فقد ناضلت حتى لم يعد فى

القلب طوق للنضالْ

فلقد تكسرت النصال على النصالْ

نم يا «أبا عوف» فقد أديت دورك كاملا

وبلغت شأوا لايطالْ،

نم يا أبا عوف، فهذى أمك المفتوحة الأُحضانِ

تدعو، إنها مدت ذراعيها إليك

لتحتويك، فعد إليها

عد إلىّ بنىّ،

إنى أمُك «الأرض» الذى عرفتك من بينِ الرجالْ

رجلا ولا كلّ الرجالْ.

نوفمبر: ١٩٨٧

الأرض والفارس

هى الأرض تحضن

ابناءها،

وتطعمهم من جنى ثديها،

فترتد أجداثهم شجرا مورقا

يعرش فوق المدى

المشرئبّ،

إلى غاية لم ينلها أحدْ

هى الأرض ترفع فلاحها،

تتوجه ملكا مفردا،

وتجلسه فوق عرش البكارةِ،

تلبسه خضر أثوابها،

لتزهو دوما به

هى الأم ينعشها أن ينالَ من الحمْدِ

مايشتهيه الولد.

هى الأرض عرض وعز،

عروس وفارسها أنت

وحدك،

تحمى حماها،

تصون لواها،

تخلّدُها فى العصور،

فتحيا بوحيك،

تبقى بقاءك،

تحيا حياتك،

تبقى لأنك قد صغتها من جديد،

كأشرف ما تستطيع الحروفُ،

فيا فارس الكلم المستنير،

ويا باهر اللمحات النضار،

لقد عشت فيها،

فعاشت وعشت،

وغنيتها،

غنوة لم يقل مثلها أى فردِ سواكَ

أجل لم يقل مثلها ذات يوم أحدْ

١٩٩٣

كينونة العشق

كُنْ لى، أكُنْ لكَ..

ولْيكُنْ ما بيننا الوهجُ المسافرُ فى العيونَ،

على جناحَ التوقِ،

يسرى فَى مجِراتِ النفوسِ العاشقهْ

كُنْ لى ، أكُنَ لكَ،

وليكُنَ ما بيننا سرّا، لنرقى صبْوةَ المعراجِ،

معتنقين فى ولهٍ،

نحلّق دائبين،

لعلّنا يوماً نجوزُ رحابَها،

قممَ الوصالِ الشاهقهْ

كُنْ لىِ، أكُنْ لكَ..

وليكُنْ مابيننا الدربُ الشعاعىّ،

الذى تصلُ النفوسُ بهِ،

تخبُّ إلى توحّدِ عشقهاَ،

فتفرْ من صيرورة العدم المباغتِ،

ترتدى كينونةَ الخلْدِ المنصّبَ فى القلوبِ بيارقهْ

كُنْ لى، أكُنْ لكَ، وليكُنْ ما بيننا همسٌ وسقسقةٌ.

وموسيقى، وأنغامٌ

لغاتٌ ليس يفقهُ سرّها،

غيرُ الطيور توحّدتْ أزواجُها،

ومضتْ تُنقّبُ عن سكينةِ روحها،

بين الفجاجِ الباسقهْ

كُنْ لى، أكُنْ لكَ،

فلتكُنْ لأكونَ،

ياأفقاً سموْتُ إليهِ،

مُنْعتِقَ الفؤادِ،

سبحتُ،

جُزْت رحابَه،

كالطفل،

منفتح الرؤى لأعانقهْ

* * *

١٩٨٨

«الحلم ... والثمن»

«إلى روح: غالب هلسا»

أمِنْ منْفَى إلى منفَى،

ومن سجن إلى سجنٍ،

تظل مطارداً، يتعقّبُ الأعداءُ حلمكَ، حيثما ظنّوه ..

فى عينيك،

فى أعماق روحك،

فى مداد الحرف، فى وهج العبارةِ،

يبحثون لعلّهم يجدونه يوماً،

فإنْ وأدوه يرتاحوا،

فحلمك كم يروّعهم،

فينطلقون خلفك كالذئابِ،

وأنت تدفعُهم عن الحلم الجميلِ،

تصدّهم صداً..

وماذا غير قلبك، إنه الدرعُ الذى يحمى نقاء الحلم..

أمقضىّ علينا أن نقدم عمرنا ثمناً..

ليحيا حلمنا وطناً؟

وهل لابدّ للأحلام كى تبقى من الثمن الذى يبغون؟

هل لابدّ من أن ندفع الثمنا؟

وها هو ذا شهيدُ آخر يقضى..

بأوج عطائه بمضى..

يقَدم قلبه ثمناً ليبقى حلمه الأبهى..

ويبقى دائماً رمزاً..

لأروع ما يقدمه بنو الأحرار من ثمنٍ،

ليبقى الحلم مؤتلقا.

١٩٨٩

«يفاجئنى العيد»

يفاجئنى العيدُ،

وجهاً دفُوقَ النداوةِ،

طلْقاً بقدْر انفساحِ مدى الحلْم،

عذْباً عذوبةَ طفْل ضحوكِ الأسارير،

لم يعرفُ الحزنُ باباً إلى قلبه البكْرِ،

وجهاً نسيتُ ملامحه فى زحامِ الحياةِ،

وها هو ذا يرجعُ الآن هذا الصباحَ،

يعودُ بنفس الملامح،

نفسِ الجمال القديمِ،
ليغمرنى بالفرَحْ.

يفاجئُنى العيدُ،
أغنيةً تتحدّى الكآَبةَ،
تصدحُ بالبشْرِ،
إيقاعها الحلو يَسرى بكل نقاءِ الطبيعةِ،
ينسابُ كالألقِ العذْبِ،
يمسحُ كلّ الظلامِ،
ويفتح للوْعدِ باباً
وللسعْد بابا،
وللصحْو باباً،
وللحلم باباً،
فيبدو الوجودُ جميلاً جميلاً،
بثوب الصفاءِ اكتسى اتّشَحْ.

وأحياهُ،

تلك الوجوهُ التى قد كستها البراءةُ،

تضحك بين تداخلِ لونٍ بلونٍ،

وأحياهُ،

أرجوحةَ أثقلتها الجسومُ الصغيرةُ،

واصطخبت بالغناءِ السعيد،

وأحياهُ،

والمركباتُ مضتْ بالصغارِ،

أهازيجُهم ردّدتها الدروبُ،

وأثوابهم شكّلت من بعيدٍ،

بسحر تداخل ألوانها العذبِ قوسَ قزحْ.

فيا عيدُ،

ياذلك الطائفُ الحلوُ،

عُدْ كلّ عامٍ إلينا،

لتملأَ أيا منَا بالحياةِ،

فلستُ «أبا طيبِ الشعرِ» حتى أقولَ:

كما قال يوماً:

«بأية حال تعودُ؟»

تعودُ على أىّ حالٍ،

سنلقاكَ،

وجهاً بشوشاً،

وقلباً ضحوكاً،

كباراً تعانقُ أصحابَها فى ودادٍ

صغاراً تُغنّى

وتمرحُ عبر المدى المنفتحْ.

١٩٩٠

لأننى أغازل القمر

هأنتِ ذى صديقتى تفاجئيننى أغازلُ القمرْ.

فلم يَعَدْ لى صاحبٌ سواه

منذ أن هجرتنى

فهل آلامُ حينما أغازلُ القمر؟

***

كلَّ مساء ياصديقتى يمدُّ لى أرجوحة

الخدرْ

تحملُنى إلى عوالم ما اجتازها بَشَرْ

مهدهداً خواطرى بكلُ لمسةِ سحريةِ الأثرْ

يسكننى الذهولُ، الانبهارُ،

أنتشى بحفنةِ من المشاعرِ الأخَرْ

لايأسَ، لاقنوط،

لاتعاسةٌ، ولاكدرْ..

فهل آلام ياصديقتى لأننى أغازلُ القمرْ؟

* * *

كلّ مساءٍ ياصديقتى يمدُّ لى هذا الوديعُ

سُلّماً من الضياءْ فأرتقى كما أشاءْ..

أبيتُ صاعدا إلى عوالم من البهاءْ

أفقِ من الصفاءِ رائقِ نضرْ

يسكرنى بنفحهِ العطرْ

تلوحُ هاهنا هناك ياصديقتى،

عرائسُ من قبلها، لا، لم يكن حَوَرْ..

هذا هو الحورْ..

هذا هو الجمالُ..

فتنةٌ على مدى البصرْ..

لاشيء غير أن تمتع النظرْ

وأن تهيم، تقطف الورودَ والثمر.

وتنتشى بما يطيبُ من زَهَرْ

فهل آلام ياصديقتى لأننى أغازلُ القمر؟

١٩٨٥

كذب هو التاريخ..

إلى نزار قبانى انطلاقا من حبّ لاشبهة فيه للعروبة والعرب

كذبٌ هو التاريخ ياعربُ

كل الذى روجتمو كذبُ

ماكان عنترة سوى وهم

تمثال زيف، إنه خشبُ

كال الملامح محض تلفقة

دارت بها الأشعار والخطب

لو إنها حدثت كما رويت يوماً،

فكيف الحال ينقلب

أن الحقيقة حين يعوزها

صدق الدليل، فأمرها عجب

* * *

من ذا يصدق أننا عربُ

وإلى الكرام الصيد ننتسب

من ذا يصدق أننا يوماً

قد شدنا نحو العلا سبب

أو نحن أبناء الأولى بهمو

غنى الزمان وشادت الحقب

أو نحن أبناء الأولى سادوا

كل الأنام، وللمنى وثبوا

أونحن أبناء الأولى فتحوا

صعب البلاد، وجيشهم لجب

لا يا أخى مانحن من كانوا

ذلك الزمان، وكلهم نجب

أونحن من نسل لهم ؟كلا

أنا لست أحسب أننا عرب

لو نحن من أصلابهم سدنا

وتحقق الأعزاز والغلب

لو نحن من أبنائهم حقاً

كنا دأبنا مثلما دأبوا

لكن قطعنا العمر فى لهو

ولكم أضر بمعشر لعب!

***

إنا نسينا المجد، وا أسفا

من حالنا، كم يعظم العجب

فلقد أضعنا كل ما غرسوا

ولقد هدمنا كل مانصبوا

ونقول: إنا معشر عرب

أنا لاأصدق أننا عرب

لو أننا عرب لما هنا

هذا الهوان ومسنا النصب

لو أننا عرب لما عبثت

بكياننا الأحداث والنوب

لو أننا عرب لحققنا

مجد العروبة مثلما يجب

لو أننا عرب لأرجعنا

كل الذ ى من أرضنا سلبوا

لو أننا عرب لما رضيت

منا النفوس بنهب ما نهبوا

لو أننا عرب لوحدنا

منا الصفوف وللعلانثب

لو أننا عرب لما نمنا

نوم الكهوف وحالنا عجب

فتنبهوا ياعرب إن لكم

ذكراً به كم غنت الكتب

ولتصنعوا مثل الذى صنعت

أجدادكم وثبوا كما وثبوا

ولتعلنوها صحوة تحيى

ميت النفوس، ليسطع الغضب

غضب يعيد لكم مكانتكم

بين الشعوب ويسلم النسب

فأقول: حقاً إنكم عرب

وإلى الكرام الصيد ننتسب

١٩٨٠

همزية العشق والغناء

هو الجمرُ مستترٌ بالرمادِ

إذا أنت لم تُشعليه،

إذا أنتِ لم توقظيهِ،

إذا أنتِ لم تنقتى السرّ فيهِ

إذا أنتِ لم تبعثى فيه نْبض التأججِ،

وقد التوهجِ..

نور التألْقِ..

فيض التدفقِ..

لم تنفخى فيه من روحكِ، انداح مهترئاً وانطفأ

(٢)

يقدْر ازدهار الموسم يأتلقُ الشدْوُ،

ينهمرُ الشعرُ،

هذى دروبُ الغناءِ، تتيح مواسمَها للشداةِ..

فهل موسمٌ للبهاءِ أجلّ عطاءً؟..

وأنت هى الموسم المجتبى،

أنتِ كلُّ المواسم،

أنتِ الآوانُ الذى حلَّ فى وقتِه،

أنتِ كونٌ بفيضِ الفتون امتلأ،

(٣)

دعى الشدْولى،

واشمخى بالجمالِ..

وكونى النبوءةَ أن الجمال اكتمالُ،

ألا اكتملى أكتملْ،

فاكتمالك وحْىُ بأنّ النشيدَ امتدادُ،

وأن الغناءَ التقاءُ بقطبين لاسلب بينهما..

مُوجبُ العشق يوجبُ دفْق العطاءِ،

تفيضى بسحْرٍ أفضْ بالغناءِ،

أغنّى أغنّى فتحتضن الأغنياتُ الملأْ

تكونى أكُنْ،

إنّ كينونتى أن أغنّى،

ولا شدْو إلا بعشْقٍ،

ولاعشْقَ إلا بفيْضٍ من السحرْ يوقظ نبْع الغناءِ..

فأشدو..

فكونى، كما شاد وعْدُ السنا أن تكونى..

كنوْارة الحقْلِ كُونى،

كإطلالة الفجرْ كُونى،

كإيماضةِ البدْرِ كُونى،

كترنيمة الطيرِ كُونى،

كإيراقةِ الروْضِ كُونى،

كترويحةِ العطْرِ كُونى،

كتعويذة البُرْءِ كُونى،

كتسبيحةِ النجْم كُونى،

كترويقةِ النْبعِ كُونى،

فإنك منْ شكلْ الشعْر صورتَها مثلما قد أُحبّ لها ، وتغنى، فكان الغناء الذى لم يكن مثْله منذ ومْضِ الغناءِ ابتدأ.

أنا العنفوانُ، لظى العشقِ،

وقْد الصبابةِ، نبْضُ المواجيدِ،

توْقُ يُعربدُ ملْءَ الشرايينِ،

وعْدُ بغيْثٍ يبشّرُ بالخصْب،

كونى إذنْ أرضَهُ،

العطشَ المستبدُّ يوافيه رىّ امتلاءِ،

أجلْ، فلتكونى الخصوبة،

كونى التفتحّ،

كونى الربيعَ الذى لايُحدْ،

أنا النهر جئتكُ مندفعاً مثل سيلٍ،

فلن تعرفى بعد ذلك طعم الظمأ.

١٩٩٣

أغنية إلى صناديد

معداة إلى عبدالله السيد شرف

صناديدْ

جئناك - نحن المريدينَ -

لاغيْره - الشعرَ - يجمعُ،

لاغيْرِه - الحبُّ - يدفعُ،

لاغيْرِهَ - الشوق - يشفعُ..

فانتصبى، كالمنارةِ،

وانبثقى، كالبشارةِ،

واشتملى، بالنضارة،

واشتعلى، بالبكارةِ،

إنّا محبْوكِ،

إنّا مريدوهُ،

جئناك، جئناهُ

نعبرُ تلك الرحابَ النديّاتِ،

تلك الدروبَ السجيْاتِ

سعيا إليك، إليهِ

إلى قبلة القاصدين،

إلى واصل المبدعين

بقلْب مشَوقٍ،

ووجدِ دفوقِ

نهل عليهِ،

زرافاً كما يفعلُ الواصلون

فيفجؤنا بالبهاءِ،

ينُا فحنا بالصفاءِ،

يقيّدنُا بالوفاءِ،

يحّررنُا بالنقاءِ،

ويربطُ بين الجميع الغناءْ

فإذْ نحن،

كلّ الذين بباحته أصدقاءْ.

قصائد قصيرة «هواجس»

الخوف

خوفى من خوفى،

يُسلمنى للخوف، فأخافُ

يالُطف الألطافْ

ماذا يغنُم إنسانُ خوْاف

إلا أن يقف كما وقف رجالُ عنْد الأعراف

لاهو دخل الجنةَ،

فاستمتع بنمير وقطافْ

ولاهو دخلَ النارَ،

فلاقى ما روْعه عُمرا،

وأخافْ

الوهم

أتوَهَّمُ أحيانا أنْ فتاةً ماتهوانى،

فأقيم قصورا من أحلامْ

وأعيش سعيدا بين خيالاتِ عذبهْ

وتمرُّ الأيامْ

وأراها فى صحبة إنسانٍ آخر

ساعتها، لايقتلنى القهرْ

أطرح عنّى ثوب الأوهامْ

وأقولُ لنفسى:

لم أخسر شيئا،

وريحتُ قصيدهْ

الموت

حين أتانى فى الغربة نعيُهْ

كذْبتُ النبأ، وقلتُ:

محال أن يخطفه الموتْ

وبقيت على أمل أنى يوما ما سأراهَ

يااللهَ!!

ها أنذا ألقاهَ

وأنا أعبرُ - بعد العودة - ميدان التحرير

أقبلتُ عليه بكلْ حنين القلبِ المعطشِ للقاهْ

ومددت إليه ذراعى لهفهْ

لكن وا أسفاه!!

حين ضممتُ الجسدَ إلىْ

شعرت بأن الماثل ليس صديقَ العمرْ

سحبتُ ذراعىْ، وحدْقت بعينيْهَ

لَحْظتها أدركت بأن صديقى ماتْ،

فبكيتُ عليهْ.

سبتمبر: ١٩٩٤

رباعية همزية

أولها : سباحة

وأسبحُ عبْرَ اللّجين،

على هسهساتِ الزنابقِ أطفو،

يُغشّيني الليلُ،

والربوتانِ بلون العقيقِ،

وهذا المسافرُ عبْرَ العَروقِ يحُاصرُه الاشتهاءْ.

ثانيها : ولهَ ،

يُداهمنى الولهُ،

فأزحفُ ألتمسُ الربوتينِ،

هما الصبوةُ المشتهاةُ،

هما العطشُ المستثيرُ،

هُما نقطةُ البدْءِ حيناً، وحيناً هُما الانتهاءْ.

ثالثها: نكوص

لقد كان لى فى أخٍ أسوةُ:

كان أن هزّه الشوقُ،

راودهُ العشقُ،

نازعهُ التوقُ،

يأوى إلى جبلٍ فى العراءْ

رابعها: كمون

وهأنتذا..

ولا شيءَ غيرُ اشتعالك بالوجْدِ،

غير الصباباتِ، والظمأ المستحرْ،

الذى ليس يُطفئهُ ألفُ غيثٍ وغيثٍ،
فماذا ستصنعُ غير انتظارٍ عقيمٍ؟
لعلّ الذى قد زكاهُ الربيعُ
سيخمدُ منطفئاً فى الشتاءْ.

* * *

أوراق قاهرية

ورقة أولى :

«العودة إلى القاهرة والنورس الذى لاقى الخفافيش»

وهأنتذا،

وبعد غيابكَ هذا الذى طالَ، تحتضنُ القاهره.

تزقزقُ فى الصدْر كلُّ العصافيرِ،

تزهرُ فى فى النفسِ أبهى الزنابقِ،

ترقصُ فى فرحةٍ غامره.

تعودُ إليها، ككلِّ النوارس حين تئوبُ إلى مهْدِها

تحدِّقُ من خلفِ دمْعتها الطافرةَ.

تجيءُ إليها بكلِّ اشتياقكِ،

كلِّ الحنينِ،

تؤمُّ الأماكنَ،

نفسَ الأماكن

نفسَ الرؤى..

[غير أنَّ الوجوهَ التى طالما صافحتْك هنا، لم تعدْ ها هنا].

فمن هؤلاءِ تُرى؟

أيها العائدُ الآنَ،

بعد غيابكِ هذا الذى طالَ، تحتضنُ القاهرهْ.

هم حرافيشُها،

بينما أنت لا،

لم تَعُدْ - مثلما كنتَ فى أمسها - منْ حرافيشِها

إنهم شجرُ يحتمى بالعراءِ،

تُظَلِّلُه السحبُ الشاردهَ.

نَبْتُ هذا الزمانِ،

الذى - كلَّ يوم - له ألفُ وجهْ ووجهْ،!

الوجوهْ التى فقدت لونْها.

- كلَّ يومٍ - له ألفُ سمْتٍ وسمتْ،

السِمات التى ضيْعت سمتْها.

لماذا تجىءُ، لتندسَّ فى جمعْهِم؟

أتفهم ما يهمسون به من رطانٍ؟

لماذا إذن ترتدى زيهم؟

وتأتى إليهم،

وما أنت منهم،

ولاهم إلى عالم تنتمى إلى أفقه ينتمون.

لم لغة غير كل اللغات،

وهو وحدهم، دون كل الورى، يعرفون الذى يهرفون به،

فدعهم وما يهرفون له،

لاتحاول..

وحلق بعيدا،

بعيداً بعيداً

ورقة ثانية

الشجرو الحصار

شجر يحاصره أساه،

تشرذمت من حوله الأوشاب،

وانتفض القتاد أسنة تمتد صوب الصدر،

تلتمس الدماء،

فيشرئب - وحوله الأسوار، لايدرى متى قامت

ولا من بثها بثا، تضيق، تكاد تخنقه - يحاولُ..

عله يحسو من الشمس الشحيحة حسوةً،

تهب الحياة لهُ،

تعيد إليه خضرتهُ،

ترد عليه نضرتهُ،

وتدفع عنه هجمة معولٍ،

وتصد غائلة اجتثاث عارم يسعى إليه

وأنت لا تتحركين،

وتنظرين،

ولاتمدين اليدين لتمنعى هذا الخرابَ،

كأننا نبت غريب عن ترابك،

ياحديقتنا التى هرمت،

فما عادت تبشر بالحياه،

يأأيها الشجر الذى تتقدم الأشباحُ منه،

وبين أيديها المعاول،

لذ ببطن الأرض،

ولتنشب جذورك فى الصميم،

بغور عمق التربة المعطاء،

لاتستسلمنَّ،

تشبْثاً بالطينِ

بالأعماق،

لاتسقطْ،

وقم كالطود، تصدع هجمة الأشباحِ،

إنك إن سقطت، فلا قيامة بعدها،

إن السقوط إلى مداه .

شجر يقاوم، كى يصد الليل،

يحفر فى الجدار الصلب ثقبا،

كى يمر الفجر منه إلى حديقتنا،

فيغمرها بنور الصبح،

حتى تهرب الأشباح،

فالأشباح يرهبها الضياء،

يفل شوكتها،

فناضل أيها الشجر المقاوم كى يذوب الليل،

كى يفد الصباح إلى حديقتنا، ويغمرها سناه

ورقة ثالثة

أنا والشتاء الذى نسيته

شتاء بارد القسماتِ،

غِبَّ الليل داهمنى..

وكنت نسيت سحنته،

سنين تغربى عنكم.

ولكنّى بصرت به بقلب الدار.

- أهذا أنت؟

- أجل إنى...

- وكيف دلفت والأبواب موصوده؟

- من شباكك المكسور

- إذن فى الصبح أصلحه.

- وما الجدوى؟

وقد أصبحت من سكان هذا البيت.

١٩٩٤

«لغة العيون»

تحدثنى العيون الزرق عن بحر، بلا شطآنْ،

وعن ربان،

هوى بيمينه السكان..

فضاع هناك فى غور العيون الزرق،

هوى، مابان..

وا أسفا!، هوى ما بان،

وقر هناك بين جزائر المرجان.

تحدثنى العيون السود عن ليل، بغير قرارْ،

تهوم خلفه الأسرار..

وعن سحار،

يفك طلاسم الأقدار..

أتى تلك العيون، فحار،

ودار ودار،

وضاع السحر والأسرار،

وتاه هناك فى ليل العيون السود..

وا أسفاه! تاه وحار..

وأصبح نفسه سرا من الأسرار.

تحدثنى العيون الخضر عن بستان،

يتوج أرضه الريحان..

وعن غُدران،

كمثل صفائها لم تبصر العينان..

وعن إنسان،

أقام بساحة البستان،

لكى يستنشق الريحان..

فمات بساحة البستان..

وا أسفاه! مات بساحة البستان

فما صاحت عليه أسى سوى الأطيار،

أترع دمعها الغدرانْ.

وياخمرية العينين، فى أفقيهما الأطيار،

تهمس: من يروم تذوق العسل؟..

وفوق نداوة الشطين رنت صيحة الظمآن:

ما أروع أن تغرق فى بحر من القبل!..

أذوب، أذوب فى أعماقه الهدارة الأغوار،

ويجذب روحى التيار،

فأهوى فى مهاوى التيه،

أهوى للمدى الدوار،

وأسمع همسة العينين..

ماذا يملكُ الهيمانُ،

هل يقوى على الأقدار؟

* * *

١٩٧٥

من قصار القصائد

(١)

«المهباط»

أغوص،

بدوامة من حريرٍ،

بجذب إلى القاع أهوى..

وأهوى، وأهوى

يهدهدنى خدر مستحبٌ،

شديد النعومة، مثل النعاس

فيا نشوة القاع!

هأنذا فى حرير الهبوط أدلّى

أسافر فى رحلةٍ،

لست أدرى..

متى منتهاها؟

متى المستقر؟

(٢)

«المطرب»

قلت المطرب لما هزنا اللحن:

«أعد»

عاود الشدو،

فلم يطرب لما غنى أحد،

(٣)

«توازن»

البنتُ النافرة النهدين..

لكزتنى بالثدى الأيسر،

وهى تشق طريقاً وسط زحام العربه

كدت أقع

فأعدت توازن جسمى،

مستنداً فوق الأيمن

(٤)

«مكابدة»

لما أرقنى الشوق إليه

قلت أكفكف من سورة وجدى بالكلمات

فجلست أخط إليه رساله

أودعت الورق حنينى كله

فارتاحت نفسى.

لكنى حين شرعت أفكر فى العنوان

وا أسفاه!!

أدركت بأنى لا أتذكر..

فالعنوان

قد مسحته يد النسيان

فرجعت، وقد أرقنى الشوق إليه.

وأمامى تشتعل الأوراق!

(٥)

«دعابة»

سألتنى:

- مارأيك فى شعرى؟

فتصنعت بأنى لم أحسن سمعا،

وسألت:

- بالفتح أم بالكسر؟

قالت: بالفتح وبالكسر..

فأجبت: الفتح ألذ..

ألذ ألذ

(٦)

«المحصلة»

شاة أخذت تتسلى بمراودة وعول الغابة

راودها ذئب عن نفسه..

فبكت

(٧)

«الدرويش والأطفال»

لما ضاق الدرويش بحصباء الأطفال

ساومهم بحواديته

- كفوا عنى أتحفكم بحكايات

وبتمر الأيام

أصبح دأب الدريش الحكى»

ودأب الأطفال الإصغاء

لاعبث ولا حصباء

لكن مابات يعكر صفو الدرويش:

ماذا سيكون الحال؟

حين يغيض النبع..

ما غاب عن الدرويش:

أن الأطفال

صار مشدودين إليه

بحكايات، وبدون حكايات.

١٩٩٤

سألت سيدى:

- هل منتهى الحياة مبتداها؟

أجابنى:

- بل مبتدى الحياة منتهاها

ضحكت

وفى الضلوع تورق الجراح

فلم أكن أعلم أن سيدى يجيد صنعةالمزاح

(٢)

سألت سيدى:

- أما لديك حكمة جديدة؟

أجابنى:

- وحكمة العام الذى مضى!

ألم تكن جديدة؟

أجبته:

- كانت كذاك يومها..

لكن عاما ينقضى يخلق منا ماقشب

أجابنى:

- قديم يومنا جديد أمس

ولاتضيع جدة الكلام

لمحت نجمة تمزق الظلام

هتفت:

- شكراً سيدى المجيد..

فقد أجبتنى لما أدريد..

(٣)

سألت سيدى:

- أما بلوت حرقة الغرام؟

أجابنى:

- وهل وجدتنى أغط فى لفائفِ الكفن؟

سألته:

- وما علاقة الغرام بالحياة؟

أجابنى، وفوق ثغره يرف برعم ابتسامه:

- علاقة الحياة بالغرام

(٤)

سألت سيدى:

- ماقول سيدى المجيد،

فى واحد من العدا، يهزمنى ببغضه،

بكل ثورة الحسد

فكيف أهزمه؟

أجابنى، وقد علت جبينه غمامة من الصفاء

- بالحب تهزمه.

(٥)

سألت مرة:

ـ ياسيدى المجيد..

أليس من عجائب الزمان،

أن يموت بعضنا من ندرة الطعام؟

أجابنى:

ـ بل من عجائب الزمان،

أن يموت بعضنا من وفرة الطعام!

لمحت بازيا ينقض فى ضراوة الخطر

على خيال بليل صغير

وحينما أبصرته بين المخالب الحداد يحتضر

أدركت ما عناه شيخنا الكبير

(٦)

سألت سيدى:

ـ ماسر بسمة بثغرك الوضىء لا تريم؟

أجابنى:

- ما يملأ الفؤاد من هموم.

سألته:

- هل يعرف الهموم من يود أن يخلص الوجود من أساه؟

أجابنى:

- وهل ترى تبددت كآبة الحياة؟

لما عرفت سره بكيت.

(٧)

سألته:

- ياسيدى الجليل..

مالقولُ فى عليل،

أعجزنى شفاؤه..

قد مرت السنو مابرئ؟

أجابنى:

- لا بأس أن يصاب جسمنا،

مادامت الروح بخير

هتفت:

- سيدى: عليلنا لايشتكى من علة الجسدْ فاربدّ

وجه شيخنا، وقد علت جبينه سحابة من القلق..

وكان ثم غيمة سوداء تعبر الأفق..

وقال لى:

- يرحمه الإله.

١٩٧٢

طيور الذاكرة

(١)

تنقر جمجمتى،

توقظنى من غفوى،

تتسع الجمجمةُ،

تصير عوالم شتى،

تحملنى بين جناحيها، وتطيرُ،

تجوس بحاراً ومحيطاتٍ،

تصعد قمماً،

تهبط قيعاناً،

تمخر عبر الأصقاع المجهولةِ،

تمضى، تمضى

مسلمة أجنحة الهبة للريح عناقاً،

وأنا،

فى نشوةِ إحساسى بالصحوةِ،

لاأدرى أين أكون،

(٢)

أحياناً تهجعُ فى الأعشاشِ،

يطيب لها أن تكمن ساكنة،

فأحاول أن أخرجها من مكمنها،

تتأبى،

وتظل هنالك هاجعةً،

فى الأركان الصامتةِ،

أعيد الكرة كيما تخرجَ،

لكن تبقى راكنة للنوم،

أحاولُ،

لاجدوى

ترقدُ،

مسلمة أهداب الأجنحة المرخاةِ

لصمت وسكون

تفجؤنى خارجة،

طالعة أسراباً تتبع أسراباً،

تحملنى ثانية بين جناحيها،

وتحلق مصعدة فى الآفاق،

تطير إلى أصقاع أخرى،

كنت نسيت ملامحها بمرور الأيام.

تعيد بكارة إحساسى بالكشفِ،

فأغرق في نشوة ذاكرتى البكرِ،

تعود إلى،

بكل توهج صحوى المارقِ،

من أسوار العتمة،

يخرج مثل البركانِ،

يهب عفيا،

يستيقظ بعد خمود وكمون.

* * *

١٩٩٤

قصائد قصيرة

عن «مهران السيد»

(١)

المنجمى

غص فى مناجمك العميقة،

ثم عد بعروق تبرك،

حرة تضوى، كما تضوى المشاعل،

أيهذا المنجمى،

أريهمو الذهب الأ صيل،

ففى زمان الزائف البراق،

يندر مثل معدنك الشريف

أريهمو حر النضار.

(٢)

النسر:

يا أيها النسر الذى يزوى بقمته البعيدة،

نائياً عن مسرح كثر البغاث به،

سلمت،

فلم تزل رغم السنين،

بكل قدرتك التى كانت ومازالت تتوق..

إلى ذرى شماء ترفض أن يحل بها،

سوى النسر الذى يهوى الصعود،

إلى معارج ليس يبلغها البغاث،

وأنت هذا النسر،

فاخلد جبث أنت،

ودع صغار الطير،

عند السفح،

حيث حلا لها فيه القرارْ،

(٣)

الصمت النبيل

ياطالما غنيت إذ غنيت حيث الروض يغرى بالغناء فى ذلك الزمن الجميل.

فى ذلك الزمن الذى ما كان يصدحُ فيه،

بالشدو الأصيل سوى الأصيل

وأتى زمان غاب فيه الطائر الشمسى،

لما أبصر الساحات يزحمها البغاث الأرعنُ التياه،

واصطخبت بألوان الرطان

والصمت أجدر بالعنادل،

حين يغدو للجنادب كل هذا الغفوان.

* * *

عصافير الشتاء

(١)

هذى عصافير الشتاءِ،

تجمعت من خلف نافذتى..

لتنبأنى بأنّ حبيبتى تأتى غداً،

هذى العصافير الصغيرة كم لها حدس عجيب،

إنها تتنسمُ الأخبار،

تلقفها من الأفق البعيد،

تجىء، تلقيها إلى حفيةً،

وتعود تسبح من جديدٍ،

علها ترسو على نبأ جديد.

(٢)

بالأمس جاء إلى عصفورٌ،

وحط على الإطار الخارجي لظهر نافذتى،

وسقسق برهة، ومضى..

فلم يترك رسالته إلىّ،

أكان يجهلُ أننّى ثاوٍ بداخل غرفتى

أم أنه قد أخطأ العنوان؟

كان لعاشق غيرى إذن،

ماكان يحمله من البنأ السعيد.

(٣)

لكن سأبقى فى انتظارك، ياعصافير الشتاء،

مع الصباح،

فداومى هذا الحضورَ،

ففى زيارتك الحميمةِ،

مايرقرق داخلى ماء الحياةِ،

يعيد طعم طفولتى،

ويردنى لرحيق أيامى،

يجدد فى العروق دم الصبابةِ،

ياعصافير الشتاء،

صواحبى أنتنّ

لا تحرمننى

هذا الشعورَ،

بأننى ماعدت فى الدنيا وحيد،

النجم

«والنجم إذا هوى، ماضلّ صاحبكم وما غوى»

قرآن كريم

(١)

كل مساء أرصدها رصداً

أحصيها عدا

أخشى أن تفلت منى نجمه

يهرب عنى نجم شارد

ويغيب هنالك فى الفلك الدوار.

(٢)

تلك النجمة كانت صاحبتى فى أيام العشق الأولى

كنت أشاكيها همى،

فتواسبنى،

تمسح عن صدرى اللوعة،

حين تداهمنى آلام الهجران.

كانت تفرح حين يكون لقاء ووصال

ساعة يغمونى محيوبى بوداد وحنان

كانت تحزن حين يصير جفاء وبعاد

فتخْفف عنى الحسرةَ،

تنزع من نفسى غائلة الأحزان.

(٣)

تلك النجمةُ،

ما أطيبها..

كانت مؤنستى فى أيام الغربة،

كانت تحمل أنبائى،

لأحبائى،

عبر الآماد

وتطمئننى حين تغيب الأخبارُ،

فتبذر فى قلبى روح الإسعاد،

(٤)

تلك النجمة،

ما أروعها..

حارستى منذ سنين العمر الأولى

كانت تدعونى بأمومتها:

«ياطفلى الطيب»،

وتهدهدنى بحكايات.

كانت تحكى لى قصصا حلوه

فتسرى عن نفسى،

حين يحاصرنى الأرق،

ويهرب نومى،

ويخلى الأجفان،

(٥)

تلك النجمة..

أو تلك وتلك، هذى..

ما أكثرها تلك الأنجم،

ما أجملها..

هى كنزى الباقى،

فى هذى الأيام المجدبة المشحاحْ

فهل أحد يملك مثلى هذا الكنز؟

هل فيكم من يمسك مثلى هذا المفتاحْ؟

* * *

١٩٩٤

أغنيات طائر غريب

الإهــــداء

إلى التى كان غنائى ... قبل أن نلتقى..
بحثا عنها...

حتى إذا تم اللقاء ... صارت هى وحدها...
وحى نشيدى...

أقدم هذا الديوان.

عبد المنعم عواد يوسف

تقديم

قصائد هذا الديوان ..برغم أنها كتبت منذ زمن بعيد.. وبرغم أننى قد تجاوزتها .. فنيا .. الآن، تحتل من نفسى مكانا أثيرا..

إننى .. حين أقوم بنشرها الآن فى كتاب.. أعطيها فى الواقع شهادة ميلاد دائمة..

حقا .. إننى حين نشرتها، بعد كتابتها مباشرة.. مبعثرة على صفحات كبريات المجلات الأدبية.. هنا وهناك.. وقد أعطيتها شهادات ميلاد.. إلا أنها كانت .. فى نظرى .. شهادات ميلاد مؤقتة، أما الديوان .. فهو.. فى نهاية الأمر.. شهادة الميلاد الثابتة.. على أن نضع فى اعتبارنا أن تاريخ الميلاد شئ.. وشهادة الميلاد شئ آخر، فقد لا تصدر للمولود وثيقة ميلاد.. إلا بعد سنوات وسنوات من تاريخ مولده.

ولأننى أحب هذه القصائد.. خشيت عليها الضياع.. ولأننى حريص عليها.. كجزء من تاريخى الأدبى.. أقوم اليوم بنشرها فى

ديوان.. ولعل فى عملى هذا تكفيرا عما ارتكبته فى حقها من إهمال طويل..

شئ آخر أغرانى بنشرها.. مجتمعة.. الآن.. ذلك أنى .. نشرت بعضا منها.. مؤخرا.. فى إحدى مجلاتنا العربية الكبرى.. فانهالت على التهنئة .. من هنا وهناك..

وإذن فمازال لهذا النوع من الشعر قراؤه..

أحب أن أضيف أن نبرة الصدق.. والبساطة .. والجيشان العاطفى.. التى تشيع فى أبيات هذه القصائد تمنحها عذوبة خاصة..

عذوبة أستشعرها .. أنا شخصيا.. ولعل هذا التجاوب الذى لمسته فيمن قرأ بعضها.. منشورا مؤخرا.. مردّه إلى هذه الخاصية التى تمنح الشعر مهما اختلفت أيدلوجياتنا.. نكهة خاصة.

قال لى صديق عزيز.. من كبار شعراء المدرسة الجديدة فى الشعر عقب قراءته لواحدة من قصائد هذا الديوان.. نشرت مؤخرا..

إن بها من الصدق الفنى مالاتجده .. الانادرا .. فيما نقرأ من شعرنا.. اليوم..

شكرا للصديق الشاعر.. الذى أكد لى .. بكلمته تلك.. ثقتى بهذه القصائد..

حقيقة صغيرة أحب أن أضعها فى نهاية هذا الكلام.. معظم قصائد هذا الديوان كتبت فى أوائل الخمسينات من هذا القرن..

عبد المنعم عواد يوسف

الاصل... والصورة!!

لا ، لا تحــاولْ لســتُــهـــا	لستُ التى قــد كنتُــهـــا
هــى صــــــورةٌ منّى، ولــ	ـكنّى هناك دفنتُـــهـــا

***

أنـا لـم أعـــــدْ تلك التى	بالأمسِ أنت عــرفـتَـهـــا
أخـــرى أنا غـــيـــر التى	بـالزيف قــد منيـتَــهــا
وبكل أنـواعِ الحــــــديـ	ـعة جئـتَـهـا وخدعـتَـهـا
وزعـمتَ أنّك يا صـغـيـر	القلبِ قــد أحــبـبـتَـهـا

***

لا، لا تحــاولْ لســتُــهـــا	لستُ التى قــد كنتُــهـــا
هــى صــــــورةٌ منّى، ولــ	كنّى هناك دفنتُـــهـــا

***

أخــرى أنا غـيــر التى بالأمس أنت غـشـشـتَـهـا
أو لست تـذكــــر يا دعـ ـىَّ الحبِّ يوم أتيــتَــهــا
وعلى مـــحـــيـــاك الودا عـةُ بالخـداع رسـمـتَـهـا
وأخـــذتَ تحكى قــصـــةً وحىَ الخـيـالِ، نسجـتَـهـا
حـــتَّى لقــد أبكيـــتَنى من فـــرط مـــا أتقنتَـــهـا
صـــدقتُ مـــا قـــد قلتَـــه عن مـــحنةٍ عـــانيـتَـهـا
وسنين حـــرمـــانٍ طوا ل - يا ملفِّقُ - عـشـتَـهـا
أخـــرى أنا غـيـــر التى بالكذْب قـــد أبكيـتَـهـا
حـتَّى اذا مـــا اسـتـسلمتْ لهـــواك حـــينًا، فُـتَّـهـا
أو لستَ تذكــر، يا خـصـيـ ـبَ الذهن كـيف تركـتَـهـا
نلتَ الذى تبـغـيـه منهـا ثمَّ ... ثم مَلَلْتَـــهـــا
ومــضـــيتَ عنهـا ذاهبًا من دون مـــا ودعـتَـهـا

***

لا، لا تحـــاولْ لســتُـهـا لست التى قـــد كنتُـــهـا
هـى صـــــورةٌ منِّى ولـ ـكنِّى هناك دفنتُـــهـــا

***

لو لم أكنْ غـــيــر التى ... بالأمس أنت عـرفـتَـهـا
ومـضـيتَ عنهـا بعدمـا ... قـد عـفـتَـهـا، ومللتَـهـا
لو لم أكن أخـــرى ســـوا ... ها، مـا أخـالك جـئـتَـهـا
لو كنتُ نفسَ الصـــورة الـ ... أخـــرى لما قـــاربتَـــهـا
لو لم تجـــدْ بى صـــورةً ... مـا كنتَ قـبلُ عـرفـتَـهـا
مـــا جـــئت تســعى هكذا ... لو كنتُـهـا، مـا جـئـتَـهـا

***

لا، لا تحـــاولْ لســتُــهـــا ... لست التى قـــد كنتُـــهـــا
هى صـــــورةٌ منّـى ولـــ ... ـكنّى هنـاك دفنتُـــهـــا

***

أنا صـــورةٌ أخـــرى أجلْ ... غــيــر التى قـــد كنتُـــهـــا
بالعـــزم بالإصــــرار بالـ ... ـتـصـمـيم، قـد أعـددتُهـا
وعلى مـــثـــالٍ نادر الـ ... إيمانِ قـــد شـــيـــدتُهـــا
فـأذهبْ هناك، فلســتُـهـا ... لا، لا تحـــاول لســتُـهـــا
عـــبـــثًـــا تظن بأننى ... من - ذات يوم - كنتُـــهـــا
هى صـــــورةٌ منى، ولـــ ... ـكنى هنـاك دفنتُـــهـــا

***

عيناها .. والشعر .. والاحزان ..

لعـينيك أشـدو بشـعـرى　　أُردِّدُ عـــــذبَ الـغنـاءْ
لعـــينيكِ يا أختَ روحى　　أُغنِّى بأحلى حُــــداء
فـتـصـغى نجـومُ السمـاءْ
وتصـغى طيـورُ الفـضـاءْ
ويرقص نـورُ القـــمـــرْ　　ويطرب حـتى الحــجـرْ
لأنِّى لعـــينيكِ أشـــدو
وتبـقين أنتِ .. حـيـاتى　　ومن دونهم أجــمــعينْ
بلحنىَ.. لا تعــبـــئين
فـكـيـف أغـنـى.. لـهـم　　وأطربـهم بالـنشـــيـدْ

إذا كنتِ لا تســـمـــعينْ

لعــينىْ حــبــيــبى أُغنّى وقـــد نام كلُّ البـــشـــرْ
فــيــســرى غنائى حــزيناً رقــيــقّــا كــقطْر المطر

جــرى من عــيــونِ الســمــاءْ

لعــينىْ حــبــيــبى أُغنّى وقـــد نام كلُّ الوجـــودْ
فــيسرى نشــيــدى رقــيــقّــا نــديّــاً كــنــفــخ الــورودْ

يعـــــانقُ روحَ المســـــاءْ

لعــينىْ حــبــيــبى أُغنّى إذا مـــا أطلَّ الصـــبـــاحْ
فــيــســرى نشــيــدى وديعــا كطيــــرٍ رقـــيقِ الجناحْ

يحلقُ عـــبـــرَ الفــضـــاءْ

***

لعـــينيكِ مـــازلتُ أشـــدو أغنّى .. ومـــا تـــســـمـــعينْ

أغنى ومـــا تعـــبـــئينْ

وأعـــجب من كـل شىءٍ ســـؤالك: إذْ تـــســـألينْ
لمـــاذا تـــغـــنـــى غـــنـــاءً حـــزيناً .. حـــزيناً.. حـــزينْ

الخيط الساحر

وسألتُها - والخيط حول الإصبع المشغول - ماذا تصنعينْ؟
فتضاحكتْ منى وقالتْ، والسنا يعلو الجبينْ
والومضُ فى لمحاتها - يُنْبى عن الشوق الدفينْ
«جِرْسًا» لأجلك يا حبيبى، يا أَميرَ العاشقينْ

***

وتمرُّ أيامُ اللقاءِ، ويختفى عنِّى سناها
وتروحُ، لم تتركْ هنا - إلا بصيصًا من ضياها
غابتْ كما يمضى الشعاعُ، ولم يعدْ إلاَّ صداها
وبقيةٌ من خيطها - كان النسيمُ هنا رماها

***

ووجـــدتُهـــا يومـًــا ، وكـــان فـــتىً هناك، على اليـــمينْ!
وســـمـــعـــتُـــه ، نفـــسى السَـــؤال يقـــولُ - مـــاذا تصنعينْ؟
«جــرْسًــا» لأجلك يا حـــبـــيـــبى - يا أمـــيـــرَ العـــاشـــقينْ
فـــضـــحكتُ من نفـــسى ، ومنه ، ويســـخـــرُ الخـــيطُ اللعينْ

تخيلي

أتـيـتُ لـلـكـونِ ذاتَ يـومٍ بلا ضـجـيجٍ، بلا ضـيـاءْ
لم يشـرق النورُ من أمـامي أو يـخطرْ الـسـعـدُ من وراءْ
ورحتُ أنســاب في سكونٍ أجـرجـر الخطوَ في عـيـاءْ
وفـجـأةً لُحْت في طريقي كبسمـةِ الفجرِ، كـالصفاءْ
تـخـيَّلي أنـنا ضَلَلْنا فلم يـكـن بيـننا لـقـاءْ
أيشـرقُ النورُ في حـيـاتي أيبـسم القلبُ في هناءْ

***

الكونُ يا فـرحـتي زِحـامٌ يضجُّ بـالشـرِّ والعـداءْ
فـأينمـا سـرتُ لستُ ألقى سـوى المقـاسـاة والعناءْ
وفجـأةً قـد صـفتْ سـمـائي وأسـفـرَ الأُفقُ بالبـهـاءْ
ولُحْتِ كالشمسِ في حياتي فـأشـرقَ العمـرُ واسـتـضـاءْ

تخـــيّلى اننا ضلَلنا فلم يكن بيننا لقـــاءْ
اكنت انســاب فى ســلام واحضن الناس فى انتشاءْ

***

العمرُ قدْ عشتُه غريبًا أحــسُّـــه كلّه هبـــاءْ
فليس فى قلبىَ اشـتــعـالٌ وليس فى نفسىَ اشـتـهـاءْ
وجئتِ كى تصنعى وجودى كى تخلقى الأرضَ والسماءْ
كى تبعثى عـالماً جـديداً يفـيض بالسـحـرِ والرواءْ
تخـــيّلى أننا ضَلَلْنا فلم يكن بينَنا لقـــاءْ
أكنتُ أختـالُ فى سرورٍ بعـــــالمٍ كلّه، غناءْ

***

وهكذا كــــان أنْ تلاقى قلبـان فى عـالمِ الوفـاءْ
يغنيّـــان المنى ســويّا فـيـمــلآن الربى حُـداءْ
ويُتْـرعـانِ الدُنى سلامًـا ليـــرحل الشـرُّ والعناءْ
ويمرحَ النـاسُ فى أمـــانٍ حـيــاتُهم كلُّهــا، هناءْ
تخـــيّلى أننا ضَلَلْنا فلم يكن بيننا لقـــاءْ
أكـان هذا الشـعـارُ يحـيـا لينشـــرَ الحب والإخـــاءْ

***

حــبـيـبـتـى، اننا سنحـيـا نوزّعُ الخـــيـــرَ والنمـــاءْ
ونزرعُ الحبَّ فى نفـــوسٍ أصـــابَهـا الجـدبُ والبـلاءْ
فـيـبـزغُ الفـجـرُ فى رباها ويُزْهرُ البـــشـــرُ والسناءْ
ويرحلُ الشـــرُّ فى سكونٍ ويمرقُ الحـقـدُ فى خـفـاءْ
تـخـــــيّلـى أنّـنا ضَلَلْنـا فلمْ يكن بيننا لـقــــاءْ
أتمـلأ الأفق أغـنيـــــاتٌ ترقـــرق الحبّ والوفـــاءْ

***

بحثتُ فى الصد رِ ذاتَ يومٍ وجـــــدتُه كلّه خَـــلاءْ
يرفُّ طيفُ الوجـومِ فـيـه ويصــرخُ الجـدبُ والخـواءْ
فـلـيـس وردٌ ولا زهــورٌ تتـيـهُ بالحسنِ والبـهـاءْ
وفجـأةً جئتِ يا مـسـيحى فـأقـبل الخـصبُ والنمـاءْ
تـخـــــيّلى أنّنا ضَلَلْنَا فلم يكن بيننا لِقـــــاءْ
اكنتُ غيـرَ الهـجـيرِ ألقى بعــــالمٍ كلُّه شـــقـــاءْ
حبيبتى قدْ وجدتُ نفسى من يومِ أن ضَـمَّنا التـقـاءْ
وأشـــرقَ الحبُّ فى ربوعى فـعبَّ قلبى من الضـيـاءْ
وعـشتُ من يوم أن عـرفنا طريقَنا، أجـــهلُ الفَنَاءْ

فـحـبُّنا فـرحـتـى، خلودٌ على مَدَى الأرضِ والسماءْ
تـخـيَّـلـى أنـنـا ضَلَلْنَـا فلم يكنْ بيننا لِقَـاءْ
اكنتُ أحـيـا بلا ظلامٍ بلا شـقـاءٍ، بلا انتـهـاءْ

***

لا تلومينى !!

لا تلومينى، فما جدوى الندمْ كلُّ شئٍ قد مضى حتى الألم
كلُّ شئٍ ضاع، ولىَّ وانقضى وتوارى خلف جدرانِ العدمْ
أنتِ كم حذَّرتِني، كم قلت لى غـيـر أنى لم أكنْ إلا أَصمْ
فاسكَنى يا نفسُ قرِّى واهدئى لا تلومينى، فما قد تمَّ تمْ

الذى قد ضاعَ ضاعْ
كالسرابْ
لم يكن إلا شعاعْ
ثم غابْ

***

لستُ أنسى ذلك اليومَ البعيدا لست أنساهُ ولو مَرَّتْ دهورُ
حينما ألفيتُه يأتى سعيدا ملءُ عِطْفَيْه ابتهاجٌ وسرورُ
كان سحراً، كان إحساساً جديدا فانتشى من خمرة القلبُ الغريرُ
ذُبْتُ فيه، بعد أن كنت وحيدا وازدهى الدرب وقد وشَّاه نورُ

قلتِ لى: لا تنخدعْ
بالوميضِ الزائفِ
قلتِ لى: لم أستمعْ
لم أكن بالخائفِ

***

ليتنى صدَّقتُ ما قد قلتِه ليتنى آمنتُ، هل تنفع ليتْ
لو أنا أدركت ما أدركتـه من وشيكِ الغدر حقاً لا نثنيت
غير أنِّى كنت أعمى لا أرى موضع السم بأنياب الزمانْ
فالذى حذرتنى منه جرى والذى قد قلته بالأمس كانْ

***

لو يفيد اللومُ، لومى
واسخرى
ذاك نفخ فى الهشيمِ
أقصرى
فالذى قد ضاعَ ضاعْ
كالسرابْ
لم يكن إلاَّ شعاعْ
ثم غابْ

أربعة أناشيد ... للحب

(١)

عندما يتحدث القلب

أنا لم أفــــارقكم .. وحقِّ غــــرامنا.. أبداً مــــلالاَ
لا.. لا.. ولن أنسى عــهــوداً للهـــوى.. ســـالت زُلالا
لكنَّ جـــرحـاً في الفــؤادِ.. يئــزّ ناراً.. واشــتــعــالا
هى صـــرخـــةٌ للكبـــرياءِ.. تمزّقُ القلبَ انفــعــالا

***

أنا لستُ أنســاها.. عـــيــوناً .. علّمــتنى: مـــا الغـــرامْ
ومــضتْ تطوفُ بقلبىَ المشــبـــوبِ فى أُفقِ الهـــيـــامْ
فــســرى بأجنحـــةِ المنى الغـــدراءِ .. يحلمُ بالســـلامْ
وبعـــالمٍ حلْوٍ .. يرفــرفُ فـــوقَـــه.. ســـربُ الحـــمـــامْ
طـلـق .. يبــــاركُــــه الإلـهُ .. بكلِّ آياتِ الوئامْ

أنا لستُ أنسى كلَّ هذا العـــــهــــدِ .. يا أملى المرامْ
لكنَّ قلبى ثار .. حين أذَقْتــــــه هذا الدلالاَ
وإذابغضبته الضروسِ يئزُّ ناراً واشتعالا
هى صرخـــةٌ للكبرياءِ .. تمزِّقُ الصدرَ انفعالا

(٢)
عندما ييأس القلب

سأقولُها .. سأقولُها من قلبىَ الدامى!
والدمعُ .. دمعُ القلبِ يطفو فوقَ أنغامى
فلْتفعَلى ما شئتِ، ولتعصفْ بى أيّامى
ماذا أنا؟ لا شىءَ .. وهْمُ، نبْتُ أوهامِ

***

سأقولُها .. سأقولُها لكنْ بلا خوف
أنا من قضيتُ العمرَ فى دوَّامة الخوفِ
فلْتصنعى ماشئتِ من جورٍ، ومن عسف
أمَّا أنَا .. أنا سوف أمضى ساحبًا ضعفى

(٣)

عندما يعتب القلب

لو لفظةٌ، لو دمعةٌ، لو عتابْ

لو لعنةٌ حتّى.. لهانَ المصابْ

لكنّ هذا الصمتَ، هذا السكوتْ

هذا الرضاءَ المرَّ.. سهمٌ أصابْ

أنا عاتبٌ.. إذْ كيف لم تعتبى

لما هجرتُ .. وكيف لم تغضبى

قولى .. رميتَ السهمَ فى جنبنا

قولى.. لقد بدّدت أحلامَنا

قولى.. لقدْ أخطأتَ فى حَقّنا

قولى.. لقد شوّهتَ أيّامَنا

وأضعتَ كلَّ العهودْ

وقتلتَ كلَّ الورودْ

ومحوتَ سحرَ الوجود

لكنْ وحقِّ هواك: لا تسكتى

فالويل .. كلُّ الويل إنْ تصمتى

يا ويلتى إن تقصدى بالسكونْ
هذا الجوابَ المُرّ، هذا الجنونْ
فَلْتعتبى، بالله، ولتغضبى
ولتلعنينى، وليكنْ ما يكونْ
ولتنقذينى من عذاب الظنونْ
هذا الذى يثوى وراء السكونْ

(٤)

عندما يصفح القلب

ورغمَ الصمتِ .. رغمَ اللأعتابْ ... تناسى القلبُ ثورتَه وآبْ
وبينَ ضلوعِه .. وجدٌ دفينٌ ... وبين جفونه شوقٌ مذابْ
يهدهدُ فرحةً فى الصدرِ تطغى ... وحبًّا لم يكنْ أبداً سرابْ
فقومى عانقى أفراحَ قلبٍ ... وهيّا باركى هذا المآبْ

***

وحنّ القلبُ .. حن إلى هواهُ ... إلى أيامه السكرى الهنيّهْ
وعانقَ وجدَه، وأتى إليكم ... يبث الدرب خطوات خفيّهْ
فيا ينبوع آمالى الغوالى ... ومصدرَ كلِّ أفراحى النديّهْ

أحبُّكِ .. رغمَ آلامى
أحبُّكِ .. رغم أشجانى

فَــحــبك يا ربيعَ الســرو ... ح .. يمسحُ كلَّ أحـــزانى
ورغم الصمتِ .. رغم اللأّعتابْ ... تنـاسى القلبُ ثورتَـه وآبْ
وبين ضلوعــه وجــدٌ دفينٌ ... وبين جـفونِـه شوقٌ مـذابْ
يهدهدُ فرحةً فى الصدر تطغى ... وحــبّـًا لمْ يكنْ أبداً ســرابْ

* * *

فرحة لقاء

هنا فى روضـــــةِ الحبِّ تلاَقَـــيْنا ... غـــريبين
وكـــان الشـــوقُ فى عـــينيـ كِ مـــشـبـــوباً، وفى عــيْنى
وكانت لحظةٌ سكرى
تدفَّقَ نورُها فينا
تلاقـــينا وقـــد تــاهت بـدربِ العـــمــرِ رُوحـــانا
فــقلت: حــبــيــبــتى هذى أصـــافحُ روحـــهَــا الآنا
تلاقينا وقد كنتُ
يئستُ لقاءها حينا
فـــمـــا أحلى تلاقِـــينا ومـــا أشـــهـى تدانينا
تَلاَقَـــيْنا بلا وعـــدٍ وفى أعـــمــاقِ أعـــمــاقى
يغنِّى ألف عـــصـــفـــورٍ نشـــيـــدَ غـــرامنا البــاقى
وجاءَ الحبُّ نشوانا

يرفرف بين أيدينا

فـــمـــا أحلى تلاقـــينا　　ومـــا أشـــهى تدانينا

تَلاَقَـــيْنا وإنْ كنا　　مـــراراً قـــد تَلاَقَـــيْنا

هنـاك بـعـــالـمِ الأروا　　ح، لَفَّ الحبُّ قلبـــيْنا

فهاتِ الزهر يا دنيا

نضيراً فى مغانينا

فـــمـــا أحلى تلاقِـــينا　　ومـــا أشـــهى تدانِينا

***

تلاقـــينا فـــهل تُبـــقى　　علـى الآمـــال أيامـى؟

وتبـقى الفـرحـةُ النشـوى　　بصـــدرى ملءَ أنغـــامى

أجلْ سنعيش أحبابا

ويبقى الحبُّ راعينا

فـــمـــا أحلى تلاقِـــينا *** ومـــا أشـــهى تدانِينا

ذكريات

وثَبْنَ من المخبأ العاطرِ... هناك بصومعة الشاعرِ
وطوّفن في جنباتِ المكانِ بعطرٍ بديعِ الشذى ساحرِ
فهيّجْن في خاطرى لهفةً إلى أمسىَ الباسمِ الناضرِ
وأضْرَمْنَ في مهجتى ثورةً تسعّر لفحَ الهوى الثائرِ
فقلتُ لهُنّ: ألا فاختبئْن وأغربنَ بالله عن ناظرى
فليس وراء اجترارِ الطيوفِ سوى الألمِ المرِّ للذاكرِ
فقَهْقَهْنَ في مثلِ رجْعِ الصدى وأقبلن كالحلمِ في ناظرى
وردّدْن: يا أيهذا الذى تعثّر في يأسِه القاهرِ
ويهربُ من ذكرياتِ الصِّبا يلوذُ إلى ذلك الحاضرِ
أتهربُ من أمسِكِ العبقرىِّ لتحيا مع الحاضرِ الشاغرِ
إذنْ فلتعشْ في مهاوى الضبابِ تصارعُ في موجِه الجائرِ
وما نحن إلا شعاعُ الحياةِ يطيح بديجورها الغادرِ

عيناك

عـيناك أم إشـراقـتـا أملِ أم فـرحـةٌ تسرى على مـهلِ
تمضى بنا فى عـالمٍ غـردٍ ناءٍ عن الأحـيـاءِ منعـزلِ
السـحـرُ يكمنُ فى جـوانبِـه وعـرائسُ الأحـلامِ لم تزلِ
عـيناك أسبحُ فيـهمـا فرحًا فى زورقٍ من عطرك الخضل
وأظلّ أنهلُ من روائِهـمـا فـأعود عـودَ الشـاربِ الثملِ

***

عـيناك نبْعـا فـتنةٍ ومُنىً عـيناكِ يا لجُـرَيْرَتَـيْ عَـسَلِ
لمّا نهلنا منهـمـا تُهْنَا فى عـالمٍ مـا طاف بالمُقَلِ
عيناك ويْحى من صفائِهما حـملَ الفـؤاد لآخـرِ الأزلِ
نورٌ يضئ ظلامَ عـالمنا فـتروحُ نَمْضِى دونما وجلِ

***

روضٌ تبـسَّم عن بدائعـه عن عـالمٍ كـالفـجـرِ مُقـتبلِ

أزهاره الأشـــواقُ عـــاطرة　　　تلتفُّ فى ثوبٍ من البللِ
عيناك نُسْقى من معينهما　　　خمـراً تفوق سُلاقة القُبلِ
خـمـراً تحـرّكُ فى جـوانبنا　　　مَـيْتَ الحـيـاةِ وذابل الأملِ

***

الانتقام.. لا

بعد ماذا جئتنى تطلبُ ودًّا بعد أن أشبعتنى نأْياً وصداً
بعد أن عذبتِنى

بعد أن أرهقتِنى

لا، ويأسِ الأمسِ لن أعطيك ودّى لكَ صدًّى لك صدى

***

ليست القسوةُ قصدى مثلما طاف ببالكْ
لا، وليس الثأر فادفعْ كلّ هذا عن خيالَك
إنها الرحمةُ، الإشفا قُ ما يدعو لذلك
كل ما أبغيه أن تشـ ـربَ نفسَ الكأسِ..

تلقى ما لقيتُ

كل ما أرجوه أن تطـ ـعمَ نفسَ اليأسِ

تصلى ما صليتُ

ربما يهـــواك يومًـــا   عـــاشقٌ غِـــرّ ســـوایْ

عندها تدرك مـــقـــدا   ر أســـــاه وأســـــایْ

ســـوِف تدری أیَّ حـــزنٍ   عـــاصف یســـعی إلیـــهْ

نفسِ مـــا عـــانیتِ من   حـــزنٍ، فـــهل تقـــسو علیـــهْ

لم یَعُـــدْ عندیَ مـــا   أُعطیـــه غـــیـــر التـــجـــربهْ

بعـــد یأسٍ أنت قـــد   هیـــأت لـی أنِ أشـــربَهْ

لم یعـــدْ فی طاقـــة القلب   احـــتـــمـــالُ للغـــرامْ

كـــیف بالثـــأرِ- إذنْ   لا، لیس قـــصـــدی الانتـــقـــامْ

إلى «حلوة العينين» !!

يا حلوةَ العينينِ، يا ساحرةْ ... يا زهرة، في روضتي ناضرهْ
مازلتُ أحيا يا حياتي، هنا ... والوجدُ نارٌ في الحشا ثائرهْ
أُهدهدُ الأشواقَ، في خافقي ... وأنثني، بالنظرةِ الحائرهْ
لعلَّ طيفًا منك، معبودتي ... حلواً، يلاقي نظرتي العابرهْ
فتنهلُ الأحداقُ، من سحره ... خمراً، تروِّي لهفتي الثائرهْ

***

هذا أنا يا فتنتي، قابعٌ ... في غربتي، في غرفتي الشاغرهْ
وليس ما يُؤنس قلبي هنا ... إلا بصيصٌ، منْ مُنىً باهرهْ
تلك الرسالاتُ، ويا حُسنها ... حمائمٌ في غرفتي، طائرهْ
مغرداتٍ بالحنين، الذي ... يجيش في صدرك يا ساحره
ألفاظُها الأنغام يا طيبَها ... متوجاتٌ، بالمنى العاطرهْ

تبـدَّدُ الظلمـة، من غـرفـتى سطورها، ألفـاظُهـا الزاهرهْ
تبـعثُ الـفـرحـةَ فى أضلعى فـأنثنى، فى بسـمـةٍ ظافـرهْ
قـبلتـهـا ألفًا، فـيـا حَظّهـا قـد لامسـتـهـا كفُّك الطاهرهْ

***

يا فـرحتى مـهـمـا يَطُلْ نأيُنَا فخلّنى فى البال، فى الذاكره
لا تغـفلى ذكـرى فـانى هنا أرعى عـهود الحبِّ، ما أنضره
فليس مـثل الذكر يسقى الهوى فينثنى، كـالروضـةِ الزاخـرهْ
فعهدكم فى الصدر لمّا يزلْ يحـتلُّ من أعمـاقىَ، الغـائرهْ
يا حلوة العينينِ، يا ساحـرهْ كـونى لنا رغم النوى ذاكـرهْ

***

ماذا يغنى الحزين ؟؟

مـــــاذا يغنى الحــــزينْ غــيـــرَ الغناء الحــــزينْ
والقلب لو صــــار قـــبـــراً يـعـجُّ بـالمـيــــــــتـينْ
فـــــــأى لحـنٍ يـغـنـى؟ غــيـــر الغناء الحـــزينْ

***

يا ســـــادتى ألفَ عـــــذرٍ ان كــان لحنى كــئـيـبًا
وليس فـــــيكم حــــزينٌ فـــلاح لحنى غـــريبًـا
قـيـثـارتى ليس فـيـهـا غــيـــرُ الأسى والنواحْ
فليس ينبع منهـــا الا أنـينُ الجـــــــــراحْ
فلتــتــركـــونى وحـــيــداً إن كـــــان مُـــــرّاً غنائى

فلست أحسن الا هذا الغناء الحزينْ

والقلبُ لو صــــار قـــبـــراً يـعـجُّ بـالمـيـــــــــتـينْ
فـــــأىُّ لحن يـغـنـى؟ غـــيــر الغناء الحـــزينْ

***

بالأمس، كم باح عــودى بــكــلّ لحــنٍ طــروبِ
أيــام كــنــت بمــنــأى عن الحــيــاة اللعــوبِ
لا تعــرف الحــزن نفــسى لا يمــلأُ الهــم كـــأسى
طفــلاً ســعــيــداً يغنى بكلّ حــب الحـــيـــاهْ
واليــومَ مــا عــدت أدرى غــيــرَ الغناء الحــزينْ
والقلبُ لو صــار قــبــراً يــعــجُّ بــالمــيــتــينْ
فـــأىُّ لحنٍ يــغــنــى؟ غــيــر الغناء الحــزينْ

***

إنّى ســأبقــى أغنــى تلك الأغــانى الحــزينهْ
حــتى ولو ضــاع لحنى عــبــرَ امــتــدادَ المدينهْ
مــا عــاد فى القلب شئٌ من الأغــانى الســعــيــدهْ
إن تســمــعــونى أغنى وإن صــددتم أغنّــى
حــتى ولو صَــدَّ عنّى أهلُ الورى أجــمــعينْ
فــســوف أبقى أُغنى هــذا الــغــنــاءَ الحــزينْ
والقلب لو صــار قــبــراً يــعــجُّ بــالمــيــتين
فـــأىّ لَحْن يــغــنــى؟ غــيــرَ الغناءِ الحــزينْ

الهوى الزائف

حَـــدَّثُوها عن الهـــوى ... كَـذِبَ القـــولُ والهـــوى
لم يكن قـــولُهم ســـوى ... فـــريةٍ، لم يكن ســـوى
صَـــدَّقــتـــهم وأعـــرضت ... ثم غـــــابت مع النوى
الهـــــوى الطـاهرُ الذى ... شـــرب النورَ فـــارتوى
كـــان تمثـــالَ عـــفـــةٍ ... شفَّ سَـمْـتًـا ومُـحـتـوى
خـــــرٍّ، لما تـنكـرت ... يـــا هـــواهـــا الـذى هـــوى
حـــينمـــا غـــرَّروا بهـــا ... أعـــتم الـدربُ والْتَـــوى
فـمضت فِى ضـيـاعـهـا ... فى كـــهـــوفٍ بلا كُـــوى
والغـــريبُ الذى مـــضى ... فـى دروبٍ من الجـــوى
حـــاضنًا قلبَـــه الذى ... بلظى طيـشـهـا اكـتـوى
لم يـزلْ بعـــدُ هائمًـــا ... ظامئَ الروح مـــا ارتوى

***

حدّثوها عن الهوى ... ويْحَ هذا الذى غوى

إنه الوهمُ ما حكى ... إنه الكذبُ ما روى

ليس حبّاً، وإنما ... صرخةُ الذئب إذ عوى

الهوى الحقُّ نبضةٌ ... تسكر القلبَ لو حوى

الهوى الحقُّ همسةٌ ... فى صلاةٍ لمن نوى

وابتهاجٌ وفرحةٌ ... ونعيم لدى الثوا

واشتياقٌ ولهفةٌ ... وجحيمٌ لدى النوى

كمْ حَبَانا بنوره ... وبنيرانه كوى

إنّه الجرحُ والشفا ... إنه الداءُ والدوا

إنه ذاك، لا كما ... حَدّثوها عنِ الهوى

يومَ أن غرّروا بها ... ونبا الدربُ والتوى

فمضتْ فى ضياعها ... فى كهوفٍ بلا كُوى

والغريبُ الذى سعى ... فى دروبٍ من الجوى

حاضنًا قلبَه الذى ... بلظى طيشها اكتوى

لم يزلْ بعدُ هائمًا ... ظامئَ الروح ما ارْتوى

أنا .. والقمر

عندما يطلعُ فى الافقِ القمرْ
ساكبًا أضواءَه فوق الوجودْ

ماسحًا بالنورِ أحزانَ البشرْ
باعثًا فى الليلِ أحلام الورودْ

فاذكرى أن فؤاداً حائراً
يقتلُ الوحدةَ باللحنِ الحزين

طاوياً فى الصدر جرحاً غائرا
ثائرَ الأشواق، مكبوتَ الأنينْ

واسمعى منِّى آلام القدرْ
غنوةً تنسابُ فى سمع الخلود

عندما يطلع فى الأفقِ القمرْ
ساكباً أضواءَه، فوق الوجودْ

***

إننى أبعثُ نورى للأنامْ
مثل هذا البدرِ كى أحيى الأمل

بينما أقطع دربى فى ظلامْ
أكتمِ الجرحَ الذى لم يندملْ

إنَّ هذا الدمعَ فى الليل شعاعْ
يمسحُ الظلمةَ من كلِّ القلوب

كم شريدٍ سار فى درب الضياع
كاد أن تطويه أطيافُ الغيوبْ

وإذا بالبدر وضَّاح أغرُّ
وإذا الحائرُ للنور يعودْ

عندما يطلع فى الأفق القمرْ ساكبًا أضواءَه فوق الوجودْ
أنا مثل البدر أمضى فى سكون باعثًا نورى إلى كلِّ الحيارى
أنا حبٌّ وحنانٌ فى العيونْ أنا كم حرَّكتُ وجداً مستثارا
فارقبينى كلَّ ما حلَّ الظلامْ واذكرينى حينما يأتى الصباحْ
واعلمى أنى سأمضى فى سلام راحلاً وحدى إذا حان الرواحْ
مثل هذا البدر لا أدرى المقرّ بعد ترحالى ولا أدرى الحدود
عندما يطلع فى الأفق القمرْ ساكبًا أضواءَه فوق الوجودْ

***

عينا حبيبى .. والحنان

عـــينا حـــبـــيـــبى والحنا ن، وزهرتان على الطريقْ
قـــــد أرشــــدتنى للطريـ ق، وكنتُ أجهلُ ما الطريقْ

***

عينا حـبـيـبى فـيـهـما كلُّ الرضى، كلُّ الأمـــانْ
فى كلِّ عين منهــمــــا نبعٌ تـفــجَّـــر بالحنانْ
والزهرتانِ على الطريـ ق، تـنـورّانِ لـى الطريـقْ
طوقـــا نجـــاة أومـــآ للشطِّ، فـانتـعش الفـريقْ

***

مـــاذا يكونُ العـــمــرُ لو لم تبـــرزْ العـــينان لى؟
مـاذا يكون سوى الضـيـا ع، سوى احـتـضارِ الأملِ
مـــاذا يكون العـــمــرُ لو لَمْ تَنْمُ فــيـــه الزهرتان
هل كنتُ احـتـمل الحـيـا ة، بكلِّ أعــيــاءِ الزمـــانْ

أنا لستُ أرجـو من حـيـا | تي غـيـرَ مـا قـد كـان لـى
أمـــلاً أنارَ لىَ الوجـــو | دِ، ويـــالـــه مـــن أمـــلِ
عـــينا حـــبـــيـــبى والحنا | نُ، وزهرتانِ على الطريق
قـــد أرشـــدتنى للطريـ | ـق، وكنت أجهل ما الطريق

***

صرخة في وجه دعي

أَقْصِرْ، عرفتُكَ لا تَزِدْ ... هذا زمانُ الأدعياءْ
الحبُّ فيه مزاعمٌ ... مَعْسُولةٌ لفظٌ خواءْ
الحبُّ فيه بلاغةٌ ... خطبٌ تبدَّد في الهواءْ
تبنى القصورَ بها وتمـ ... ـلؤها بألوانِ الطلاء
وتحوطُها بالزهرِ ير ... فلُ في البشاشةِ والبهاءْ
وتبثُّ في جنباتها الأ ... طيارَ تصدحُ بالغناءْ
دنيا من الزيفِ الجميـ ... ـلِ تصوغُها محضُ ادّعاءْ
دنيا من الألفاظ.. يلـ ... ـمعُ في ظواهرها الرواءْ
كمْ من غريراتٍ دفعـ ... ـتَ إلى جوانبها إماءْ
هُنَّ الفراشاتُ التي ... للموت يجذبها الضياءْ

***

أحسبتَ أنّك بالكلا ... مِ الحلوِ تخدعني؟ هراءْ
اذهبْ فلستُ كمَنْ عرفـ ... ـتَ أيا دعيُّ من النساءْ

أظننتَ أن الناسَ يا ... مسكينُ كلّهم سواءْ
أحسبتنا كلاً فراشاتٍ ... يلُوحُ لها الضياءْ
فتطيرُ فى شوقٍ اليه ... وفيه يختبئُ الفناءْ
لسنا فراشاتٍ جميـ ... ـعًا يا دعىُّ ولا سباءْ

***

أنا قد عرفتُكَ قد هتَكْـ ... ـتُ السترَ فانكشفَ الغطاءْ
وبدأ الذى تُخفيه من ... زيفٍ بدا كلُّ الرياءْ
عرّيتُ روحك كلّها ... مزقتُ ذيّاك الرداءْ
فبدوتَ قزمًا تافهًا ... لا لا تطاولَ لا اجتراءْ
إنّى كشفتُكَ قد محو ... تُ الزهوَ فانهدمَ البناءْ
دنيا الأكاذيبِ التى ... شيّدتها دنيا الدهاءْ
سقطت كأوراقِ الخَريـ ... ـفِ تناثرتْ عبرَ الفضاءْ
ووقفتَ وحدَكً عاريًا ... كالمسخِ فى هذا العراءْ
ورجعتُ وحدى فى طريـ ... ـقِ النورِ رأسى للسماءْ

***

الحب.. والغزل

تقولين لي: لم تعدْ عاشقًا ... فأين التشبّبُ .. أين الغزلْ
وأين الكلامُ الذى كان يسرى ... شهيًّا، نديًّا.. كوقعِ القبلْ
فهل جفَّ نبعك .. كف الغما ... مُ الذى فوق صحرائنا كم هطل
وهلْ ماتَ هذا اللهيبُ الذى ... سرى الشوقُ يوماً به، فاشتعل

***

أما عدتُ أوحي إليكَ القصيد ... أما عدتُ ألهم عذبَ الغناءْ
أما عدتَ تلمحُ فى عمق عينىَّ ... كالأمسِ أسمى معاني الصفاء
وشَعْرى أما عاد شلالَ ضو ... ءٍ كما كانَ، أم فَرّ منهُ الضياءْ
وثغرى أما زال كالأمسِ كأساً ... من الخمر أم غاض فيه الرواء

***

لكمْ كنتُ أسمع منك القصا ... ئدَ تنضح بالسحرفى كل آنْ
فعيناىَ كم كانتا نجمتين ... تلألأتا فوق جيدِ الزمانْ

وثغرى: لكمْ قلتَ فى وصفه وشـبـهت أسنَانَه بـالجُـمـانْ
فيا فرحتى حينما كنت وحيًا لشعرك دون جميعِ الحسانْ

***

ولكننى لم أعـدْ بعـدُ تلك الـ تى، تلهمُ الشـعـرَ للشـاعـرِ
لقـد ذاب حـبُّك مـرَّ الـهـوى كـوهمٍ سريـعِ الخطأ.. عـابرِ
وعـدنا كـأنْ لم يكنْ بيننا غـرامٌ، ولاَ مـرَّ بالخـاطر
والا.. فـأين حـديثُ الفـؤا دِ، حديثُ الهوى العاصف الثائر

***

فـقلتُ لهـا: قـد ظلمتِ الهـوى ظلمت مـشـاعـرىَ الصـادقـهْ
فـمـا زال حـبُّك فى خَـافـقى لهـيـبًـا ويوشك أن يحـرقَـهْ
وإنى لأخشى قصورَ القصائد عن مـثلِ أشـواقىَ المحـرقـهْ
فـأين الكلامُ الذى يعـدل الحـ ـبَّ، يعدلُ عـاطفـتى الدافقـهْ

***

نما الحب حتّى غـدا شـامـخًا عن الشـعر، عن أغنيـات الغزلْ
أرى فيه بالصمت صرحاً عظيما وأخـشى معَ القـول أن يُبْـتَـذل
فـمـا زلتُ هذا المحبَّ الوفىَّ وحـبك فى القلب.. لمَّا يزلْ
وإن شـئتَ إدراكَـهُ فـانطوى بعـينىَّ، ثمَّ الذى لم يُقَلْ

ظمأ

أنا ما لغيركِ أظمأُ   يا مَن حنانُك مرفأُ
آوى إليه إذا استبـ   ـدَّ بىَ الهجيرُ، فأهدأُ
أَبْكى ويستَانى، ودو   حتى التىَ أتفيَّأُ
كُنِّى الذى وقتَ الشتا   ء بنوره أستدفىءُ

***

قالوا: وداؤك حبُّها   يا ليتنى، لا أبرأُ
جرحى، وبرُئى أنت فيـ   ـك المُنتهى والمَبدأُ
منك العذابُ يشوقنى   فيك الأسى يُسْتمرأُ
فالهمُّ يُنبئنا بأنَّا   ذات يوم نهنأُ

***

يا أجملَ الفتياتِ ما   لى، غيرُ صدرك مهدأُ
أنا إن صددتِ البابَ فى   وجهى، إلى من ألجأُ

من أغانى الغرباء

بِى مثلُ ما بكِ يا حبيبهْ ... شجنٌ وأوهامٌ غريبهْ
بِى من همومِ النفسِ أثـ ... ـقالٌ من المحنِ العصيبه
قلبى يحنُّ إلى المزا ... رِ، فهل لقلبكِ أن يجيبهْ
فتسمَّعى خفقَ الريا ... حِ، فإنها حملت نحيبهْ

***

ألقيتُ فى وجه العوا ... صفِ زورقَ العيشِ المريرِ
وخرجتُ يا أختاهُ عَبْـ ... ـرَ الموجِ لا أدرى مصيرى
لكنَّما قد كان لى ... أملٌ ينوِّر فى شعورى
أن نلتقى يومًا هنا ... لك فى سنا الحبِّ الكبيرِ

***

الزورقُ الحيرانُ لم ... يفتأ تعبثُ به الرياحْ
قلبًا تمزّق الجرا ... حُ، وما أمرَّ ضنى الجراحْ

اللـيلُ طال بـه، فــــهـل يأتى، مُنَى قلبى، صـبـاحْ
حـلوٌ يشــــيع الأمـنَ والأ فــــراحَ والأمل المُتـــاحْ

***

يـا زهـرتـى عــــــزَّ المـزا رُ.. وكنت مـن عينى قـريبةْ
إن يَدْعُك القلـبُ المتـــيَّـ ـمُ، هبَّ قَلبُك كى يجـيـبـهْ
روحــان عــاشـا فى سـمـا ءِ الحبِّ، فى دنيـا عـجـيبةْ
يـومـين ، ثـم تـغــــرَّبا يا للغـــريبِ، وللغــريبـــةْ!

***

أُخـــتــاهُ: إنْ طـال الغـيــا بُ، فـمـا الذى بعـد الغيـابْ
بـعــد التـــشـــرّد فى الحــيـا ةِ، وذَوْقِ ألـوانِ العـــــذابْ
الـزورقُ المـكـدودُ ســــــو فَ يعـودُ من خلف العُبـابْ
بالأمـنِ.. بالأفــراحِ .. بـالأمـ ـلِ المُرَجَّى، بـالرِغَــــابْ

***

الأشواق الذبيحة

مثلُ خفقِ الندى فوق زهرٍ نضيرْ
كان إنشادُها فوق قلبى الغريرْ
مُفعمًا.. بالمُنى مُترعًا... بالعبيرْ
في سكونِ الصباحْ

***

قلتُ: فَلْتنشدى غنوةَ الحائرينْ
إننى.. غارقٌ فى الجوى والحنينْ
فاسكبى دفقةً فوق قلبى الحزينْ
كى تجفَّ الجراحْ

***

غرِّدى.. غرِّدى ما أرقَّ الغناءْ
حين يمضى بنا فى رحاب السماءْ
عاطراً... بالمُنى خافقًا.. بالرجاءْ

شاعرىَّ... الجناحْ

***

أنـــت إنْ تـــعـــلـــمـــى أىَّ شـــىءٍ هُـــنـــا..
شـــبَّ فـــى أضـــلـــعـــى من ســـعـــيـــرِ الضنى..
دبَّ فى خـــافـــقـــى مـن رفـــيـــفِ المنى..
لن تمَلَّى النواحْ

***

اســـمـــعى... اســـمـــعى قـــصـــتى.. فى الحـــيـــاهْ
إنّـــنـــى عـــاشـــقٌ ذابَ فـــيـــمَـنْ هـواهْ
فـــانـظرى... واعلمِى أىَّ شـــىءٍ جـــنـــاهْ
غير بعض الجراحْ

***

كـــان لى... مـــرةً فـى حـــيـــاتى أليفْ
فى شـــعـــاب اللظى كـــان ظـلّى الـوريفْ
بســـمـــةً ســـحـــرُهَا مـلءَ قـلـبـى الـرهـيـفْ

كانطلاقِ الصباحْ

***

كـــمْ جـلـســنـا هُـنـا فـى ظـلالِ المـســـاءْ
والـورى حـــولَـنـا لحظةٌ مـن صـــفـــاءْ
نـتـــحـــدّى الـردَى نـتـــحـــدّى الـقـــضـــاءْ

والأماني تُتَاحْ

كم شـربنا السنى *** من كـؤوسِ القـمـرْ
وجـمـعنا... المُنَى فى سـلالِ القـدرْ
وانطلقنا... مـعًـا تحـت دمـعِ المـطـرْ
بين شتّى البطاحْ

كـانَ أنشـودةً *** من أغـانى الربـيعْ
وردةً ... غـضّـةً سـحـرُها لا يضـيعْ
تـزدهـى... فـتـنةً بـالشـبـابِ اليـنيعْ
والجمالِ المُتاحْ

هَمْـسُـهُ... حـالمٌ *** كـاخـتـلاجِ الخَـريرْ
صـاغـهُ غنوةً جـدولٌ من عـبـيـرْ
يتـغـنّى... هـنا مـثلَ طيـرٍ صـغـيـرْ
عبقريُّ الجناحْ

كـانَ إشـراقـةً *** ملءَ عـمـرى الجـديبْ
كـانَ لى بسـمـةً كـانَ أغلى حـبـيبْ
نجـمـةً.. بضّـةً فى سـمـاءِ الغـريبْ
اذنت .. بالرواحْ

***

ثم ها قـد مـضى ذائبًا كالشعاعْ
واختفى خفقهُ وتولّى وضاعْ
ليتهُ لم يقلْ: يا حبيبي... وداعْ

يومَ ولّى وراحْ

***

ان يكن قد مضى لحبيبٍ جديدْ
عاش في ظلّه يتغنّى سعيدْ
فسأرضى... أنا رغم أني وحيدْ

بالأسى والنُّواح

***

وإذا ما المُنَى عاودتْ والحنينْ
واستشارت هنا ذكرياتِ السنينْ
سأغني لها غنوةَ الحائرينْ

من وراء الجراحْ

***

البذرة الطيبة

أتذكـرينَ البَـذْرَةَ الطيّـبـه ... ذكرى ليالى الجوعِ والمسغبهْ
تلك التى يومًـا دفـعنا بهـا ... إلى صميم التربة المخصبهْ
ثم ذرفنا فـوقـهـا دمـعـةً ... من يحبسُ الدمعَ فما أكذبهْ
وبعد هذا قد مضينا سُدىً ... ولم نعُدْ منها على مقربهْ
وضمّـها الدهرُ وراء المدى ... يا للزمانِ الجهْم، ما أغربه

***

ولم تزلْ أيامُنا تسـرعُ ... تمضى وراء الغيبِ لا ترجعُ
نسيتَها، وكذاك لم تذكرى ... وضاعَ منّا الغَرْسُ والموضعُ
وأَمْس قد طفتِ به لاهيًـا ... كما يطوفُ العابرُ الضائعُ
فصافحَ الروحَ عبيرُ الشذى ... تسرى به الريحُ، وتسترجعُ
فأيقظت فى النفس كلَّ المُنَى ... ورفَّ نورٌ غـامـرٌ يسطعُ

***

نظرتُ يا أختاهُ في دهشةِ فأدمعتْ عيني من الفرحةِ
يا للجمالِ الفذِّ يا للسنا أكُلُّهُ يبزغُ، من نبتةِ
شجيرةٍ محفوفةٍ بالندى أطرافُها تبْسِمُ عن زهرةِ
لمحتُ فيها مشرقًا حبنا دماءُ قلبي لُحْنَ في الحمرةِ
دموعنا يا أخت لا، لم تَضِعْ فقد بعثن الروح في بَذْرَةِ

***

خداع السراب

وجلستُ عند الشطِّ منتظراً.. أهدهدُ ثورتي..
والشوقُ والحرمانُ في صدري ولفْحُ اللهفةِ..
والدمعُ تسكبه العيونُ فلا أجفِّفُ دمعتي..
قلبي يعذِّبُه الحنينُ.. فما أشدَّ تعاستي..
وأقولُ سوف تجيء مشرقةً تبدِّدُ ظلمتي..
ستَظَلُّ كالأمل الحبيبِ.. أجلْ ستُؤنِسُ وحدتي..
وهُنا ستجلسُ عن يَميني آيةً في الفتنةِ..
وتقولُ لي: غنِّ وصُغْ حلم اللقاء بغنوةِ..
فأقولُ: لا .. لابدَّ من ثمنٍ .. وتبرقُ بسمتي..
فتقولُ: خُذْ ما شئتَ هأنذا رهينةُ رغبةِ..
فرشفتُ من نبعِ الرحيقِ الحلْوِ أعذبَ رشفةِ..
وجلستُ نشوانَ الفؤادِ وقد ظفرتُ بقبلةِ..

***

وأفــقتُ من حُلْمى الجـــمـــيلِ على ســيَــاطِ اليـــقظةِ..
فـــإذا السكونُ .. أجلْ سكونُ اليـــأسِ يُزْهق فــــرحـــتى..
وإذا الفناءُ يدبُّ فى صـــــدرى فــــيـــــقـــــتل نشـــوتى..
وإذا الدمـــوعُ جَــمَـــدْنَ فى عـــينى.. فـــيـــا لشـــقـــاوتى..
وإذا بـأحــــــلامِ اللــقـــــاءِ ... تَلُفُّــــــهُنَّ كـــــآبتى..
فنظرت حـــولى والأسى ملءُ الفـــؤادِ وحــــيـــرتى..
وهتـــفتُ يا قلبى: أحـــقًّـــا لن تجئَ حـــبــيـــبــتى؟؟
فـإذا الصـدى الملعـون يسـخـرُ من سـذاجـةِ صـيـحـتى؟؟
ويصـــــيحُ كــــالإعـــصـــــار: لن تأتى فــــلا تتلفتِ..

***

فــجلستُ وحــدى جـــامــدَ الإحـــســاسِ أحــبسُ عـــبــرتى..
لا شئَ فى قلبى ســـوى اليـــأس الجـــهـــومِ.. وحـــســـرتى..
لاشئَ فـى صـــــدرى ســــــوى الأملِ الحـطيمِ.. وآهتى..
لا نور يهـــــدينى ســـــوى ومضٍ لخـــــافتِ شــــعـلةِ..

***

ونـظرتُ ألتـــــمسُ العــــزاءَ.. ولا عــــــزاءَ لبلوتى..
فـــإذا الميـــاهُ الســـاكناتُ تثـــورُ.. تشـــرحُ قـــصـــتى..

وإذا الحـــيـــاةُ تدبُّ فى هـمسِ الخــــريـرِ بـغـنـوةٍ..
والشطُّ يحكى قــصـــة الأملِ اليـــتـــيمِ .. لموجـــةٍ..

* * *

أمل

لا تحرميني نظرةً عَجْلى
تُحْيِي المُنَى، وتذيبُ آلامي

فالنظرةُ العجْلى وإن قَصُرَتْ
زادي لأعـــوامٍ، وأعـــوامِ

أنا لا أريدُ الوصلَ، ليس إلى
هذا المدى، تمتدُّ أحلامي

حَسْبِي وحَسْبُ القلبِ أن أحيا
كوريقةٍ في بحركِ الطامي

فإذا رسوتُ على جزائركم
وحبوتني برفيفِ أنسامِ

أسعدتِني، أسعدتِني أبداً
ومحا حنانُكِ ليلَ أيامي

أو فاتركي لي، مُنيتي، أملاً
يمحو غشاوة عمري الدامي

ويظلُّ فردوسي إذا احتدمت
نُوَبُ الحياةِ، ونبعَ إلهامي

لقاء لم يتم

يا حبيبى

هأنا وحدى وطيفَ الموعدِ ... أىُّ شىءٍ قد تَبَقَّى فى يدى

إنهُ كانَ سرابًا خادعًا ... ملأ القلبَ بأحلامِ الغدِ

وتنبَّهتُ فلم أُبْصِرْ سوى ... ذلك الهمِّ الطويلِ الأمدِ

تلك أزهارُ الحديقهْ ... والشجيراتُ الوريقةْ

والممرَّات الأنيقةْ ... والعصافيرُ الصديقةْ

كلُّها يا نورَ عينى ... لمِ تزلْ تسأل عنكَ

فلماذا لم تَجِئْنى ... حَسْبَ وعدٍ لى منكَ

يا حبيبى

***

يا حبيبى

***

ذلك الثوبُ الذى أعددتُه ... ضاق من هولِ الأسى والحيرةِ

يا حـبـيـبـى، إننى زيَّنتُـهُ بـورودٍ تزدهـى بـالفــــتنةِ
ويـأزهـارِ المُـنـى طـرَّزتُـه كى ترانى فى أحبِّ الهـيـئـةِ

يا حبيبى انه قد صار منبوذاً بغيضا
أنت قد أنْبتَّ فى الأعماق إحساساً مريضا
حينما ضيعت عهدى
حينما أخلفتَ وعدى
يا حبيبى

***

يا حبيبى

هـذه الأعـينُ تـرنـو فـى رثـاءْ وأنا أذوى سـحـويًا فى حـيـاءِ
كل من قـــد أبصـــرونا مـــرةً فى حمى الدوحة نلهو فى هناءِ
تلمح الدهشـــة فى أبصـــارهم «أين من كـان هنا؟» يا لشقائى

ها هى الشمسُ تهادتْ للرحيل
وأنـا فـى قبـضـة الـهـمِّ الثقيلِ

بينما الصمت يدوِّى «لن يجىء» ضاعت الآمالُ والعيشُ الهنىءْ
وأنا أسـحبُ خطوى فى سكونْ والعصافير التى فوق الغصونْ
العـصــافـيــرِ الصــديقــةْ والشـــجــيـــراتُ الوريقـــةْ

والممـــــراتُ الأنـيـــــقـــــةْ   كـل أزهـار الحــــــديقــــــةْ
كـلهـــا تبــعث ألـفــاظ الوداعْ   وأنا أمــضـى وأمــضـى للضـيــاعْ

يا حبيبى

أمنيات

حبيبةَ القلبِ قد دعانى | إليكِ فيضٌ من الأمانى
فجئتُ والقلبُ قد تهادى | لينشرَ الشدْوَ والأغانى
يرفرفُ الحبُّ فى ضلوعى | ويرقصُ النورُ فى جنانى
أتيتُ والكونُ أغنياتٌ | ترقرقُ السحرَ فى كيانى

***

حبيبةَ القلبِ أنتِ لحنى | وأنتِ أنشودةُ الزمانِ
وأنتِ من صغْتُها نشيداً | يفيضُ بالفنِّ والمعانى
وأنتِ من جمَّلتْ وجودى | وأنتِ من أترعتْ دنانى
وأنتِ من أفرغتْ بقلبى | ثُمالةَ الحبِّ والحنانِ

***

حبيبةَ القلبِ فلْنغردْ | فإنما نحن بلبلانِ
وإنما نحن قد خُلِقْنا | لنملأ الكونَ بالأغانى

حـبـيـبـةَ القلبِ قـد ظمـئنا ... ونحنُ فى الأفقِ سـابحـانِ
فـاترعـى الكأسَ يا حـيـاتى ... بـخـمـرة الحبِّ والأمـانـى

***

حـبيبةَ القلب سوف نحـيا ... هنا إلى آخـرِ الزمـانِ
نـردِّدُ الحـبَّ أغـنـيـاتٍ ... ونحنُ كـالطيـرِ حـائمـانِ
فـيـا مُنى الروحِ أنت منِّى ... ونحـنُ يا أختُ تـوأمـانِ
فـردِّدى اللحنَ يا حـيـاتى ... وأفرغى السحـرَ فى جِنانى

أغنية للشتاء الحزين

(١)

بالأمسِ يا صـــديقــتى قــد زارنى الشـــتـــاءُ
هناك فـــوقَ مـــقـــعــــدٍ بظاهر المدينةْ
هناكَ حـــيث كـــان ســــوفَ يزْهرُ اللقـــاءُ
المطلعُ الســــعـــــيــــدُ فى أغنيـــةٍ حـــزينةْ

***

جلستُ يا صـــديقــتى والدفءُ فى كـــيــانى
والقلبُ من ســــرورِهِ يفـــيض بالحنانِ
وغنوةُ اللقــــاءِ يا أنشـــودةَ الزمـــانِ
ينســابُ بالنعـــيمِ همْســـهـــا على لســـانى

***

هناكَ يا حـــبـــيــبـــتى انتظرتُ وانتظرتُ
والموعـــد الســعـــيـــد حلَّ وقـــتـــهُ وفـــاتْ

وكلما صديقتى بساعتى نظرتُ
أحسست بالضياعِ بالزوالى بالمواتْ

***

وعقربا سُوَيْعتى بالصدرِ ينهشانْ
وينفثان السمَّ فى فؤادى الحزينْ
ألنت يا حبيبتى علىَّ والزمانْ
كم أنتِ يا أغرودةَ الفؤادِ تظلمينْ

***

وفجأةً لمحتُه.. هذا هو الشتاءْ
ينساب يا حبيبتى، يدبُّ فى سكون
وقرب قلبىَ الذى ثوى بلا غطاءْ
قد نام يا صديقتى قد أسبل الجفون

***

وبغتةً صديقتى.. سمعتُ صرختينْ
أَصْدَاهُما قد مزَّقتْ ستائر الغسق
ورنَّ فى الضلوعِ هاتفٌ يقولُ: أينْ
أين الذى يصيحُ، ثم لَفَّنى القلقْ

هنيـــهـــةً، وبعـــدها: هوى على التـــرابْ

الطائرُ الغـــريبُ: يا لقـــســـوة المقـــادرْ

يموت بعـــدمـــا شـــدا بغنوةِ العـــذابْ

وكـــان فى عـــيـــونه شـــقـــاءُ ألفِ شَـــاعـــرْ

(٢)

التـــائبُ الحـــزينُ يا حـــبـــيـــبـــتى خـــضـــرْ

أتى مع الشـــتـــاءِ والصـــقـــيعِ يعـــتـــذرْ

جناحُـــه الهـــزيلُ مـــالَ غـــالـــه المطرْ

وحين مـــات جلجلت رواعـــدُ القـــدرْ

البـــردُ يا حـــبـــيـــبـــتى ينســـابُ فى ضلوعى

والمقـــعـــدُ الحـــزينُ: فى برودةِ القـــبـــورْ

وأدمعُ الســـمـــاءِ يا هاجـــرتى دمـــوعى

والرعـــدُ صـــوتُ عـــاشقٍ مـــعـــذّبٍ يثـــورْ

وهكذا تركـــتـــنى تركـــتـــنى هُناكْ

للبـــردِ فـــوق مـــقـــعـــدٍ بظاهرِ المدينةْ

هناك حـــيـــث زارنى الشـــتـــاءُ والملاكْ

هذا الذى قـــد جـــاء بالرســـالة الحـــزينةْ

من يومـهـا حـبـيـبـتى: أحـيـا مع الشـتـاءْ

من يومـــهـــا صـــديقـــتى: أعـــانق الصـــقـــيعْ

من يومـــهـــا أنشـــودتى، أهفـــو إلى اللقـــاءْ

يجئُ بـالـضـــيـــاءِ، بـالحنـانِ، بـالـربيـعْ

ساعى البريد

ساعِي البريدِ..أظلُّ أنتظرُ ... وتجيءُ .. لا نبأٌ ولا خبرُ

وتروحَ لا تُلْقى لنا.. حتّى ... بإشارةٍ عَجْلى.. أن انتظروا

فغداً أعودُ إلى رِحابِكمو ... برسالةٍ إغداقُها نَضِرُ

العطرُ ينضحُ من جوانبِها ... ويرفُّ فى أعطافِها الزهرُ

روضٌ تبسّم عن ذخائرِه ... وأطلَّ من أفوافِه الثمرُ

تَرَنّمَتْ بالحبِّ أغنيةٌ ... فالسطرُ فيها للمُنَى.. وترُ

لكنْ تمرُّ بنا.. وتتركنا ... نهبَ الأسى تعتادنا الفكرُ

ساعِي البريدِ وفى جِوانحنا ... نارٌ من الأشواقِ تستعرُ

ساعِي البريد إلامَ تتركنا ... لليأسِ، رفقًا إننا بشرُ

احملْ لنا.. حتى ولو أملاً ... نحيا بِه كى يرحلَ الكدرُ

وتعودَ للدنيا بشاشتُها ... فالنفسُ، بالآمالِ تزدهر

***

أحبابُنا بِتْنا، ولا خبرٌ ... عنهم، وألقى ظلَّه الخطرُ
إنى أخافُ يكون مسّهمو ... أمرٌ، وقد يستأسدُ القدرُ

***

أوقد نَسَوْا، والبعدُ قد يُنسى ... سيّان إنْ غفلوا وإنْ ذكروا
كلُّ الذى أرجوه أن يحيوا ... فى راحةٍ والخيرُ منهمرُ

***

ساعِى البريدِ أنا هنا أبداً ... فى غرفتى الخرساءِ.. أنتظرُ
فلقد تجئُ إلىّ فى يومٍ ... كمغازةٍ قد زارها المطرُ
برسالةٍ منهم تؤانسنى ... فى غربتى الجدْبا فتختضرُ

أغنية

ربما كـان غـداء، أو بـعـد غـدْ ربما بـعـد قـرون لا تُعـدّ!!
ربما ذات مـسـاء، نلتـقى في طريق عابر، من غير قصدْ

***

لا تقولى: ضاع منا كل شئ لم يزل بين يدينا كل شئ
أملى فى الصدر ماذا بعده إنه أثمن شئ، فى يدى!!

***

كانت اللقيا معًا ذات مساءْ دون وعد، هكذا كان اللقاءْ
غرباءً وقتها، ثم افترقنا بعد أن صرنا أعز الأقرباءْ

***

يا له من ساخرٍ هذا القدرْ لحظاتٍ، ثم نادى بالسفرْ
فافترقنا، فجأة، من يومها لا لقاءٌ، لا حديثٌ، لا خبرْ

***

مرت الأيام والعمر انقضى　　وأنا راضٍ بما لا يُرتضى!
ذلك الحرمان ماذا بعده　　ضاعت الأحلام، والحظ مضى

***

يا رجائى، بعد أن ولى رجائى　　أى شىء قد تبقّى من هنائى؟
يا ربيعى بعد أن ضاع ربيعى　　هل ستأتى قبل أن يأتى شتائى

***

لم أزل أحيا على نور الأملْ　　رغم ليلٍ مستبدٌ لم يزلْ
ليل حرمانى الذى طالَ مدىً　　مثله ليلة همٍّ لم تطلْ!!

***

غير أنى واثق من أننا　　ذات يوم سنلاقى حظّنا
نحن مازلنا نمنّى نفسنا　　ولماذا لا نمنى نفسنا؟!

***

الأمانى معبر القلب الكسيرْ　　فوقها نمضى إلى حيث المصيرْ
أسعفينى بلقاءٍ قبلما　　تدلف النفسُ إلى الشط الأخيرْ

***

ربما كان غداً أو بعد غدْ　　ربما بعد قرون لا تعدّ!!
ربما ذات مساء نلتقى　　فى طريق عابرٍ من غير قصدْ

عودى!

عــودى، فــإنك إن تعــودى   يخضـر بـعـد الموتِ عـودى
يهــتــزْ فــيــه دمُ الحــيــاةِ   بنشـــوةِ البـــعثِ الجـــديدِ

***

عودى، فقد ذبلت أزاهيرى   ذوى ســــحــــرُ الـورودِ
دبَّ الفناءُ بهـا وغــالتــهـا   يدُ القـــدرِ العنيـــدِ:

***

عــودى، فــإنَّ الطيــرَ يبـ   دو واجـمًا من فـوق عـودى
مــا عــاد يصــدحُ بالغناءِ   يتــيـــهُ بالنغمِ الشـــرودِ

***

عــودى، فــإنَّ جـــداولى   غــاضت بأفـراحِ النشـيـدِ
صَمَتَ الخريرُ بها وراح الماء   يســــرى فـى همـــودِ

***

عـودى، فإنّ الروضَ يثوى — فى حــمى الصــمتِ المديدِ
حــتى النســائمَ غلّلتــهــا — للثـــرى، كفُّ الركـــودِ

***

عـودى، فـإنك إنْ تعـودى — يخـضـر روضى من جـديد
ينساب فيـه دمُ الحـيـاةِ — بمطلع الفـجـرِ السـعـيـدِ
بنقــاوة الصــبحِ الطليقِ — ببــســمــةِ الطفلِ الوليـدِ
يتــألّقِ الأنداءِ بالأفـــراحِ — فى إصـــبـــاح عـــيــدِ

***

عـودى، فـإنك إن تعـودى — يفــتــرُّ لى ثغــرُ الوجــودِ
تتــبــسّم الأزهارُ يســرى — الســحــرُ فى شـفــةِ الورودِ
وتردّد الأطيارُ بعـد الصمـ — ـتِ ألحـــانَ الســـعــــودِ
والجـدولُ المِمْراحُ يصـدحُ — بالـغناء، وبالـنشـــيـــدِ
ونسـائمى، بعـدَ الخـمـولِ — تـهبّ، تُرقِصُ كلَّ عـــودِ
وتشــيعُ أفــراحَ الحــيــاةِ — بِهــزّةِ الغـصنِ النضــيـدِ
عـــودى، فـــقــد بحّ النداءُ — فـــلا رجـــاء لمســـتـــزيد

***

عـــودى، إذن أو لا تعـــودى — أنا لن أنـادى من جـــــديدِ

أنا قـــد ســئــمتُ، مللتُ   يا هذى مــراوغــةَ الوعــودِ
أنا لـن أعــــود إلى الـنداء   تأكــدى، لن تسـتـعـيـدى
أنـا واحــــــــد يـا هـذه   من فـتـيـةِ الجـيل الجـديدِ
أحــيــا هنا فى قـــرننا الــ   ـعشـرينَ كـالجـبلِ الوطيـدِ
لا لن يـزلزلنـى الغـــرامُ   فـــأنثنى مـــثل الشــريدِ
إنّا نـحـبّ فــــإن نـضلّ   الســعىَ نهـوى مِن جــديدِ
ونعــود نحــتـضنُ الحـيـاةَ   نعــودُ نضــحكُ للوجــودِ

***

ماذا يعلمنا الفراق؟

وما كنت أعلم قدر احتياجى إليكِ إلى أن طوانا الفراقْ..

تجرعت كأساً مرير المذاق..

لقيت العذاب الذى لايطاق..

أكان من الحتم هذا الفراق، لأعلم كم أنت لى كلّ شىء..

أكان من الحتم هذا التنائى لكى يدرك القلب كم يعشقُكْ؟

وكم ذا افتقدتك حين الغيابْ..

وكيف حياتى غدتْ كاليباتْ

وأنتِ هناك..

تعيشين وحدك خلف البحار..

هناك، بعيدا، وراء المدار..

وقلبى هنا، فى قيود الأسار..

يعانى أسى لوعة وانتظار

* * *

وما كنت أعلم أنى سأشقى ببعدك مقدار هذا الشقاء..

وأحملُ هذا المدى، من عناء أكان من، الحتم هذا البعادُ

لكى يدرك القلب من أنت لى..

أيا فتنتى الغالية..

أكان من الحتم هذا البعادُ لأعلم أنك جنّتىَ الدانيةْ..

وبعدك عنى لظى قاسيةْ..

* * *

وكنت بقربك أحيا قريرا،

أعنى كطير يحب الغناء...

فيمضى يغرد عبر الفضاء..

زاد الشتاء

يا زهرتى، والجـرحُ لم يندملْ — هذا أنا فى فـرحـتـى لم أزلْ
إنّا ليـالينا .. على بؤسـهـا — هيـهاتَ أن تجـرح فـينا أملْ
فكفكفى دمعَكِ .. لا تدمعى — صونى مياهَ القلب أنْ تنهملْ
لا تعبئى بالدهرِ .. لا تعبئى — الراحةُ الكبرى لِمَنْ لم يسلْ
وذوّبى عطركِ .. فى بسمةٍ — مثل صباحٍ من صبـانا .. ثملْ
واسقى الزهورَ البيض يا فتنتى — من خمرةٍ .. كالحلمِ .. لم تكتملْ
فـريما تسكرُ .. من خـمـرِنا — وتمـلأُ الـكونَ بـعـطـرِ الأزلْ
وتبـعثُ الفرحـةَ .. فى أعينٍ — بغـيـر هذا اليـأسِ لم تكتـحلْ!

***

يا فتنتى .. والكونُ صفصافةٌ — الظلُّ فـيـهـا والمُنَى والأملْ!
لا تَحْطمى كـأسَكِ لا تَحْطمى — صُبِّى به عطرَ الربيعِ الخضلَ
اليـــأسُ هل دانتْ له نحلةٌ — تبنى خلاياها بأعلى الجبلْ!

وتجمع الأزهارَ فى كأسها ... من غير أدنى راحةٍ أو مللْ
حتى إذا الصيفُ مضى وانقضت ... أيامُه المستعذبات القبلْ
وأقبلَ الإشتاءُ فى حلةٍ ... سوداءَ يعلوها الأسى والبللْ
ألْفَيْتها تسعى إلى عشِّها ... تحلمُ بالدفءِ وجَنْىِ العسلْ!
تحيا به والأمنَ نشوانةً ... والريحُ تعوى عند سفحِ الجبلْ!
لا تعرفُ الجوعَ ولا رعشةً ... لولا كفاحُ الصيفِ لم تحتملْ!

***

يا زهرتى والبرد لن ينثنى ... يحلُّ كاللعنةِ أو كالأجلْ!!
ويومها تمضين مقرورةً ... المعطف البالى عليك انسدلْ
تزوّدى فالبرد يدنو لنا ... والزادُ خيْرُ الزادِ هذا الأمل

الفهرس

بيني وبين البحر ١٣٣

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٥١٤ ٨ / ١٩٩٩
I.S.B.N 977 - 01 - 6150 - 0